

الزجل والزجالون والصحافة الساخرة أبو بشينة .. أمير الزجالين

دراسة وتحليل

عبد الرحمن بكر

تقديم

د. صلاح الطاهر

الكتاب: الزجل والزجالون والصحافة الساخرة (أبو بئينة .. أمير الزجالين)

الكاتب: عبد الرحمن بكر

تقديم: د. صلاح الطاهر

الطبعة: 2018

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكور- الهرم - الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: 35825293 - 35867576 - 35867575

فاكس: 35878373



<http://www.apatop.com> E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

بكر ، عبد الرحمن

الزجل والزجالون والصحافة الساخرة (أبو بئينة .. أمير الزجالين)

/ عبد الرحمن بكر - الجيزة - وكالة الصحافة العربية.

315 ص، 18 سم.

الترقيم الدولي: 0 - 687 - 446 - 977 - 978

أ - العنوان رقم الإيداع: 2018 / 2619

الزجل والزجالون والصحافة الساخرة أبو بثينة .. أمير الزجالين

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون» 

على سبيل التقديم

د. صلاح الطاهر

بالبحث والتدقيق والملاحظة خلال ما يقارب 200 سنة الأخيرة وخلال القرن التاسع عشر في كتاب الزجل والزجالون وغيره من الكتب لوحظ ازدهار شعر العامية ازدهاراً كبيراً وتأكدت فنونه وأجناسه وتبلورت خصائصه، واتخذت مفردات خاصة لها لم تكن تستخدم من قبل .

إن لكل عصر مفردات تستخدم وتندثر لتحل محلها كلياً أو جزئياً مفردات لعصر آخر ولا يمكن حساب هذا التغير بعدد سنوات محددة وأيضاً أستخدمت أشكال موسيقية جديدة على الشعر العربي خاصة شعر العامية منه لم تستخدم من قبل . وتعددت هذه الموسيقى الجديدة ومازالت تستخدم إلى اليوم خاصة الزجل والأغاني والفنون الشعبية المحلية داخل الأقاليم المصرية باختلاف أشكالها.

وقد ارتقى منها البعض إلى مرتبة التراث بعد أن قنن لنفسه ويهدف هذا البحث في هذا الكتاب إلى تقنينها وتسميتها بعد جمع حالاتها المختلفة وعرض نتائج البحث على المجتمع الأدبي ومناقشة ذلك مع الأدباء والمتخصصين مناقشة بحثية علمية تستند إلى مناهج البحث المتعارف

عليها لإقرارها والتأريخ لذلك وضمها لكتب العروض وموازن الشعر العربي.

إن المنهج الذى اتبعه فى البحث للتدليل على استمرار هذه الموسيقى فى حياتنا منهج الاستقصاء والاستقراء فى هذه الفترة والممتدة الى يومنا هذا، والأشعار كثيرة لذلك سنكتفى لكل شكل موسيقي بجزء من قصيدة أي أننا سندلل على كل شكل موسيقي جديد (بحر موسيقي) كما أننا سنحاول وضع أسماء لهذه البحور خاصة ما استقر منها وثبت وارتقى لمرتبة التراث على مدى هذا التاريخ وهذه الفترة فى كتاب الزجل والزجالون.. وتوجد نماذج أخرى وأشكال موسيقية جديدة أيضا ولم تمتد طيلة هذه الفترة إلى الآن تحاول إثبات ذاتها ووجودها فى حياة المجتمع سنحاول إلقاء الضوء عليها وتسميتها أيضا كشكل من أشكال التأريخ لهذه الفترة والتقنين والتأصيل لها حين أن تكتمل فيما بعد ليأتي من يقنن لها ويسميها.

مما لا شك فيه أننا سنجد معارضة من كثيرين هذا شأن كل جديد ولا ضير فى هذا فهو معروف بالضرورة، ولكننا نرحب بالرأي المختلف خاصة إذا كان موضوعيا غير متحيز لفكرة أو لمنهج بعينه وأغلبهم ممن يدعون أنهم حراس على اللغة والتراث على الرغم من الأشكال الموسيقية تخص اللهجات واللكنات العامية وأشعارها نقول لهم نحن شعراء العامية أولى بها أن نقنن لها ونؤصل ونضيف ما نراه بشروط البحث المتعارف عليها فى المناهج الأدبية والفلسفية

.. وبما أن اللغات الحية تقبل الإضافة وربما الحذف أيضا والشعر جزء مهم من التراث وهذه اللغة وهو يقبل أيضا كل جديد ثبت على مر دهر وليست ظاهرة عابرة لا يمكن الاعتداد بها واعتبارها قاعدة عامة ولو لفترة معينة . ولا يمكن أيضا أن تتحجر عقولنا ونهمل ما جد علينا وثبت ونستخدمه ومازال يستخدم من أشعارنا وثقافتنا وموسيقانا والمزاج الجمعي الموسيقي العام لشعب أو لأمة.

لقد عني محمد زكي عبد المنعم (أبو بثينة) بكتابه هذا ووضع فيه أزجالا وألوانا من الشعر لكل هؤلاء الأعلام الأدبية، وتلاحظ أنه وضع الكثير والكثير من جديد موسيقى الشعر هؤلاء الأعلام وأظن أنه عن قصد منه للتاريخ الجديد في موسيقى الشعر لهذه الفترة الذهبية وتم تصنيف هذه الأشعار طبقا لمناطقها الموسيقية وليس ترتيبا لما جاء بالكتاب حتى نؤكد ما أكده هذا الفذ أبو بثينة أن فن الزجل اختلق لنفسه مناطق موسيقية يجب التقنين لها وإضافتها لتراثنا العربي، واتخذنا أسماء لهذه البحور فكانت كالآتي ونعرض لها بعد تقديم هذه الزجلية لأبي بثينة:-

محمد زكي عبد المنعم . يام ابراهيم أبو بثينة 1925

مستفعلن فعلمن فعلمن فعلمن فعلمن

يام ابراهيم ... براهيم ابنك اسم الله عليه

مخطوط له منديل علي وشه رح يعمي عينيه

مكلفناه ليه يا وليه....؟ ليه كل ده ليه.....؟

لما احنا حنص في وشهرح يحصل ايه؟

انا ماشفتش ناس زيك..... ولا أهل الصين!..
مين اللي بتخبي ولادها ..زيك كده مين....؟
معلقاله في رقبتة ..فردة قبقاب!.....
صغيره .. وعدس ولفل ..ملفوف في حجاب
وعقد أزرق علي صدره ..وحجاب وصليب
وخمسه وخميسه ف قورته .. أما الجلايب
مرقعاهم ميت رقعاه كستور..... على شاش
علشان يعيش ابن الصرمة ما انشالله ما عاش
ملزقه تلتين راسهقال ايه بفاسوخ!...
علشان يعيش وان عاش يطلع لطح وملطوخ
قال حاطه منديل على راسه لا الناس يشوفوه
بالشكل ده يطلع ابنك... خواف وجبان!...
لو شاف دوباره يروح صارخ ويقول “تعبان”
يا بنت مصر سيك من ده .. وبلاش تخريف
وخلي ابنك واد “راجل”..... وتمللي نضيف
اشمعي مبروك يا ستيته... واللا ابو شلاضيم
اللي إن باعوه ما ارضاش اخده.... حتي بلميم
اللي العماص غطى حواجبه وها يعمي عينيه
الناس دى لما تشوف وشه تحسد فيه ايه.؟
اشمعي بس يا شلبية... ابن الخواجات...؟

اللي ان جرحتيه من جرحه ينزل شربات
اللي تلاقيه شعره مهدل وكأنه سلوك!...
من الذهب . وكمان لبسه..... حلو ومسبوك
اشمعي امه مبتخافشي ولا تخزي العين..... ؟
أهوه وأجمل ميت مره..... م الواد حسنين
يا بنت وادي النيل..... ابنك فكيه . خليه
يتهني بالشمس دا عطفك ده راح يئذيه
خلي الولد من دول يطلع طول عمره شجاع
مش يبقي خواف ويهوش معار جعجاج
متعلمهش يخاف ياختي..... والدنيا نهار
يمكن ف يوم مصر تعوزه..... على خط النار
يمكن ف يوم مصر تعوزه على خط النار

أولا (بحر الطاهر)

يقول الشاعر / صلاح الطاهر
إفهم يا شاعر مقصودي غنّي بعودي . واعزف ألحان
الشمس تطلع وتنور . قوم نصوّر . النور أهه بان
تلقي الزهور رح تتبسم . حنّ قسّم . سمّعي كمان
مستفعلن فعلمن فعلمن فعلمن فعلمن فعلمن

هذا الشكل الموسيقي بدأ في الظهور للساحة الأدبية بداية القرن التاسع عشر حسب ما أتيح لنا بحثنا وربما ظهر قبل ذلك كحالات فردية متناثرة لم تلاحظ في الساحة الأدبية بشكل يعبر عن المزاج الموسيقي العام أو مزاج العقل الجمعي المصري . وشأن كل بحث يعتد بما هو يشكّل حالةً عامةً ممتدةً ومتصلة لفترة ما وهي متصلة الى اليوم

يتكون هذا البحر من تفعيلة واحدة من بحر الرجز مستفعلن /0/0//0 إضافة إلى عدد من تفعيلات بحر المتدارك فعلم /0/0/ كصور لهذا البحر فمن الممكن أن تكون هكذا:

1- مستفعلن فعلم فعلم /0/0 /0/0 /0/0//0

2- مستفعلن فعلم فعلم فعلم فعلم /0/0/0/0 /0/0//0
/0/0/0/0

3- مستفعلن فعلم فعلم فعلم فعلم فعلم /0/0 /0/0//0
/0/0/0/0 /0/0/0/0 /0/0

ونلاحظ أن في هذا الشكل يكون أجمل بوجود القوافي الداخلية في البيت الواحد نظرا لطولة فتزيد جماله بشكل مبهر جدا جدا علما بأن لكل شكل طعمه الموسيقي الخاص مرتبط ذلك بعدد تفعيلات المتدارك في الشكل الموسيقي.

هذا وتعتبر الأشكال الموسيقية السابقة إضافة لحالات خاصة منه في ترتيب قوافيها وعدد أبياتها فمنها القصيدة المطولة بقافية واحدة ومنها المربعات ومنها المثلثات ومنها المزدوج أيضا ومنها المؤتلف لموسيقى البحر، ويختتم المجموعة بمقلوب البحر . يمكننا أن نقول أن لهذا البحر

جمال خاص إذ تحمل جيناته وبعض خصائص بحر الرجز إضافة إلى خصائص بحر المتدارك فيحمل بين موسيقاه خفة المتدارك وسرعته ودلعه إن جاز التعبير مع جزء من رصانة الرجز ليعطي مذاقا خاصا جديدا وهنا تستخدم تفعيلة الرجز مستفعلن $0/0//0$ وضمن حالاتها متفعلن $//0//0$ وكذلك تستخدم من تصفير تفعيلات المتدارك فَعْلُن $0/0/0$ وفَعْلُن $///0$ ولا تستخدم معهما فاعلن أبدا كما ذكرنا في بحر المتدارك على الرغم من أن فاعلن أصل تفعيلة المتدارك ولكنها إذا أتت وحدها تكون مستساغة ورائقة موسيقيا، وإذا تداخلت مع فَعْلُن $0/0$ وفَعْلُن $///0$ فإنها تعطي نشاذا موسيقيا ملحوظا لا تقبله الأذن الموسيقية ونكاد نجزم بأنها لم ترد فاعلن في أمثلة عبر مائتي سنة. كما أن آخر تفعيلة يمكن لها أن تزيل بحرف زائد لتنتقل من فَعْلُن $0/0$ إلى فعلان $0//0$ أو من فعْلُن $///0$ إلى فَعْلان $////0$ ويحدث ذلك كثيرا في الشعر الغنائي والأزجال بشكل خاص.

ويستخدم هذا البحر كلاسيكيا كقصيدة بشرطها للبيت الواحد والقافية الموحدة وكذلك يستخدم حرا بشرط ترتيب التفعيلات متتابعة ولا يهم عدد التفعيلات في السطر وتكون القوافي كيفما أراد الشاعر موسيقيا كما يريد أن يضيف من موسيقى روحه شخصا ليضع طريقة القافية وهي مركز التجميع الصوتي للبيت أينما يريد وكيفما يريد من أشكالها.

الخلاصة:

❖ تفعيلة الرجز مستفعلن /0/0//0 واردة أن تكون متفعلن
//0//0 كما يجري عليها في بحر الرجز.

❖ تفعيلة المتدارك تستخدم فعلن , /0/0 /فَعْلُنُ ///0 ولا
تستخدم فاعلن أبدا معهم //0/0 ومن الجائز أن تزيل
التفعلتان بحرف زائد لنتقل من فَعْلُنُ /0/0 إلى فعلان
/0//0 أو من فَعْلُنُ ///0 إلى فَعْلَانُ ////0 ودائما
تكون بآخر تفعيلة في الشطر الشعري.

فيما يلي نماذج لهذه الأشكال الموسيقية الجديدة بأجزاء من مطلع
القصائد لهؤلاء الأعلام بترتيب زمني ولدينا ما يؤكد استخدام هذه
الأشكال إلى اليوم بأشعار معاصرين ربما تتاح الفرصة لنشر البحث
كاملا وسبق أن نشر في كتاب مؤتمر شعر العامية الذي أقيم في دمنهور
عام 2017

من كلمات محمد عثمان جلال مواليد 1828 وكان يعمل

مترجما وقت ما كان رياض باشا ناظر النظار الذي أحرَّ ترقيته فكتب

معاتباً له:

الخير على الناس عم وفاض

وكل إنسان استكفى!....

وبس أنا ياعم رياض

(وقعت من قعر القفء)

من كلمات عبد الله النديم مواليد 1845

في مولد السيد البدوي ردا على أدباتي يتكسب من إلقاء ما يشبه
الشعر في المولد أو قل الشحاتة إن شئت .. وحظه العاثر أن ساقه إلى
مجلس فيه عبد الله النديم وكان يعيش حياة الفقر (الكحرثة) ليطلب منه
المساعدة بقروش فقال الأدباتي

انعم بقرشك يا جندي ... وللا كسبنا يا فندي

أحسن أنا وحياتك عندي ... بقالي شهرين طوال جوعان

رد النديم مغتاظا منه ومن فقر حالته هو أيضا بمساجلة امتدت لساعة
أمام الجميع بينه وبين الأدباتي وتجمع عليهم رواد المولد وكانت بداية
شهرة من هنا إذ قال في بدايتها:

أما الفلوس ... أنا ماديشي

وانت تقوللي .. ماماشيشي

يطلع عليا..... يا حشيشي

أقوم أملص لك الودان

وأیضا من كلمات عبد الله النديم 1885 بعد المنفى في

تركيا

اسمع حكاية تهدي الشوق.. من ابن الذوق.. وتعجب الإنسي والجنان
رأيت جدع ف إيده مكبه... زي القبة... فقلت أهلا بالمنصان

مديت إيديه.. اكشفها... لجل أعرفها.. قالي : ارتجع يا شيخ رسلان
فقلت أنا بدى اتفرج... حد محجج؟... قالي تعالى في البستان
طاوعت شورته.. ومشينا.. على رجلينا.. حتى رأينا غصن البان
دخل يهرول قدامي... وباقدامي... وانا وراه أجري وتعبان

من كلمات محمد عزت صقر مواليد (1873-1932)

ولد بقصر الشوق حي الجمالية لأب موظف بالسكة الحديد، وهو خال
طلعت حرب باشا وكان له مجلس بيته الأنيق يرتاده الكثير من أدباء
عصره، وكان كريما معهم ولقبوه بأمير الزجل علما بوجود من هو أشعر
منه في هذه الفترة.

يا خفة ياللى... بتتولت ... وسببت الغيد
كل العواني... لك حبت... بكفاك تقليد
البت قالت.. لجارها... شوفتي لفندي
تقصيعته يا ختي حلاوتها... وخده الوردى
عايق وفاهم.. في نفسه... إنه خفه
دايما ينسئون.. في حسه... ليه مش عارفه
إن كنت مغشوش بجمالك... غيرك أحلى
ياما كثير... من أمثالك... صبحوا وحله

كلمات الشيخ محمد الدرويش وشهرته الشيخ الدرويش (1870)

كاتب غنائي وزجال في عصر عبده الحامولي ومحمد عثمان ويوسف المنيلوي.. كلمات أغانيه رقيقة تناسب ذلك العصر بالطبع وراقية مثل

دور بستان جمالك، وغناها محمد الفيومي صالح عبد الحي وغيرهما:

بستان جمالك من حُسنه.. أبهى وأجمل من بستان

وإن ماس قوامك فوق غصنه.. يعلم البلبل ألحان

سمح زماي... واتلطف... وشوفت حبي في البستان

فقلت له لما.. شرف.. والله زمان يا حلو زمان

من كلمات صدقي باشا

وكان رئيس محكمة طنطا ورد عليه محمد حفي ناصف رئيس محكمة

طهطا 1875 : بعد أن أقام الأول عزومة في طنطا وبعد أن خلع

الضيوف لبس المحكمة (الفتون) والطرايش والعصي في غرفة وصعدا

إلى غرفة الطعام قام الخادم الجديد بسرقة الملابس وبعض التحف

وتركهم يأكلون لبيعهم وتم القبض عليه فيما بعد:

الشوق إلى نظم الأرجال... غلب على أمر القاضي

والقصد اشرح واقعة حال... مادمت فاضى أعمل قاضي

قالوا عمل (ماركوبي) جميل... قلنا يفوقه... في الإدراك

أبو جلال من ألفين ميل... شم الطبخ من غير أسلاك

سقط على صاحب إحسان... رئيس قضا... قسم الدلتا

ضافه وضاف قاضي خزان... يرسم وينظم.. بالحته

في المندرة قلع الفستون... طربوشة وعصاية وعلبة
صعد إلى السفرة ممنون... من صاحب البيت والصحة

رد من محمد حفني ناصف رئيس محكمة طهطا: 1875

مَيِّ لسيد... الزجالة... ألفين سلام فوقهم بوسة
مالوش شبه في الرجالة.. يخلق من الهبيك دوسة
زجال جالنتنا.. المحبوب.. حامل لواء جند الشعرا
حايض نيشان رعرع أيوب.. ومعاه لقب.. جاب اليسرا
في كل يوم بيعت مكتوب... نكات عاملها... بالعاني
يعجب على المال المسلوب... إزاي ما يرجع من تاني..؟
يا عم أنا مالي مسوجر.. مال الصبا.. وما ليش غيره

كلمات عبد الرحمن قراة أبحان عبده الحامولي (1862-1939)

المفتي السابق للديار المصرية تولى الإفتاء لمدة سبع سنوات في عهد "الملك
فؤاد الأول. 1921-1928 غناها الحامولي في أفراح أنجال الحديو
إسماعيل وبعدها عين مفتيا، وهو ابن قاضي أسيوط الشيخ محمود قراة.

الله يصون دولة حسنك

الله يصون دولة حسنك

على الدوام من غير زوال

ويصون فؤادي من جفنك

ماضي الحسام من غير قتال

الله يصون دولة حسنك
أشكي لمن غيرك حبك
أنا العليل وأنت الطبيب
إسمع وداويني بقربك
واصنع جميل إياك أطيب
الله يصون دولة حسنك

أغنية كلمات الشيخ "أحمد عاشور سليمان"، ألحان عبده

الحامولي (1880)

تعلم بالأزهر أحب الأدب والصحافة اتجه لكتابة الأغاني ومعه الشيخ
درويش وكاننا من ألمع نجوم هذه الفترة
متع حياتك بالأحباب
أنسك ظهر
شأن الطرب يشفى الأوصاب
للي حضر
وكيد زمانك، واتقني
سعدك قمر
أنظر لخلك قلبه داب
ياما الهوى
لوع كتير قلبي أحباب
مثلي سوا

والقلب صابر تنهنى
على الدوام
يا ريت زماني مره طاب
وآدي الدوا

من كلمات م محمد غالب الإسكندرية مواليد (1886 - 1950)

أبوه على بك غالب كان ضابطا بالجيش المصري أبان الثورة العرابية
حصل على الثانوية وكلية فيكتوريا وبكالوريوس الهندسة والماجستير من
لندن ترك له والده 85 فدان.. لم يرغب بالوظيفة وتفرغ للأدب أنشأ
مجلة أسماها النجوم تعرف على أم كلثوم وكتب الأغاني أشهرها (سر
السعادة شفتيك) غنتها نجاة علي وكتب زجلا في الجيش الإيطالي اعتقل
على أثره عندما سافر لإيطاليا هو:

جارنا اللي في الحد الغربي... شن الغارة
بجيش عليه سنيور حربي... وبطيارة... والجار بيشز
وينسى أحيانا جاره ... وحسن الجيرة
وف الغضب لو زاد ناره... يشرب بيرة ... وبجاره يمز

كلمات محمد توفيق 1900 م

ضابط جيش على المعاش سجن لسبه الشيخ محمد عبده بمقالة في مجلة (حمارة
منيقي) التي أصدرها وأخذ من بعد سجنه يكتب مستخدما الرمز حتى لا يقع تحت
طائلة القانون كاتب غنائي وزجال منها:

يا مصر أنا ف حبك .. هايم ... ولا نيش نايم ... بس العزائم ناقصة زرار
مفلوت عيارها على عياري ... دي أصل مراري ... أحيه يا ناري على المسمار
صبحت أخاف من مقصوصك ... وأنا بخصوصك.. خليت لصوصك بقوا أنفار
الأصل آخرتها... فنختي ... خليتي بختي ... بقي زنزختي على حجاز كار
دافعت عنك ... ع السلمي ... بسيفي وقلمي ... آخرتها علمي عملته شعار
من خوفي..... لا الدخلياية ... تشوفها معايا ... وتشوف لي آية تودي النار
يكون فيها السر الأصلي ... وتحصصلي... وتسبب مفصلي يغور دا الكار
والشيخ كلبش الدين يحضر ... يفتح محضر ... وأصبح مدحدر على سنار

كلمات محمد عبد النبي 1910

من مواليد الحسين، ولم يتعلم ولم يعرف له تاريخ ميلاد.. ارتاد مقاهي
الزجالين فانشقت قريحته من مؤسسي رابطة الزجالين وكان وكيلا لها
براتب لشدة فقره وبؤس حياته يقول واصفا حاله في خماسيات رائعة
جدا:

يارب اشفق على حالي ... راح ألتقيها منين ومنين
يكفي يارب اللي جرافي ... مرض وعشق وفقر ودين
والدنيا دايرة بالمندار
المهم ضيق أخلاقي ... واحظ بيني وبينه خصام
والفقر ماسك في خنابي... وصرت لأهل البؤس إمام
والعقل تاه والفكر احتار
إتسدت الدنيا في وشي... واتقفلت كل الأبواب
وإن كنت في الشارع أمشي... أشوف عمار الدنيا خراب

دائما تعاكسني الأقدار

كلمات الشيخ جاد علوان

من دمنهور مواليد 1923 من أسرة علم ودين أزهرى النشأة والتعليم بعد تخرجه فتح صيدلية .. وكان يعمل بمجلس مديرية البحيرة الحسبي .. له أرجال في الورع والتقوى وتغنى بها أهل البحيرة ودمنهور من الصوفية.

بالصبر كام تبلغ أوطار ... والحر يصبر ع البلوى
والغدر من طبع الأشرار ... وأفضل الزاد التقوى

...

اليسر بعد الضيق مضمون ... وربنا يجرب عبده
ويرزقه مطرح ما يكون ... وف لحظة يرضيه من عنده

بيرم التونسي من منفاه فى فرنسا (1920-1932)

عاش حياة البؤس فى فرنسا أثناء نفيه وبعد محاولة التسلل لمصر وإعادة نفيه مرة أخرى فكانت عيشته على مضمض كبير فكتب
أنا اتلهيت وخدَل زندي ... مانيش نيّ الله غاندي
إن كانت الغلطات عندي ... يكون ف عون اللي عملها ...
إن كان على الملح، أكَلْنَا ... وإن كان على السجن دخلنا
والصوم نَحَلْنَا ونَحَلْنَا ... خلي اللي فاضل لرجالها...

ياما انطحن شاعر قبلي ... واللوح كتب له اللي كتب لي
واشمعني شعرك يا غرابلي ... خلاك تفوت من غربالها ...
أنا اللي ضلّيت ف جهادي ... وغشّني سحر الوادي
حدّفت للنيل أولادي ... من بعد ما عمرو دخلها...

محمد زكي عبد المنعم .. الحب لو يتحكم فيك أبو بشينة 1930

يا اللي الغرام خلاك ملحوس ... وبقيت مهووس
أخذت درس ولسه دروس ... يا ما لسه تشوف
أما اللي شفت كثير ... وقليل ... وغلبت .. أشيل
ودبت من عشق (الزغاليل) ... وأنا واد مكسوف
الحب يا بني اسألني عليه ... وأنا أقولك إيه
العبد لله شاف بعينه ... أشكال ... وألوان
أخوك دا يا ما شاف أشكال ... م الدنيا.. ومال
وف الغرام يا ما شاف أهوال ... وسهر وهوان
الحب لو يتحكم فيك.. تهلك.. وعاديك
ما فيش حكيم يقدر يشفيك.. عمرك ما تطيب
يمكن تكون ماشي ف حالك... تلقاه جالك
تفوت قرابيك وعيالك.. وتروح.. لحبيب
تبات وتحلم بالمحوب... قلبك دا يدوب
تقول يا قلب كفاية وتوب... قلبك يعصاك
تحلم بإنك بتغازل ... ولا فيش عازل

يبص ليك أو يترازل... تفرح وتطييط
تنام تقوم قلبك والبع ... نازل طالع
ويكلموك مانتش سامع... زي السكران
ع الفرش تفضل تتقلب... ولعه تلهب
وتبات طول الليل متغلب... قاعد سهران
لما تقابل محبوبك... تخفي.. عيوبك
يمكن ما يسواش مركوبك... وتبوس.. رجليه
تستعطفه وتطلب وده... وتبوس.. يده
تبني الأمل هو يهده... روحك... في إديه
لما تشوفه تتكهرب... دمك.. يهرب
وكل ما تشوفه يقرب.. تجري.. الأنفاس
لما يكون قاعد جنبك.. تسمع.. قلبك
عمال يدق ما يعلم بك.. واحد.. م الناس
لو كان حبيبك طلياني.. أو.. ألماني
مسلم يكون أو نصراني.. أو كان تنتون
لما يوعدك في معاده.. تروح.. تصطاده
وتبكي وتنوح ف بعاده... زي.. المجنون
لو كنت تحب.. حمار... أو تعشق.. فار
ويهجرك تشعر بالنار.. بتلهب.. فيك
ما تحبوش الحب هزار.. أو لعب.. صغار
الحب دا قاسي وجبار.. لازم.. يضنيك

إن كنت عاشق أو معشوق... أنت.. المحقوق
بتحب ليه الحب خازوق.. بيذل.. نفوس
عذابه راحة وراحته عذاب.. وبياضه.. هباب
بذمتي أنا مش كذاب.. أنا خدت.. دروس

بيرم التونسي من منفاه يستعطف القصر العودة إلى مصر 1932

كان بيرم التونسي قد نفي إلى فرنسا بسبب أول أزجاله وسبب شهرته
في هجوم على القصر الملكي بسبب ولادة الملك فاروق بعد أربعة
أشهر فقط من زفاف أمه نازلي إلى السلطان أحمد فؤاد مطلعته:

مرمر زماني يا زماني مرممر.. البنت ماشية من زمان تتمخطر.. إلى
آخره... ولما حاول الرجوع لمصر تم ترحيله عدة مرات ليعيش حياة
البؤس في فرنسا فما كان منه إلا أنه كتب قصيدة يستعطف فيها
السلطان بالعودة ولكنه عاد بقرار فرنسا بطرد الأجنبي لإفساح المجال
للفرنسيين للعمل وتم ترحيله إلى تونس .

يا بو الفاروق لما اسكندر.. حكم على الدنيا ودبر

شاف المداين واتخير ... إسكندرية وسماها ...

يوناني ويحب الغارة ... ورخره زيه أم منارة

جبار وعاشق جبارة ... طلع هواه وفق هواها....

إسكندر اللي بجنوده ... الشرق والغرب ف إيده

والإنس والجن عبيده ... بإسكندرية يتباهى....

وافقت عظمته وجبروته ... لا يفوتها لحظة ولا تفوته
الإمبراطور في تابوته ... نائم هنا تحت ثراها...

محمد زكى عبد المنعم.. فين الرجولة أبو بشينة 1935

قول للي ماشي .. بيتقمع ... وخده.. منتوف ... بيلمع
دا وش دا وللا .. مشمع ... مدهون بويات أشكال وألوان
ماشي يشوح... بعصاية... ولابس لي ساعة... بدلاية
إنت دكر.. والا نتاية.. ناقص عليك... تلبس كردان
حاطط لي فوق صدرك وردة.. صفرة بلون..... المسترده
ولك يا سيدنا فصول باردة... تحزن القلب الفرحان
في البدلة ماشي و متحزأ... منفوخ قوي وح تتمزأ
وتبص بعينين تتحزأ... لكل واحدة.. من النسوان
عامل رودلف فالنتينو !. وبيحسب الناس.... عاشقينو
ولافيش حده.. عقل يزينو ... وحضرته بيمدغ.... في لبنان
بالذمة مهما بتتعايق.. بايخ وشكلك مش لايق
والناس تشوفك.. تضايق... لأن مشيك..... مشي جنان
دايما كلامك..... بليوننة.. نغمته ناعمة.... وملعونة
إمشي ياراجل..... بخشونة.. العهد دا عهد..... الشجعان
ماعادش دا ..عهد خنونة ... لا بلادنا تفضلمتعوسة
دى حتى..... أختك نفوسة... في المجد بتزاحم الشبان

البت بتحارب وتطير ... دلوقتي وبتطلع طواير
وحضرتك شعبان تشخير ... فاكر بلادك زي زمان
بدل يا حلو متتعجب ... بالشكل ... قوم أدى الواجب
وإن كان كلامي ماهوش عاجب ... خليك بقا في بؤسك غرقان

بیرم التونسي من العيون يا سلام سلم 1940 .

من العيون يا سلام سلم شوف واتعلم
تحت البراقع تتكلم... والدنيا نهار
عيون تقول لك قصدك إيه بتبحلق ليه؟
ما لكش شغل تعس عليه يا راجل يا حمار
وعيون تقولك أنا عارفك والنبي ما أنسك
من يوم ما شفتك م الشباك يا جدع يا صغار
وعيون تقولك روح يا رزيل يا بو دم ثقيل
يا باي وكبه ... في المخاليل يا ما هُمَّا كتار

ويقول الشاعر حسن الفرشوطي

ويقول الشاعر حسين الحلبي

يكفي مجون واسمع مني بدي أقول جملة أقوال
وحياة أبوك تروي عني حتى ولو أجز الجرنال

ويقول الشاعر حسين شفيق المصري

حببت جميل لما أشوفه ريتي يبجري
أبص له ونفسي ف بوسه مش مستجري

لون القمر والخذ أحمر شكل الوردة
طري وناعم ومللظ زي الزبدة
الطفل لو شافه يقول لك هلت لي من ده
أقتليش منه قطه ؟ واطلع أجري!

ثانيا الشكل الموسيقى الجديد الثاني فعلن فعلن فعولن

يقول الشاعر العراقي صفي الدين الحلي

بدأ شاعراً ووشاحاً، ثم نظم الزجل فأبدع فيه. وساعده على إجادته مثله إلى الألفاظ السهلة المفهومة. فشعره شبيه بالزجل في سلالته ورقته، ومن ذلك قوله :-

يا غاية الأماني	إن غبت عن عياني
والذكر في لساني	فالفكر في ضميري
ولا انثنى عناني	ما حال عنك عهدي
والصبر عنك فان	وجدني عليك باق

الأشكال الموسيقية السابقة استخدمت في وقتنا الحاضر بقوة، إضافة إلى أشكال أخرى جديدة استقرت في وجدان المنطقة العربية والشعب المصري خاصة منها وارتقى كثير منها إلى مرتبة التراث والذي حفر لنفسه موقعا بين موسيقى الشعر، وكان أبو بئينة رائدا في استخدام هذه الأشكال الموسيقية ببراعة عالية جدا وتميز بالتجديد فيها إلى أبعد حد ممكن وجمع بين دفتي هذا الكتاب قدرا كبيرا ممن سبقوه ومن المعاصرين له ليؤكد على أن فن الزجل هذا الفن الرائد والذي بفضل هؤلاء المبدعين استحدثت له روحا جديدة بهذه الموسيقى والتي أعارت الأغنية موسيقى جديدة حيث كتب العديد والعديد من الأغنيات بموسيقى الزجل واستفاد منها المطربون والملحنون بفضل هؤلاء الرواد.

إعداد دكتور صلاح الطاهر 2018

مقدمة

مدد ..مدد ..

قال صلاح جاهين قصيدته المعنونة بهذا العنوان، والتي جمع فيها من سبقوه من عمالقة الزجل ..هتف قائلاً:

مدد

بيرم يا تونسي، بديع أيا خيرى

مدد مدد، يا شيوخنا يا أقطاب..

احضرنا يا حسين يا شفيق يا مصري،

والنجدة يا عبد السلام يا شهاب،

والحقنا يا ابن الليل وأبو بثينة..

يا سعيد يا عبده، يا مصطفى يا حمام،

محمود يا رمزي نظيم، تعالى إلينا..

ومدد يا عبد الله النديم يا إمام

مدد يا عزت صقر، يا خليل نظير،

مدد يا شيخ يونس يا قاضي مدد..

هاتوا الزجل، شماريخ، وصواريخ تطير،

لسه الحاجات إيها ..ماليه البلد!

وها نحن بين أيدينا كتاب قد وضعه أحد هؤلاء الأعلام الذين ذكرهم “صلاح جاهين” في قصيدته مستنجدًا بهم لما لهم من تاريخ عريق في النقد اللاذع عبر أزجالهم التي ملأت الدنيا، وتغنت بها مصر ولحنها كبار مبدعيها وغناها نجومها، إنه كتاب “الزجل والزجالون” وهو للشاعر

والزجال الكبير الذي تم انتخابه أميراً للزجالين “محمد عبد المنعم ذكي” الشهير بأبي بئينة، ولكم أبهري هذا الرائع وأنا أطلع على قصائده في مجلة الفكاهة الصادرة عام 1927 مما جعلني أتبع سيرته العطرة، وهذا التراث الهائل الذي تركه من الأزجال والأغاني، والذي من الصعب حصره لبعده الزمان فقد نشر معظمه في بدايات القرن العشرين، ولكني حاولت جاهداً أن أجمع ما استطعت مما لم تضمه الكتب منه وجمعت في كتاب باسم الديوان المجهول “أبو بئينة أمير الزجالين الذي أربع شوقي”

وشعرت أنني لم أعط الرجل حقه فبحثت عن الكثير من أعماله وأصدرت كتاباً عن مجلة الفكاهة وجريدة البلاهة تضمن الكثير من سيرته، وإبداعاته، وها أنا الآن أقف بين دفتي كتاب قد وضعه بنفسه عن فن صار هو أهم رموزه وأميره..

ولكي نعرف قيمة هذا الكتاب قبل الإبحار في صفحاته ، فلنفترض مثلاً أن أمير الشعراء أحمد شوقي قد قرر يوماً أن يكتب دراسة عن الشعر في عصره وعن كبار شعراء تلك الفترة، فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب العظيم مرجعاً تاريخياً؟ وهذا ما لم يفعله شوقي بك مع الأسف، ولكن هو ما فعله “أبو بئينة” بوضعه لهذا الكتاب بعد انتخابه أميراً للزجالين في عصره الذي كان أيضاً هو عصر شوقي حتى أن شوقي قال فيه “أنا لا أخشى شيئاً على العربية قدر خشيتي عليها من أبي بئينة”!

ويبدو أن أمير الشعراء كان يشعر بداخله أنه الأمين والمدافع عن الفصحى؛ لذلك فقد قال قولاً مشابهاً أيضاً عن شعر بيرم التونسي، وهو:

أخشى على الفصحى من عامية بيرم..

لكن بيرم لم يصمت ويأخذه حياء الأدب كما فعل “أبو بئينة” ورد عليه قائلاً :

يا أمير الشعر غيرك في الزجل يبقى أميرك
وإن كان خوف شوقي لم يكن على نفسه، ولكن على استسهال
الناس للعامية لبساطة وجمال أشعار “أبو بئينة” وابتعادهم عن الغوص في
أعماق اللغة العربية الفصيحة..

وإذا اقتربنا من عالم الزجل، والشعر الذي يحمل بين طياته روحًا
عالية من الفكاهة والتندر، فهنا تبدو اللعبة الإبداعية أكثر صعوبة لأن
الشاعر الشعبي الساخر قد وضع نفسه وجهًا لوجه مع جمهور العامة كُله،
يتكلم بمستواهم وبلهجتهم وبموضوعاتهم فهو معرض لأي انتقاد شعبي،
وفي نفس الوقت إذا بلغ من القوة والتمكن والوصول إلى قلوبهم وعقولهم
درجة عالية كان هو المتكلم عنهم والمتحدث بلسانهم، يتغنون بكلماته،
ويتندرون في مجالسهم بأبياته، وينثرون حكمه البسيطة النغمة في مجالسهم.

ولكي نتعرف أكثر على صاحب هذا الكتاب “الشاعر محمد عبد
المنعم زكي” الملقب بـ “أبو بئينة” فقد عاش في فم الخليج بالقاهرة في بداية
القرن الماضي أيام أن كانت مصر تستكشف طريقها، وتعلم أبناءها، حين
كان أكثر من 90 في المائة من هذا الشعب يعانون من الفقر والامية،
ولكن كان كل مصري ينجح في أن يتعلم ينجح أيضًا في معرفة دوره في
حمل نبراس العلم وشعلته، ويشعر بقضيته تجاه بلده وتجاه حريته، فلم يكن
محو الامية عندهم أن يقرأوا ويكتبوا فقط، بل كانوا يلتهمون الكتب
التهامًا، ويفتشون عن الثقافة في كل مكان، وكان هناك ثراء حقيقي في

حركة الترجمة والاطلاع على الثقافات الأخرى، وكانت المجلات والصحف المصرية تتبارى في نشر الثقافة والفكر والنقد السياسي، فهذا البلد بطبعه ساخر ناقد، وهذا الشعب يصبر بالنكتة، ولا يثور إلا إذا طفح الكيل به ولم تعد في طاقة النكتة اللاذعة والنقد الساخر أن يمنحه الصبر .

في هذا الجو ذي الطبيعة الخاصة، ووسط الحوار المصري ولد شاعرنا عام 1905 في الإسكندرية ، والتحق بمدارس رأس التين حيث تلقى تعليمه الأول، وحصل على شهادة الثقافة، ثم انتقل إلى القاهرة فالتحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، ونال منها شهادة البكالوريا “1924” تلك الشهادة التي أهلته بأن يعمل في وظيفة سكرتير بوزارة الشؤون الاجتماعية، ثم مفتشاً عاماً بنفس الوزارة، لكن قدرته الهائلة على كتابة الشعر والزجل هي ما أهلته بأن يتجه بإبداعه للعمل بالصحافة، لذلك فقد ظهرت براعته في مجلة “كل الدنيا” حتى جاء عام 1926 هذا العام الذي اعتبرته دار الهلال عام التحدي حين قررت أن تصدر مجلة خاصة فقط بالفكاهة والسخرية اللاذعة من كل أحوال البلاد، وهي مجلة الفكاهة، ووجد محمد عبد المنعم ذكي نفسه في لحظات أحد أعمدتها، وكان رئيس تحريرها هو حسين شفيق المصري، وكانت كما يقولون هي لحظة الانطلاق، ففي هذه المجلة البكر ولمدة ثمانية سنوات كانت تصدر فيهم المجلة بشكل أسبوعي، ظلت أزجاله صرخاً من صروح البناء الساخر، فقد نجح في أن يستمر ويجمع حوله القراء، ويقوم بدور من أخطر الأدوار، وهو دور بناء المجتمع عن طريق النقد الساخر البناء، ففي كل عدد كان

يسخر من انهيار قيمة أخلاقية، أو يدل القارئ على طريقة حياة أفضل
محاطة بكم من الفضائل والقيم.

وقد كتب الكثير من الأغاني لكبار المطربين ومن أعماله :لما أنت
ناوي تغيب على طول محمد عبد الوهاب ، كما غنى له من المطربات
“نادرة ، حياة محمد ، رتيبة رشدي، فتحية أحمد”وقد مثّل مصر في مؤتمر
الزجل العربي ببلبنان عام 1945 وحصل على الجائزة الأولى وهو أحد
مؤسسي إتحاد كتاب مصر 1970من مؤلفاته :فن الزجل العربي، أزجال
أبو بئينة (7دواوين) (الزجل والزجالون) توفي 2 يونية 1989

أما عن كنيته بأبي بئينة فلها أسباب طال البحث فيها وكان سببها
الأساسي في البداية هو عدم الجمع بين وظيفتين حيث كان يعمل موظفًا في
الحكومة ويعمل في الصحافة في دار الهلال موقعًا بكنيته “أبو بئينة”هذا
الاسم الذي كان يفخر به بعد إنجابه بابنته بئينة التي كانت نتاج زواجه
بالابنة الوحيدة للشاعر الكبير وأستاذه عملاق شعر العامية والفصحى
الشاعر حسين شفيق المصري، وهذا ما أكده الكاتب الكبير “فاروق
أباظة”بمجلة كاريكاتير في العدد “284”في مايو 1996 في بابه الشهر
“الضحكون”حيث أفرد في هذا الباب تفاصيل من حياة أمير الزجالين
“محمد عبد المنعم ذكي”وهو الذي أكد زواجه بابنة حسين شفيق المصري
وانجابه لابنته بئينة”، وكان يعتبرها نموذجًا للفتاة التي تحلم بعالم جديد وبدأ
يداعبها بقصائده، ويتحدث على لسانها.

وقد كثرت الأحاديث عن سر تلك التسمية حيث شكك البعض
في وجود تلك الابنة، وأكد البعض وجودها، وقد قيل في مجالس السمر إن

سبب تسميته نفسه بأبي بثينة هو أنه إنما أراد أن يتندر كعاداته، ويقف بالمرصاد للشاعر العربي المعروف جميل بن معمر الذي اشتهر بحبه لبثينة وديوانه جميل بثينة، فها هو أبوها قد أتى بقصائده متندراً، فأين منه هذا الجميل ..

وإن كان يجب عند ذكرنا لجميل بن معمر أن نذكر أنه كان جميلاً حسن الحلقة، كريم النفس، باسلاً، جواداً، شاعراً، مرهف الحس رقيق المشاعر وهو الذي هام حباً “بثينة بنت حيان” وانطلق يقول فيها الشعر حتى وفاتها، وكانت من قومه خطبها من أبيها فرده فرفضه وزوجها من رجل آخر. فازداد حباً وهياماً بها، فتناقل الناس أخبارهما. وقال فيها شعراً رقيقاً. وكان أكثر شعره في النسب والغزل والفخر وأقله في المديح. وكانت قبيلته هي قبيلة “عُدرة” التي عُرفت بالجمال والعشق حتى قيل لإعرابي من العذريين: “ما بال قلوبكم كأنها قلوب طير تلمات - أي تذوب - كما يلمات الملح في الماء؟ ألا تجلدون؟ قال: إنا لننظر إلى محاجر أعين لا تنظرون إليها.

قيل لأخر فمن أنت؟ فقال من قوم إذا أحبوا ماتوا .

فقالت جارية سمعته: عُذريُّ ورب الكعبة.

ولكن رغم ذلك فقد اتخذ “محمد عبد المنعم زكي” من شخصية بثينة “أبنته كانت أو كنيته” نموذجاً للفتاة التي تحلم بعالم جديد، وبدأ يداعبها بالقصائد، ويتحدث على لسانها وكأنها ابنته التي تحدثه مثلما جاء في تلك القصيدة الرائعة:

وكان كثيراً ما يحدث أن يتندر القراء بهذا الأمر ويسألونه عن رأي
بثينة في بعض الأمور، ومنهم من أرسل يخطبها كهذا الفحل الذي نال منه
شعر أبو بثينة أكبر المنال : حين أرسل رسالة إلى مجلة الفكاهة عام 1928
إلى الباب الذي يكتبه أبو بثينة يقول فيها :

أريد أن أزوج ابني وعمره ست سنوات من بثينة فهل تقبل؟
مهندس فهمي عبده بشارع فؤاد الأول
وكان الرد الفوري بقصيدة نشرت إجابة على الطلب الرد :

ابنك	إذا	مأكد	إنه ح	يطلع	مش	صايع	
أجوزه	حالا	بنتي	إن كان	مفيش	في الدين	مانع	
ابقى	ابعته	لجل	نشوفه	وابعت	معاه	برضه	فلوسه
واوعى	يتوه	بين	العرسال	وللا	عربية	تدوسه	
يبقى	إن	عجبنا	وعجبناه	يوم	الكتاب	نعمل	حفله
وأجيب	مغني	يعني	له	آنست	يا	عريس	الغفلة

وعندما جاءه السؤال التالي رد بوضوح..؟

لماذا تمضي “أبو بثينة” ولا تكتب اسمك الحقيقي؟ فكان الرد:

اسمي الصريح فيه زيه كثير وأبو بثينة مفيش منه
أخوك غُلب من معر الناس مضى كده غصبن عنه

وكعاداته ظل سنوات طويلة يرد على القراء بوضوح ومرح وقد جعل
بينه وبينهم بساطاً من الألفة، والمحبة التي جعلتهم يتقبلون نصحه الدائم
مهما كان قاسياً مادام في قالب من المرح وتظلله الابتسامة.

وكما قال الدكتور عبد القادر حمود في كتابه “هكذا يسخر الشعراء” وهي دراسة عامة عن الشعر الساخر من الجاهلي إلى اليوم حين أراد أن يقدم معالجة لمفهوم السخرية في اللغة وأبرز أشكالها :

السخرية في اللغة ترتبط بمعان كثيرة فهي الهزأ (المعجم المدرسي سخر منه وهزئ به)،(وهي بشكل أو بآخر تبعث على الضحك، والضحك في بعض معانيه سخرية، والسخرية تتخذ أشكالاً مختلفة بعضها يستدر الضحك، وبعضها يأخذ منحى مختلفاً، فهو مجرد تعداد لعيوب الآخر الموجودة فيه، أو المفترض وجودها، وهذا ما سمي في الشعر بالهجاء، و الإنسان هذا الكائن الاجتماعي يميل بطبعه إلى الأنا والموانسة ولعل اسمه مشتق منها، وهذا الميل قاد الإنسان ليؤسس حوله ما يشبه الهالة من العلاقات الاجتماعية التي عكست بشكل أو بآخر طبيعته وتركيبه من الداخل، وبما أوتي الإنسان من حب للحياة وتعلق بها، مال بالنظرة إلى اللذة والطمأنينة والنشوة والمتعة فيما لا يتعارض مع تقاليد المجتمع وأعرافه.”

أما الدكتور شوقي ضيف فقد أضاف في كتابه “الفن ومذاهبه في الشعر العربي” الكثير عن تاريخ هذا الفن الظريف من الشعر العربي حيث قال : “نجد أن العصر الفاطمي كان أحد أهم عصور ازدهار الجانب الظريف في الشعر أو جانب الظرف والفكاهة على حد تعبيره وذلك من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجريين” .

ويتمتع أبو بئينة بمكانة مرموقة في الشعر العربي، وذلك لعمق محتواه، وغنى شخصيته، وتعدد عطاءاته، والذي يجذب القارئ في شخصيته

وشعره، هو الصدق الفني والوضوح، والأسلوب الساخر الذي يقوم على المفارقة التصويرية الساخرة، التي لها قيمتها، لا بالنسبة إلى عصر الشاعر فحسب، بل بالنسبة إلى مفاهيم الحداثة المعاصرة المنسجمة مع التراث، فهو في رأيي شاعر كل العصور، لأنه يحيا مع بسطاء الشعب في دوواين الوظيفة، وفي الحوارية والأزقة وفي أجران القمح، والتكيات، يغني معهم، ويصل بسهولة إليهم، وليس أدل على ذلك من قول الفنان الكبير إسماعيل ياسين عنه أنه هو أول من نصحه ونقله من عالم الغناء إلى عالم المونولوج، ولولا تلك النصيحة لكان مغنياً مجهولاً، إذ أنه بدأ حياته بتقليد عبد الوهاب وغيره، لكن أبا بثينة رأى فيه أنه من السهل أن يصل إلى الناس لو غنى لهم المونولوج الفكاهي السريع، الذي يحكي لهم مشاكلهم، ويعيش معهم فقرهم، وينتقد الفساد في المجتمع، والمحاولات الساذجة من تقليد الغرب، وكان هو صاحب أول مونولوج غناه إسماعيل ياسين في حياته، وكان مطلعته:

يا خواتي مرااتي سبور

وأنا عايش زي الطور

لما تحب تدلعي

تحدفني لرابع دور

يا خواتي مرااتي سبور

وكما نرى أنه وصف قضية الرجل المتفرنج، والزوجة المقلدة، وكيف أنها تُهين كرامة الرجل الشرقي بهذا التقليد الأعمى، لمجتمع آخر في الشكل وليس في العمل ..

ومن حسن طالعنا أن يكون هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ذلك الكتاب الذي وضعه أبو بئينة عن هذا الفن وعن رجاله وعن عصره، وكم كان دقيقاً في شرحه، رائعاً في نهجه، ووصفه بحيث تعرض لمدارس الزجل القديمة، وبداياته من فن المواليا وارتباطه بممام الزاجل إلى فنه وظهوره بالأندلس متدفقاً إلى تعرضه لزجالي القرن السابع عشر، صاعداً إلى فن الزجل ووصوله إلى مصر، حيث مرحلته الأولى التي كان من فرسانها صفي الدين الحلي، وابن سناء الملك، وناصر الغبطيني، والغباري، وابن عروس، وإن كانوا لم يظهروا في عصر واحد.

ثم مرحلته الثانية والتي كان فرسانها طوائف الزجّالين الذين ظهوروا بعد ذلك، حتى منتصف القرن الثامن عشر، إلى أن نصل إلى مرحلته الثالثة وهي مرحلة الزجّالين الذين ظهوروا في القرن العشرين، وقد عني بظهورهم ظهور أزجالهم لا مولدهم.

والمطلع على أزجال كل مرحلة من هذه المراحل، يستطيع أن يجد لها طابعها الخاص المميز؛ فمرحلة الحلي كانت أزجالها أقرب إلى الموشحات وفيها كثير من الإعراب.

والمرحلة الثانية كانت أزجال فرسانها قد تخلصت من كثير من الكلمات المعربة، ولم يبق في منظوماتهم من الإعراب إلا أقل القليل . والمرحلة الثالثة تمتاز أزجال أصحابها بأنها عامية خالصة، قل أن تجد فيها كلمة معربة، وخاصة أزجال الزجالين الذين ظهوروا بعد عام 1920.

وقد أراد الشاعر أبو بئينة بعد ذلك أن يعرض علينا تطور لغتنا الشعبية وما مر بها من مراحل، ثم انتقل إلى الزجل في لبنان، واصفاً هذا

الشعب بأنه ليس به زجال واحد بل ألوف من الزجالين، وحب هذا الشعب العريق للزجل بالإضافة إلى ارتباطه الوثيق بالصحافة المصرية واحتراف الكثير من أبنائه هذا الفن فيها مما فتح الباب في مصر لانتشار فن الزجل في الصحف، ثم يأخذنا أمير الزجالين في رحلة مع كل شاعر منتقياً نماذج من إبداعاته، شارحاً لعصره، وأماكن نشره لإبداعاته، ومقتطفات من حياته،

وقد شرح بالتفصيل عن بدايات فن الزجل في مصر وكيف أنه بعد انتقاله من الأندلس إلى سائر الأقطار العربية، وكيف كان من الطبيعي أن ينتقل من موطنه إلى البلد الأقرب فالأبعد، ولهذا ظهر في شمال إفريقيا قبل أن يظهر في مصر.

وبذلك فقد بدأ الزجل في مصر - كما بدأ في الأندلس - تطوراً للموشحات فرأينا صفي الدين الحلبي، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي ... ينظمون الموشحات، ثم يتحولون إلى نظم الزجل القريب من التواشيح. وهنا نؤكد قوله في كتابه: أنه من العسير على من يريد أن يؤرخ للزجل في مصر أن يضع تاريخاً مفصلاً دقيقاً، واضح المعالم لزجالي مصر الذين ظهروا بعد انتشار الزجل في الأندلس. ذلك لأن وسائل النشر والتدوين في مصر كانت معدومة. وعلى الرغم من كثرة الزجالين الذين ظهروا في مصر منذ عهد صفي الدين الحلبي، إلى منتصف القرن الثامن عشر، فإننا لم نقع على شيء من آثارهم، إلا على القليل. ذلك لأن المدونين لم يكونوا يحفلون بهذا اللون من النظم، ولا بقائله، ولم يكن قد

ظهر بعد الزجال المبدع الذي يستطيع أن يجتذب إلى فئة القلوب والأسماع

فالأمية كانت سبباً في ضياع الكثير من آثار بعض شعراء مصر، مع أن الشعراء في الغالب من الطبقة المثقفة. فمن باب أولى أن تضيع آثار الزجالين الذين هم من طبقة العامة التي لم تكن تتعلم القراءة والكتابة إلا في القليل النادر.

ولقد كان الزجالون يعتمدون على حفظ أزجالهم، وإلقائها في المجالس، وتحميلها للرواة. فلما طوى الزمن تلك المجالس، ومضت السنون بالرواة، ضاع الكثير من الأزجال، وما بقي منها خالطه التحريف والتبديل. ولما دخلت الطباعة إلى مصر، ووجد الزجل من الكتاب والمؤلفين من يعنون بجمعه وتسجيله، تدخلت الأخطاء المطبعية، وسوء النقل في التراث القليل الذي بقي فزادته تشويهاً وبعداً عن الأصل.

وهو بذلك يُنشئ في كتابه هذا موسوعة نادرة للشعراء الزجالين في مصر من الصعب أن تجدها بتلك الدقة إلا إذا كتبها هذا المبدع الكبير الذي نصبوه يوماً أميراً عليها رغم أن عصره كان به فطاحلة هذا الفن ومنهم "بيرم التونسي" الذي غضب من انتصاره عليه في تلك الإمارة وقال ساخرًا :

خراب ما يحتاج لمعاينة

وفن باير وآهي باينة

أميري جوز أم بثينة

ولا يسعنا عند ذكر بيرم التونسي أن نترك الحديث عن تفاصيل الخلاف الذي دب بينه وبين أبي بئينة والذي تحول إلى معارك أدبية استمرت سنوات على صفحات الصحف والمجلات الأدبية الساخرة، فقد كان لغياب الشاعر الكبير بيرم التونسي ونفيه عن مصر أثر كبير في تفرد أبي بئينة بالساحة الأدبية والغنائية، في هذا الوقت الذي كان شعر بيرم يملأ الأسماع لما فيه من جرأة ونقد واضح، وكان البديل القوي في تلك الفترة هو شعر أبي بئينة الذي تميز بخفة ظله وبحدزه وبساطته وعمقه.

فبيرم الذي اعتاد أن يكون زبوناً دائماً على الأقسام والكراكونات والمنافي بسبب أزجاله الصريحة المباشرة، كان مختلفاً عن أبي بئينة الذي يغلف أزجاله بالعمومية حتى يهرب من التحقيق والسجن، لذلك فقد كان بيرم يتهمه بالخبث في أسلوب صياغة أزجاله، وقد حدث مرة أن استدعى النائب العام أبا بئينة ليحقق معه، من أجل زجل من أزجاله التي يرددها الناس في الشوارع، وكان قد تناول فيه علاقة راقصة مشهورة بالملك فاروق، وقرأ الملك الزجل وطار عقله وتملكه الغضب، خاصة بعد أن نقل له أذنا به من البلاط أن المقصود بهذا الزجل هو وراقصته، ولكن أبا بئينة نجح في إقناع النائب العام بأن هذا الزجل يُعبر عن مشاعره هو الشخصية تجاه تلك الراقصة، وأفلت من السجن.

وفي هذا السياق نقف عند معركة من أشد المعارك في تاريخ شعراء العامية في مصر وهي مع الأسف بدأت بحسن النية وانتهت بسوء الفهم، وقد كانت بين أنصار أبي بئينة، وأنصار بيرم التونسي، وكانت البداية تتغلف بالنيات الطيبة حدث ذلك بعد عودة بيرم إلى مصر سراً في صيف

1938 والذي وافقت عودته احتفال الهيئات الرسمية في مصر بعيد الجلوس الملكي 6 مايو من نفس العام، وفي احتفال الإذاعة بهذه المناسبة كان المقرر أن يكون ضيف الإذاعة الشاعر الكبير أبو بئينة، وأن يلقي زجلا على الهواء مباشرة من دار الإذاعة، فأثار دهشة المستمعين بخروجه عن تهنئة ملك البلاد بعيد جلوسه ليحول دفعة الشعر ويتضمنه استعطافه لكي يعفو عن بيرم التونسي، وكانت مبادرة منه ظن بها أن سيكرم بها الشاعر الكبير ويحصل له على العفو الملكي.

لكن بيرم الثائر الشاعر غضب لتلك المبادرة من أبي بئينة التي لم يطلبها منه فجاء رده عليها في مجلة "الإمام" التي أصدرها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، بهجوم عنيف على أبو بئينة وتكرر التراشق بالأزجال وكان تمهيداً لمعركة دارت وقائعها فيما بعد على صفحات مجلة "الراديو والبعكوكة" وتوالى مقالات الهجوم على بيرم من معسكر أبي بئينة في نفس المجلة.

وزادت المعركة حدة عندما كان الاكتساح البيرومي لعالم الغناء الذي ما كان ليمر دون أن يثير مشاعر الغيرة عند بعض الشعراء الذين تضرروا لعودة بيرم إلى مصر واجتذاب أنظار المنتجين لأعماله، وحصوله على نصيب الأسد من الصفقات الغنائية فسارعوا بالانضمام في الهجوم عليه من خلال فريق أبو بئينة، أما أبو بئينة فقد كان عنيفاً في معركته لأسباب أخرى، وهي ترجع إلى ما تتضمنه أزجال بيرم من ألفاظ ترفضها أذواق الطبقة الراقية وتتقبلها أذواق العامة التي بدأت تشكل الغالبية من متذوقي الغناء منذ بداية الحرب العالمية الثانية، ورأى في ذلك انحطاط للشعر

العامي .. يحتاج إلى وقفة وصراع، وشرع هو ومؤيديه في نقد بيرم بصورة تزداد عنفًا، وتوجه إليه اتهامات “الإسفاف” و”قلة الذوق” و”الانحدار الأخلاقي بمستوى الشعر الغنائي”.

وهكذا كانت الصراعات التي قامت بين الشعراء فرصة عظيمة لنمو الإبداع وفتح باب الصحف والمجلات لعالم الأزجال، ومجالاً رائعاً تنمو فيه حرية الصحافة.

ورغم أن شعر أبو بئينة شعبي مجتمعي إلا أننا نعتبره أيضاً شاعر ثوري في الفكر والفن، فهو يؤمن بالثورة والتمرد على الواقع الفاسد دون النزول والانزلاق بالأخلاق، فالثورة تبدأ دائماً برقي الفكر ونمو الثقافة، فهو شاعر متفاعل تفاعلاً كبيراً مع الوطن بمعناه الشامل أرضاً وتراثاً وحضارة، ولغة، ووطن يحمل حضارة عريقة، سواء كانت إسلامية أو فرعونية أو قبطية، فهو يدرك أن هذا الشعب متداخل تحكمه البساطة والطيبة، لذلك فقد أراد أن يصوغ له لغة جديدة تكون عناصرها مستمدة من الشارع المصري العريق التراث والقيمات.

لأن الفن الساخر من أصعب الفنون على جميع الأصعدة الإبداعية، ويملك هذا الفن ما لا يملكه فن آخر، وهذا ما دفع “أبو بئينة” أن يتحدث عن منهجه في الكتاب وسر وضعه له، قائلاً:

إذا كنا -نحن العرب -نعجز عن فهم بعض لهجاتنا المحلية المختلفة، ونخطئ في تفسير بعض كلمات أهل المدن التي نعيش فيها، مع اتفاق لغتنا العربية مع لغة قائلها، ومع أننا نعيش معهم في عصر واحد، فمن الواجب ان نأخذ تفسيرات المستشرقين لأدبنا الشعبي بكثير من الحذر.

ومما لا شك فيه أن الكثير من مفردات لغتنا العامية الحالية، سوف يتناوله التحوير مع الزمن، وسيندرثر بعضها كلما اندثرت كلمات لم تنطقُ بها ككلمة “الشمعدان” و”السكركة” و”العنتري” و”الكوبيل” وغيرها. كل هذه الكلمات اندثرت، لأن مدلولاتها اختفت من حياتنا العامة، وهناك كلمات أخرى على وشك أن تندثر، تبعاً لتطور حياتنا الاجتماعية، مثل كلمة

“الطربوش” و”الخطور” و”الشفخانة” و”الدقية” وغيرها.

ولا بد أن نجد في لغتنا الدارجة كلمات جديدة تؤدي مدلول بعض ما تتمحص عنه حياة المجتمع من تطورات، وما يستجد فيه من اكتشافات واختراعات، ولكن هذه الكلمات لن يكون استعمالها مقصوداً على طبقة العامة، بل سوف تستعملها الخاصة والعامة على السواء، كما نستعمل اليوم الكلمات التي جدت في لغتنا، مثل

“الراديو” و”البرشام” و”الرادار” و”النفائة” و”الدبابة”، وغيرها.

لهذا كله، كان من الواجب أن نعي بوضع كتاب يشبه القاموس يضم كلماتنا العامية المتداولة، ومعانيها، ومدلولاتها، وما نستعمله من أدوات، وما نأكله من أكلات، إلى غير ذلك مما يلازمنا في حياتنا اليوم، ليكون مرجعاً لأدبنا الشعبي بعد مئات السنين.

وما من شك في أن مثل هذا الكتاب، لن يكون ذا قيمة لعامة الناس في عصرنا هذا، ولكنه سوف يكون خطير الشأن، جليل الأثر، بعد مئات السنين، يوم يقرأ القارئ في أدبنا الشعبي كلمة “زير” أو “قلة” أو “ترامواي” فلا يفهم معانيها، ولا المراد منها، لاندثار هذه الأشياء.. إلا إذا

رجع لمثل هذا الكتاب، فوجد الكلمة، ومعناها، ورسماً توضيحياً لما تدل عليه .

وعند كلماته الجامعة المانعة عن كتابه يجب أن نتوقف عن كتابة مقدمته وندخل معاً بخشوع المتعلم إلى عالمه .

عبد الرحمن بكر

الزجل

الزجل في اللغة هو صوت الريح حين تتخلل النبات،
ويطلق على التطريب، وعلى الصخب، كما يطلق على
اللعب . يُقال زجله زجلاً رشقه ورماه ودفعه،

وزجل الحمامة أرسلها إلى بُعد، فهي من حمام الزاجل . والزجال والزجالة
الذين يرمون بالزجل أو المزجال، وهو الرمح القصير الشبيه بالمزراق .
وسحاب ذو زجل، أي ذو رعد . والمزجل الموضع الذي يرسل منه الحمام .
ولسنا نرى معنى من هذه المعاني يحمل على تسمية هذا اللون من
النظم باسم الزجل إلا المعنى الأول، فلعله سُمي كذلك لأنه نظم تتكرر
ومقاطعته في انتظام كانتظام الريح حين تتخلل النبات، أو لأن في جرسه طرباً
يدفع قائله إلى التزم به، أو لأنه لون في التسلية عن طريق اللعب بالألفاظ
المعاني .

فنون الزجل

يقول القدماء أن الزجل عدة فنون، هي المواليا، والقوما، والكان وكان،
والحماق وقد عرفنا العلة التي عللوا بها تسمية المواليا، فيما روى عن
الجارية التي كانت تربي البرامكة ثم تصيح “المواليه ...” . أما “الكان
وكان” فيقولون انه سُمي كذلك لأن كلمة “كان وكان” تتردد في أكثر
أبياته، وهذا ما لم يتحقق لنا إلا في القليل النادر مما قرأناه من الأزجال مثل
قول أحدهم :

قم يا مقصر تضرعُ

قبل أن يقولوا كان وكان

للبر مجرى الجوارى

في البحر كالأعلام

وقيل إن "القوما" سمي كذلك لأن البغداديين في الدولة العباسية استخدموه لإيقاظ الناس للسحور في رمضان ، وأن المسحر كان يردد "قوماً سحر قوماً".

ونحن نستبعد هذا لأن "قوماً نسحر قوماً" جملة معربة، وفيها ألف التثنية التي لا تقرها طبيعة الزجل الملحون... وفضلاً عن ذلك فإن معظم المراجع تقول إن هذا اللون من النظم ظهر في عهد الخليفة الناصر، في القرن السادس الهجري، حين ظهر غلام كان أبوه ممن يوقظ الخليفة للسحور، وكان اسمه "أبو نقطة فلما مات تولى ابنه هذه المهمة، وأراد أن يشعر الخليفة بوفاة أبيه، فوقف عند قصره يقول:

يا سيد السادات

لك بالكرم عادات

أنا ابن أبو نقطة

نعيش أبويا مات

وربما كان الاسم الصحيح "القومة" لا "القوما" لأنه بدل على قومه

السحور.

أما "الحماق" فلم يجد تعليلاً مقبولاً لتسميته بهذا الاسم، كما أننا لا نستطيع تسمية هذه الألوان باسم "فنون"، فما هي إلا أوزان مختلفة، لو جاز وصفها بأنها فنون ، لجاز أن نسمي كل بحر من بحور الشعر فناً .

والأصح أن نسمي هذه الألوان “زجلاً”، كما نسمي كل نظم فأصبح شعراً .

نشأة الزجل

لم نجد فيما رجعنا اليه من مراجع —على كثرتها —اتفاقاً على رأي واحد في نشأة الزجل ، فقد اختلفت الروايات في تاريخ نشأته، كما اختلفت في مكان هذه النشأة .ومن الطبيعي أن يكون هناك خلاف على الدولة التي نشأ فيها ما دام هناك خلاف على الزمن الذي نشأ فيه .وحين نستطيع أن نحدد المكان الذي نشأ فيه الزجل، يصبح من المستطاع تحديد زمن نشأته . يزعم بعض المؤرخين أن أول ما ظهر من فنون الزجل هو “المواليا”، وأن ظهوره كان بالعراق في عصر الرشيد، ويزعمون أن لهذه التسمية سبباً، هو أن الرشيد بعد أن اوقع بالبرامكة، أمر بالآلا يذكرها في شعر ابدأ، فرثتهم جارية من جواربهم بهذا اللون من النظم ... كانت تقوله ثم تصيح :

“واموالياه .” !!

وبعضهم الآخر يقول أن الزجل ظهر في الأندلس عقب ظهور الموشحات في عهد دولة الملمثين.

والرواية الأولى نستطيع أن نستبعدها، مستندين إلى حجج يمكن الاطمئنان اليها، منها:

أولاً: ان اللغة العربية في عصر الرشيد، لم تكن قد اختلطت بلغات أخرى إلى الحد الذي يحول الناس من الشعر الفصيح المعرّب، إلى الزجل العامي غير المعرّب دفعة واحدة، ومن غير أن تكون بين اللهجتين مرحلة انتقال .

ثانياً: ليس من المعقول أن يكون الزجل قد ظهر في عصر الرشيد، ثم يظل محتفياً لا يحفظ التاريخ منه بيتاً واحداً، ولا يذكر اسم زجال واحد من هذا العصر حتى أواخر القرن الرابع الهجري .

ثالثاً : أن معظم المؤرخين يبررون ظهور الموشحات باختلاط اللغة في العصر الأندلسي، وصعوبة الاحتفاظ بقواعدها التي طبع عليها العرب الأوائل، ويؤكدون أن الموشحات قد تطورت إلى فن جديد هو “الزجل” .

يقول لسان الدين الخطيب، المتوفي سنة 713هـ :

“ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها ... الخ” .

وفي هذا تأييد لانفراد الأندلسيين بابتكار الموشحات، وهي بلا شك سابقة لظهور الزجل. وفي مقدمة ابن خلدون يقول: “لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله “...إلى أن يقول : “وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، وان كانت قيلت قبله بالأندلس، وهو إمام الزاجلين على الإطلاق” .

وهذا تأكيد لظهور الزجل في الاندلس لا في العراق .ومما يؤيد هذا الرأي الموشحات التي كانت تنظم باللغة العربية المعربة، كانت تحتتم “بقفلة “من اللغة العامية الملحونة .وكانت هذه “القفلة “العامية تُسمى “الخرجة “، لأنها المخرج من الموشحات المعربة، إلى “القفلة “العامية ...بل لقد

كان بعض هذه الخرجات “ينظم من لغة أعجمية، كان الوشاحون في ذلك العصر يجيدونها.

ومن أمثلة الموشحات العربية المنتهية بخرجة عامية .موشحة لابن

بقي يقول :

صبرت والصبر شيمة العاني

ولم أقل للمطيل هجراني

معذي كفاني

بمثل ما دانت لها دنها

أنهى رسول الفتاة ما أنهى

وقد تداعت حفيظة منها

فأصبح الشوق منشداً عنها

لا بد نحضر من حيث يراني

لعله بالسلام يبداني

ما حل به كفاني

ومن أمثلة الموشحات العربية المنتهية بخرجة أعجمية قول الأعمى

الطليطلي (قد ورد اسمه في بعض المراجع “الطليطلي”) :-

دمع سفوح وضلوع حرار ماء ونار

ما اجتماعا الا لأمر كبار .

ثم يمضي في موشحته حتى المقطوعة الأخيرة فيقول :-

لا بد لي منه على كل حال

مولي تجني وجفا واستطال

غادرنى رهن أسى واعتلال

ثم شدا بين الهوى والدلال

الخرجة الأعجمية :

موالحبيب انفرم دموار، كاندشتار

سعس أميت كساد مواتار

وبلاحظ أن الخرجة من نفس وزن المقطوعة التي استهل بها
الموشحة.

والتفسير المنطقي لتطعيم الموشحات العربية بخرجات عامية، هو أن
اللهجة الفصيحة كانت تبعد عن ألسنة الناس شيئاً فشيئاً، وكلما بعد
العهد بالفصحى اقتربت اللهجة من الزجل، فكان هناك شبه التقاء،
الفصحى تتطور من الصعوبة إلى السلاسة، والزجالون يقتربون بألفاظهم من
الفصحى مع تخليصها من الإعراب، حتى كادت اللغة الدارجة تصبح لغة
الخاصة والعامية.

وقد جاء وقت الأندلس، إنتشرت فيه اللغة العربية واللهجة العامية
بين غير المسلمين، واعتبر الزجل لوناً من ألوان اللهو، فحرمت الكنيسة
على رجالها حضور مجالسه.

وفي كتاب “جميع قوامس الكنيسة والقانون المقدس” المحفوظ
بالمكتبة الأهلية بمديريد جاء هذا النص الذي يعتبر أمراً من الكنيسة
لرجالها. “لا يجوز للقلارفين – أي رجال الكهنوت – أن يحضروا الملاهي
والزجل في الأفراح والمشارب، بل عليهم الانقلاب قبل دخول تلك
الأطراب .. الخ” ...

و ظل الزجل شائعاً من المجالس، ذائعاً في مجالات الأُنس، إلى ما بعد انتهاء الحكم العربي، وظل المسيحيون يتغنون في أفراحهم بالأغاني العربية المنظومة باللغة الدارجة، حتى بعد أن نسوا اللغة العربية.

وإذا كنا في حاجة —بعد كل هذا— إلى براهين تؤيد القول بأن الزجل نشأ —كالموشحات— في الأندلس، فالدليل الذي لا يقبل النقض هو أن كثيرين من وشاحي الأندلس تحولوا إلى نظم الزجل، الحسن سهل بن مالك من غرناطة، وأبو الحسن علي بن جحدر، وأحمد بن الحاج، المشهور بإسم مدغليس (وقد ورد اسمه في بعض المراجع “مدغيس” وهو خطأ) وأخطل بن ثمارة، وأبو عبد الله بن الخطيب، الذي كان وزيراً ووشاحاً وزجالاً، وهو صاحب الموشحة المشهورة التي يقول فيها:

جارك الغيث اذا الغيث همي
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك الا حلماً
في الكرى أو خلسه المختلس

لماذا ظهر الزجل في الأندلس؟

لماذا ظهر الزجل في الأندلس قبل أن يظهر في غيرها؟
ولماذا ازدهر فيها وانتشر هذا الانتشار الواسع حتى أصبح فناً قائماً بذاته؟

سؤالان لا بد أن يخطرا بالبال، ولا بد أن هناك إجابة عليهما والاجابة التي تتفق مع المنطق، ومع طبيعة الأشياء هي أن الزجل جاء نتيجة لاختلاط لغة العرب بلغة الأعاجم، ذلك الاختلاط الذي جعل

العربية تتقهقر على السنة أصحابها، وجعل قواعدها وأصولها تبعد عما طبعت عليه السنة أهلها، بعد أن دخلت على تلك الألسنة ألفاظ جديدة ولهجات جديدة سهل عليهم النطق بها.

وقد يُقال ان اختلاط السنة العرب بعد الفتح الاسلامي حدث في بلاد الفرس وفي بلاد الروم وفي كثير من الأمصار غير العربية التي فتحها المسلمون، فلماذا لم يظهر الزجل في قطر من تلك الأقطار التي كان فتحها سابقاً لفتح الأندلس بمئات السنين؟

والرد على هذا، أن هذه المئات من السنين هي التي مهدت وساعدت على ضعف اللغة العربية، ووهنت استمساك أهلها بها... هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى أن الفتوح الاسلامية لبلاد الفرس والروم وغيرها كانت غزوات تقوم بها جيوش تفتح البلاد ولا تحتلها لتقيم فيها إقامة دائمة، بل كانت تعود بعد أن تؤدي مهمتها. وتحقق هدفها، وتترك البلاد لأهلها، أو تترك فيها أفراداً قلائل لا يستطيعون لقلتهم أن يكونوا ذوي أثر في تغيير لغة شعب بأسره، بل العكس هو الصحيح، وهو المشاهد حتى يومنا هذا... فنحن مثلاً نرحل إلى بلاد كثيرة غير عربية، ونعيش بين أهلها، فلا نستطيع أن نحول شعوب هذه البلاد عن لغتهم الأعجمية إلى لغتنا العربية، بل نحن الذين تتأثر بلغات البلاد التي تعيش فيها قلة غريبة عنها.

أما فتح المسلمين للأندلس فلم يكن كذلك. لم يكن فتحاً مؤقتاً، بل كان حملة هي أقرب إلى هجرة أريد بها انشاء دولة جديدة تحكم

وتسود، وتكون أقل لها كل مقومات الدولة . وكل عوامل بقائها وحمايتها وقوتها .

والتاريخ يذكر موقف القائد العربي طارق بن زياد حين نزل من سفنه في الأرض التي أراد فتحها ثم أحرقها ليرغمة جنوده على الاستماتة في القتال، وقال لهم قولته المشهورة “العدو أمامكم والبحر من خلفكم، وليس لكم الا ما تستخلصون من عدوكم “.

وما من شك في أن نزول هذا الجيش الضخم، وانتصاره، وفرض سلطانه على أهل تلك البلاد . كان لا بد أن يفرض لغته على من خضعوا له.

وما من شك أيضاً في أن من غزاهم هذا الجيش لم يكن من السهل أن يتحولوا عن لغتهم الأصلية إلى اللغة الغازية بين عشية وضحاها، ومن الطبيعي أن كلا الفريقين تأثر بلغة الآخر وأخذ منها . حتى سادت العربية في الأندلس مع الزمن . ولكنها كانت لغة عربية غير كاملة النقا .

العرب الذين فتحوا الأندلس انما أرادوا نشر دينهم، ونشر الدين لا بد أن يصاحبه نشر اللغة ... هذا ما حدث في كل عصر وفي كل أرض ... وهو ما نراه الآن من الدول الاستعمارية التي بسطت نفوذها على بعض دول آسيا وأفريقيا ... وأمانا المثل قائم في هؤلاء المبشرين المنتشرين في القارة الأفريقية . أنهم لا يعلمون الدين وحده، بل يعلمون أيضاً لغتهم للشعوب التي يفرضون سلطانهم عليها . فأنت اذا ذهبت إلى الكونجر رأيت شعبها الأسود يتحدث الفرنسية، واذا دخلت الصومال ، وجدت شعب

يتحدثون بثلاث لغات أجنبية، هي لغات الدول الثلاث التي تقاسمت الصومال. إنجلترا وفرنسا وإيطاليا .

هذه هي الاسباب التي مهدت لظهور اللغة العامية، ثم أسفرت عن ظهور هذا اللون الجديد من الشعر الملحون، ليكون فناً جماهير العامة يحل محل الشعر السليم.

المرحلة الثانية للزجل بالأندلس

إنقضى العصر الذهبي للزجل في الأندلس بعد وفاة ابن قزمان، وظل هذا الفن محروماً من عدة سنوات من فارس يجول في حلبته، ويشغل الفراغ الذي خلفه موت ابن قزمان،

إلى أن جاءت أواخر القرن السادس الهجري، وفيه حولت الأحوال، ودالت دولة المرابطين وجاءت دولة الموحيدين، فاستردت اللغة الفصيحة بعض انتعاشها، واستعادت شيئاً من مكانتها، فأخذ الناظمون يتجهون إلى الفصحى أكثر مما يتجهون إلى العامية.

في هذه الفترة ظهر زجلان في وقت واحد، أحدهما أحمد بن الحاج المشهور باسم "مدغليس" أرق نظماً وأسهل من بن الزيات، وكان يطمع في أن يحتل المكانة التي احتلها بن قزمان في عصره، فوفق إلى حد بعيد، غير أن بن قزمان كان يمتاز بمزايا ليست لمدغليس... كان الأول أكثر، وكان الآخر مقلداً، وكان الأول يعتمد على شخصيته وجراته، في حين أن أزجال مدغليس تدل على أنه كان محدود الصلات بالناس.

والمأمل في أزجال مدغليس لا بد أن يقف على ظاهرة لا تخفي، وهي أن مقطوعاته أقرب إلى أفهامنا وأذواقنا في هذا العصر، ذلك لأنها قريبة من الفصحى التي نفهمها. وهذا التفسير يؤيد ما ذهبنا إليه من أن اللغة الفصحى كانت أكثر انتعاشاً في عهد دولة الموحيدين منها في عهد دولة المرابطين.

وهذه مقطوعة من منظومات "مدغليس" تؤيد هذا الرأي.

ورذاذاً دق ينزل
وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض
وترى الآخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر
والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي الينا
ثم تستحي وترجع

وما من شك في أن مدغليس هو أول زجال تخلص في نظمه من طابع الموشحات، ذات الاوزان المختلفة والقوافي المتعددة، واتجه بأزجاله إلى القوافي الموحدة على نمط قصائد الشعر الفصيح وهذا اللون بلا شك يحتاج إلى مقدرة أكبر، كما أنه أوقع في النفس وأطرب للأذن من الطراز السابق من الأزجال.

وفيما يلي مقطوعة من ذلك النوع الموحد القافية. قالها مدغليس في مدح أمير اسمه يحيى .. قال يحدث النسيم :

لقد قبلت يا نسيم السحر
بروائح قد بورت للمسوك
توقد أنفاسك الذكية شمع
في قلوبنا متى ما نستنشقوك
إنما حقاً لش وصلت ضعيف

قال لي دار ما دار لك ودعوك

لما جالي الفراق وودعتهم

لبسوني النحول كما لبسوك

ذكر الله من قد ذكرت بخير

كذا أيضاً سمعتهم يذكروك

قلت من حق يذكروني الملاح

قل لي لا نعم وينتظروك

قلت ان كان ترجع لهم عن قريب

قل لهم عني أيضاً ان سألوك

عزز شوقي لهم ووفي وزيد

في ضماني اش ما تقول صدقوك

أنا لس يتهموني في حبهم

ولا آت في الرسالة يتهموك

أي زمان بعد قل هو قد كان يجي

انما هو في قرطبة مملوك

لأبو يحيى سيد الأما

وفريد الزمان وزير الملوك

أما بن الزيات فالمنظومات التي بقيت من تراثه قليلة، ومن الظلم أن نتخذها مقياساً للحكم عليه ولا بد من أن تذكر بين زجالي هذا العصر أبا بكر محمد بن عبد الله بن زهر ، وقد كان من آئمة الطب في زمن ، كما كان فيلسوفاً ووشاحاً وشاعراً وزجالاً، وقد توفي بمراكش سنة 595هـ .

ومن الزجالين الذين ظهوروا قبل أن ينقضي القرن السادس الهجري، أبو الحسن علي بن جحدر، ولد في أشبيلية سنة 548 هجرية وتوفي سنة 638، أي أنه عاش تسعين عاماً، وهو الذي يقول عنه صاحب "المغرب في حلى المغرب" : "كان زجالاً مطبوعاً، صحب والدي مدة، ولقيته أنا بأشبيلية". وترجم له بن سعيد في اختصار "القدح المغلي" قال : "كثير استشهارة بالانطباع في الزجل، وهو من جال ورحل، وكان حافظاً للنكت، متعلقاً بالأدب، قائلاً من الشعر ما يستحلي في بعض الأوقات".

ومن رجالي هذا القرن أيضاً "بن غرلة".

ويروي بعض المؤرخين أن في حياته قصة حب عجيبة، فقد قيل أنه أحب "زميلة" أخت الخليفة عبد المؤمن ملك الأندلس، وكانت جميلة الخلقة فصيحة اللسان، وذكرها في أحد أزجاله، متغزلاً، فقال:

من يصيد صيد	فليكن كما صيدي
صيدي الغزالة	من مراتع الأسد
كيف لا أصول	واقتنصت وحشية؟
ظبية تجول	في ردا سوسية
صاغها الجليل	فهى شبه حورية
تنشي رويدا	اذ تميس في البرد
تعجن الغلالة	والردا مع النهدي
رب ذات ليلة	زررتها وقد نامت
والرقيب في غفلة	والنجوم قد مالت
رمت منها قبلة	عند ضمها قالت

قر قر واهداً لا تكون متعدي
تكسر النبالة وتفطر العقد

فلما شاع أمر هذه المنظومة اعتقد الخليفة أن هناك علاقة بين أخته
وبين بن غزلة، وأن هذه العلاقة قد وصلت إلى حد خطير، فقبض عليه
وقتله. ولما كان الخليفة عبد المؤمن قد توفي في جمادي الثانية سنة 558
هجرية 26 يناير 163 فمعنى هذا أن (ابن غزلة) مات مقتولاً قبل هذه
السنة، وأنه كان في حياته معاصراً لابن قرمان المتوفي سنة 555 هجيرية
الموافقة لسنة 1160 ميلادية.
ومن زجالي هذا القرن أيضاً زجال عرف باسم البعبع، وكان تلميذاً
لابن جحدر.

زجالو القرن السابع

ظهر بالأندلس في القرن السابع الهجري زجالون كثيرون،
حفظ التاريخ أسماء بعضهم وان لم يحفظ أزجالاً إلا لقلّة
منهم .

من هؤلاء أبو علي الحسن بن أبي نصر الدباغ الذي اشتهر بالهجاء
والاسفاف والأدب المكشوف، وأبو بكر الحصار، وأبو عبد الله بن
خاطب، وأبو بكر بن صارم الذي اشتهر بالزندقة، وكانت زندقته سبباً في
أن صدر الأمر بقتله، فهرب إلى الشرق، واحتفى ببيت، فشبت النار في
البيت، واحترق بن صارم.

ومنهم أيضاً أبو عبد الله بن محمد بن ناجية اللورقي (نسبة إلى بلدته
لورقة)، وأبو زيد الحداد البكازور المولود ببلنسية.
وظهرت بعد ذلك على التوالي طائفة من الزجالين، نذكر منهم يحيى
بن عبد الله البحصنة، وكان من المشتغلين بخدمة السلطان، وله أزجال رقيقة
هذا مثال منها:

دعن نشرب قطيع صاح

سر (ذنا) ست الملاح

دعن نشرب ونرخي خفا

ولصاحب من لس فيه عفا

يا زغلا شدو الأكفا

من باب الجور يسمع صياحي

ومنهم أبو الحسن علي بن محمد الشاطبي، وأبو بكر بن عمير المغربي، ويذكر أيضاً باسم أبي بكر يجي بن عمير .ويظن بن خلدون في مقدمته أنه هو نفسه بن عمير الذي استحدث فن “عروض البلد” إذ يقول :

“وكان أول من استحدثه رجل من الأندلس نزل بفاس، ويعرف بابن عمير، فنظم قطعه على طريقة الموشح، ولم يخرج فيها عم نذهب الاعراب إلا قليلاً”.

وبعد أن يورد مطلع القطعة يقول :

“فاستحسنه أهل فاس وولعوا به، ونظموا على طريقته”.

ومنهم أيضاً أبو عبد الله محمد بن حسون الحلا المغربي، وأبو الحسن علي بن عبد الله الششتري.

ونحِب أن نقف قليلاً عند هذا الرجل لأنه انسان جدير بالعباية، فقد وُلد بالأندلس وعاش فيها فترة طويلة من عمره، ثم اتجه إلى التصوف، واشتهر بالورع والتقوى ، وبدأ ينظم شعراً عربياً فصيحاً كله تصوف وتأمل، وفلسفة روحية، وقد التفت حوله عدد كبير من المعجبين بخلقه وتقواه، وتلمذوا عليه وصاروا من مريديه .وخرج الششتري من الأندلس ليطوف ببعض الأقطار الأفريقية ، وبعض بلاد الشرق، حتى استقر به المقام في قرية “طينة” القريبة من دمياط بأرض مصر، وتوفي بها ودُفن فيها سنة 688هـ

ومن أزجاله في التصوف قوله:

موله	ونمشي	محلوق	رأسي
مرقه	أو في دار	السوق	تطلب في
الله	نقول اعط	نرشق	حافي
مطبوع	من هو	مطبوع	خبزاً
مطبوع	أي والله	مطبوع	مطبوع
نمشي	لمن يخطر لي	نقعد	وقد
فرشي	الأرض هي	نرقد	نريد
عيشي	به يطيب	مزرود	نرعى
مطبوع	يعجب كل	مطبوع	من هو
مطبوع	أي والله	مطبوع	مطبوع

المخارة	مع وحده	كشكول	ماع
الاشارة	بطرف	مدخول	وابريق
طنجهاره	بحال	مصقول	ورأس
مطبوع	على الفقر	مطبوع	نمشي
مطبوع	أي والله	مطبوع	مطبوع

داري	ثم همي	نمشي	أي ما
الصحاري	في وسط	نرسي	نرمي
البراري	بعشب	ضرسي	نشعل

قوت مطبوع مطبوع بطني معي مطبوع
مطبوع مطبوع أي والله مطبوع

وهذا اللون - كما يبدو من نظامه - قريب من "المندوجات
"التي نعرفها في عصرنا هذا.

وله زجل آخر يظهر فيه طابع التصوف أكثر من سابقه ويقول

فيه--:

شويوخ من أرض مكناس

وسط الأسواق يغني

أش عليا من الناس

واش على الناس مني

وما أحسن كلامه

إذ يخطر في الأسواق

تري ناس الحوانيت

تلتف لو بالأعناق

بغراره في عنقو

وعكاكيز وأقراق

شيخ مبني على أساس

كما انشا الله مبني

أش عليا من الناس

واش على الناس مني

وهذا يدل على أن الرجل قد هجر متاع الدنيا، وهام على وجهه في الأسواق ينمي منظوماته الصوفية إلى كان يتغنى بها غيره من المتصوفين . وبهذا كان الششتري صاحب مذهب جديد في الزجل لم يسبق إليه سابق، إذ نقله من الغزل والمدح والهجاء والشكوى، إلى التصوف والتعبد والزهد. وأخيراً نذكر من زجالي الأندلس محمد بن عبد العظيم الودياشي - نسبة إلى وادي ياش - وأبا عبد الله بن الخطيب صاحب موشحة : “جارك الغيث اذا الغيث همي” التي سبق أن أشرنا إليها، والزجالان الأخيران ظهرا في عصر واحد.

ولا نظن أنه بقى من زجالي الأندلس من يستحق الذكر بعد هؤلاء.

خروج الزجل من الأندلس

في الوقت الذي ظهر فيه الزجل بالاندلس، أخذ يظهر في أقطار أخرى، لنفس الأسباب التي أظهرته في الأندلس، أعنى اختلاط الفصحى بلغات الأعاجم، والرغبة في التخفف من قيود الاعراب. وكان نصيب مصر عدداً ضخماً من الرجالين، ظهر بعضهم في وقت معاً، وظهر آخرون تابعاً، ولكن ظهور زجالي مصر كان بعد ازدهار الزجل في الأندلس بوقت طويل.

ومن زجالي مصر الذين وصل إلينا بعض أزجالهم: صفى الدين الحلبي، وابن سناء الملك، وأبو عبد الله خلف بن محمد الغباري، وناصر الغيطي، وابن عروس، والشيخ الفحام، والشيخ حسن الآلاتي، والشيخ رمضان حلاوة، والشيخ الدرويش، وعبد الله النديم والادريسي، وعثمان بك جلال، والشيخ النجار، ومحمد توفيق صاحب مجلة "حمارة منبتي"، والشيخ عبد الله لهلبا، والشيخ القوصي، والشيخ جاد علوان، ومحمد إمام العبد، وإسماعيل باشا صبري، وحفنى بك ناصف، ومحمد صدقي باشا (الذي كان وزيراً)، والشيخ عاشور، وخليل نظير، ومحمد عزت صقر، ومحمد عبد النبي، وشعبان عوني، ومحمد فهمي يوسف، ومحمود رمزي نظيم، وحسين شفيق المصري، وأحمد شوقي بك (أمير الشعراء)، ومحمد غالب المهندس، وحسن الفرشوطي، محمود بيرم التونسي.

وقد اكتفينا بذكر من انتقلوا إلى رحمة الله.

الزجل في مصر

انتقل الزجل من الأندلس إلى سائر الأقطار العربية، وكان من الطبيعي أن ينتقل من موطنه إلى البلد الأقرب فالأبعد، ولهذا ظهر في شمال افريقيا قبل أن يظهر في مصر.

ولقد بدأ الزجل في مصر - كما بدأ في الأندلس - تطوراً للموشحات فرأينا صفي الدين الحلبي، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي... ينظمون الموشحات، ثم يتحولون إلى نظم الزجل القريب من التوشيح. ومن العسير على من يريد أن يؤرخ للزجل في مصر ان يضع تاريخاً مفصلاً دقيقاً، واضح المعالم لزجالي مصر الذين ظهوروا بعد انتشار الزجل في الأندلس. ذلك لأن وسائل النشر والتدوين في مصر كانت معدومة. وعلى الرغم من كثرة الزجالين الذين ظهوروا في مصر منذ عهد صفي الدين الحلبي، إلى منتصف القرن الماضي، فاننا لم نقع على شيء من آثارهم، الا على القليل. ذلك لأن المدونين لم يكونوا يحفلون بهذا اللون من النظم، ولا بقائله، ولم يكن قد ظهر بعض الزجال المبدع الذي يستطيع أن يجتذب إلى فئة القلوب والأسماع.

والتعليل المعقول لبقاء آثار زجالي الأندلس - مع تقدم زمنهم على زمن زجالي مصر - واندثار آثار زجالي مصر، هو أن الأمية كانت في الأندلس أقل تفشياً منها في مصر.

لقد كانت الأمية سبباً في ضياع الكثير من آثار بعض شعراء مصر، مع أن الشعراء في الغالب من الطبقة المثقفة. فمن باب أولى أن تضيع آثار

الزجالين .الذين هم من طبقة العامة التي لم تكن تتعلم القراءة والكتابة الا في القليل النادر.

ولقد كان الزجالون يعتمدون على حفظ أزجالهم، والقائها في المجالس، وتحميلها للرواة .فلما طوى الزمن تلك المجالس، ومضت السنين بالرواة، ضاع الكثير من الأزجال، وما بقى منها خالطة التحريف والتبديل . ولما دخلت الطباعة إلى مصر، ووجد الزجل من الكتاب والمؤلفين من يعنون بجمعه وتسجيله، تدخلت الأخطاء المطبعية، وسوء النقل في التراث القليل الذي بقى فزادته تشويهاً وبعداً عن الأصل.

ونستطيع أن نقول أن الزجل في مصر قد مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى -: كان فرسانها صفي الدين الحلبي، وابن سناء الملك، وناصر الغيطي، والغباري، وابن عروس، وان كانوا لم يظهروا في عصر واحد .
والمرحلة الثانية -: كان فرسانها طوائف الزجالين الذين ظهروا بعد ذلك . حتى منتصف القرن الثامن عشر.

والمرحلة الثالثة -: وهي مرحلة الزجالين الذين ظهروا في القرن العشرين، وأعنى بظهورهم ظهور أزجالهم لا مولدهم.

والمطلع على أزجال كل مرحلة من هذه المراحل، يستطيع أن يجد لها طابعها الخاص المميز .فمرحلة الحلبي كانت أزجالها أقرب إلى الموشحات وفيها كثير من الإعراب.

والمرحلة الثانية كانت أزجال فرسانها قد تخلصت من كثير من الكلمات المعربة، ولم يبق في منظوماتهم من الإعراب الا أقل القليل .
والمرحلة الثالثة تمتاز أزجال أصحابها بأنها عامية خالصة، قل أن تجد فيها

كلمة معربة، وخاصة أزجال الزجاجين الذين ظهوروا بعد عام 1920. ونستثني من هؤلاء المرحوم أحمد شوقي بك الذي لم ينظم الأزجال الا في الربع الثاني من القرن العشرين، حين أراد أن يقدم لونا آخر من النظم، لتتغنى به عامة الجماهير، فنظم من الأزجال روائعاً، ولكنه لم يستطع أن يتخلص من شاعريته، فأدخل في ازجاله كلمات عربية، فصيحة، بل كلمات مهجورة من الفصحى، ككلمة “نضو” في قوله “ونصو هجر وبعاد”، ولكنه استطاع بقدرته، وروعة معانيه، أن يجعل هذه الألفاظ الفصيحة مستساغة في الزجل، محببة إلى أسماع الجماهير، حقيقة على ألسنتها.

لغتنا الشعبية وتطورها

إن الباحث في معاني أزجال السابقين، له العذر إذا أخطأ فهم مراد الزجاج، أو غاب عنه معنى بعض الألفاظ. فاللهجات في البلاد العربية تختلف، بل ان اللهجات في البلد الواحد تتباين، واللغة تتطور من عصر إلى عصر، والكلمات العامية في بعض الأحيان يتداخل بعضها في بعض، ثم تندمج حتى تصير الكلمتان كلمة واحدة.

ومن أمثال اختلاف التعبيرات واللهجات والألفاظ، أن أهل المدن يقولون “نمسخ” فنفهم أن المراد “مسح البلاط” في حين أن أهل الاسكندرية ينفردون بكلمة تعبر عن هذا العمل هي كلمة “نسيق” - بياء مشدد . -

وأكثر المدن والقرى المصرية، يسمون الجلباب المعروف “الجلابية”، في حين أن أهل الاسكندرية ينفردون بتسميتها “قفطان”. ويطلقون كلمة

“الجلابية” على جلباب المرأة فقط . وهذه الكلمة نفسها
“القفطان” يطلقها المصريون جميعاً على ما يلبسه الشيوخ المعمون تحت
الجبة.

السكندري اذا قرأ زجلاً يقول فيه الرجال انه لبس “جلابية”،
سخر منه لاعتقاده انه لبس جلباب امرأة، وغير السكندري اذا قرأ زجلاً
يقول فيه ناظمه انه لبس “القفطان” ظن انه لبس ذلك الرداء المعروف
المفتوح من الأمام.

وكذلك في القاهرة، وبعض المدن الأخرى، يسمون الهاون المصنوع
من الخشب “الجرن”، في حين ان بعض اهل الوجه البحري — وخاصة
محافظة الشرقية — يسمونه “الصلايه”، ونفس كلمة “الصلاية” في بعض
البلاد المصرية الأخرى ، لا تؤدي معنى “الجرن” بل تؤدي معنى آخر
بعيداً كل البعد عن “الجرن”، فهي تعني الطين الذي تحاط به جذور
الشجرة عند الرغبة في شتلها أو نقلها.

هذا من امثلة اختلاف الألفاظ ومعانيها . بين بلد وآخر في القطر
الواحد، أما مثال اندماج الكلمات، وتداخل بعضهما في بعض، كلمة
“الدعيرة”، وأصلها كلمتان “الدعاء” و “بره” وكلمة “الدلعي”،
وأصلها “الدعا للدعي” والكلمتان تذكران بعد الدعاء على انسان
بالشر، لإبعاد هذا الشر عن المستمع.

فإذا كنا — نحن العرب — نعجز عن فهم بعض لهجاتنا المحلية
المختلفة ، ونخطئ في تفسير بعض كلمات أهل المدن التي نعيش فيها، مع
اتفاق لغتنا العربية مع لغة قائلها، ومع اننا نعيش معهم في عصر واحد،

فمن الواجب ان نأخذ تفسيرات المستشرقين لأدبنا الشعبي بكثير من الحذر.

ومما لا شك فيه ان الكثير من مفردات لغتنا العامية الحالية .سوف يتناوله التحوير مع الزمن، وسيندثر بعضها كلما اندثرت كلمات لم تنطقُ بها ككلمة “الشمعدان” و “السكركة” و “العنترى” و “الكوبيل” وغيرها.

كل هذه الكلمات اندثرت، لان مدلولاتها اختفت من حياتنا العامة .وهناك كلمات أخرى على وشك ان تندثر، تبعاً لتطور حياتنا الاجتماعية، مثل كلمة “الطربوش” و “الحنطور” و “الشفخانه” و “الدقية” وغيرها.

ولا بد ان نجد في لغتنا الدارجة كلمات جديدة تؤدي مدلول بعض ما تتمحص عنه حياة المجتمع من تطورات، وما يستجد فيه من اكتشافات واختراعات، ولكن هذه الكلمات لن يكون استعمالها مقصوراً على طبقة العامة، بل سوف تستعملها الخاصة والعامة على السواء، كما نستعمل اليوم الكلمات التي جدت في لغتنا، مثل “الراديو” و”البرشام” و”الرادار” و”النفائة” و”الدبابة” وغيرها.

لهذا كله ...كان من الواجب أن نعي بوضع كتاب يشبه القاموس يضم كلماتنا العامية المتداولة، ومعانيها، ومدلولاتها، وما نستعمله من أدوات، وما نأكله من أكالات، إلى غير ذلك مما يلازمنا في حياتنا اليوم، ليكون مرجعاً لأدبنا الشعبي بعد مئات السنين.

وما من شك في أن مثل هذا الكتاب، لن يكون ذا قيمة لعامة الناس في عصرنا هذا، ولكنه سوف يكون خطير الشأن، جليل الأثر، بعد مئات السنين، يوم يقرأ القارئ في أدبنا الشعبي كلمة “زير” أو “قلة” أو “ترامواي” فلا يفهم معانيها، ولا المراد منها، لاندثار هذه الأشياء... إلا إذا رجع لمثل هذا الكتاب، فوجد الكلمة، ومعناها، ورسماً توضيحياً لما تدل عليه .

الزجل في لبنان

لعل لبنان هو البلد الوحيد اليوم، الذي نجد فيه، لا عشرات ولا مئات من الزجالين، بل نجد ألوفاً منهم ...
أن شعب لبنان كله يحب الزجل، ويهتم به ،
وكثيرون من أهل هذا البلد الجميل يرتجلون الزجل ارتجالاً، ويأتون فيه بمعان رائعة، وأخيلة جميلة، يستوى ذلك الرجال والنساء .الشبان والشابات.
لعل لجمال الطبيعة في بلادهم دخلاً كبيراً فيما يتمتعون به من شاعرية رقيقة، وخيال رائع، ومعان سامية، ولفظ رقيق.

ولبنان هو البلد الوحيد، الذي تجد فيه للزجالين فرقاً تجي الليالي بانشاده في المسارح والملاهي .وطريقة ذلك أن تظهر الفرقة على المسرح - تسبقها اعلانات ضخمة على الجدران وفي الصحف .وكل فرد من أفراد الفرقة يحمل آلة موسيقية من آلات النحت، ثم ينشدون الأزجال ارتجالاً، فيبدأ شيخهم بتحية الحاضرين، ثم يرد عليه آخر نائباً عن الحاضرين، ثم ينتقل النقاش إلى موضوع عام ... كل فرد من أفراد الفرقة يبدي فيه راية، فتتعارض الأراء، وتتوالى الحجج والبراهين، ويستخدم الجدل والنقاش .وتتحول الحفلة إلى معركة كلامية عنيفة، ولكنها نظيفة الالفاظ، سامية المعاني، رفيعة الهدف .وكلما جاء زجال بمعنى رائع أو خيال جميل، أو حجة قوية، صفق له الحاضرون وهللوا، وشجعوه بعبارات الاعجاب.

وفرق الزجالين في لبنان كثيرة، وحفلاتها تكتظ بالمشاهدين، الذين يدفعون لتذاكر الدخول ثمناً كبيراً، ويفد المستمعون من جميع بلاد لبنان

لسماع الفرق المشهورة، بل كثيراً ما يأتي هواة الزجل من سوريا لسماع حفلات زجالي لبنان الذين يطلق عليهم اسم “القوالين” .

وفي الزجل اللبناني ألوان محببة، كالعتابا والميجانا والقرادى وغيرها . ولقد برز من زجالي لبنان عدد كبير من النوابغ، كان أشهرهم “أسعد الخوري الفغالي” الذي لقبوه “شحرور الوادي” لرقة نظمه حسن صوته . وكانت له رقة مكونة منه ومن الزجالين على الحاج وأنيس روحانا، وكانت حفلات هذه الفرقة من أروع المهرجانات الأدبية.

وقد زارت فرقة “شحرور الوادي” قطر المصري في عام 1937، فاحتفى بها رجالو مصر . وأقيمت لها حفلة تكريم بمسرح حديقة الأزبكية، غنت فيها أم كلثوم، وظهرت فيها الفرقة اللبنانية على المسرح بلونها المحبب، فنالت أكبر الاعجاب .

ومما يذكر أن حضور هذه الفرقة أذكى بين زجالي مصر روح الارتجال، فلما وصلت إلى محطة القاهرة، كان في استقبالها على المحطة عدد كبير من زجالي مصر، فارتجل أحدهم زجل ترحيب قال في مطلعته:

لما هل القطر من قلوب علينا

شفنا قدام الوابور من نوركوا نور

لولا خوفي من العجل بانور عنبنا

كنت أنزل لجل ابوس رجل الوابور

ولد شحرور الوادي حوالى عام 1898، وتوفى عام 1940 بالغا من العمر 42 عاماً... وقد أقامت له حكومة لبنان تمثالاً في أول طريق صيداً، تقديراً لفنة الشعبي الرفيع.

ومن أزجال أسعد الخوري الفعالي قوله-- :

بجبك بجبك اد ما تعمل معي

لو غام قلبي بين جسمي ومجمعي

عينك يا ولفي نشوف ولفك ع الفراش

من يوم صدك لا استفاق ولا وعي

عندما ساعه نزاعي بشمعي

جنب الفراش تبسمي ولا تدمعي

حتى بعيوني اصورك صورة وداع

وأطبق جفوني وآخذ الصورة معي

وكما ظهر شعراء لبنانيون مبرزون في المهجر كان من الطبيعي أن

يظهر رجالون مبرزون في المهجر، كان من الطبيعي ان يظهر رجالون مبرزون

أيضا، ففي كثير من دول امريكا اللاتينية تتردد اللهجة الشعبية اللبنانية،

في أزجال رفيقة تلقى في محافل هذه الجالية الذكية النشطة المكافحة،

وتنشر على صفحات صحفها ومجلاتها.

ومن زجالي المهجر المبدعين اسكندر يوسف المنذلق الذي يقول في

الحنين لوطنه.

يا موطني المحبوب يا لبنان

مهد العلوم ومنبت الشجعان

وموكل الملهوف واللاجيء

مأوى الأسود مهبط الأديان

يا موصل الآباء والأجداد

وقبله الطلاب والفصاح
لو بعدنا عنك بالأجاد
لم تنزل تصبوا اليك الروح
وتزدرى بالبعد والهجران
وكيف لا تصبوا اليك نفسي
أصبح على عهد الولا وأمسي
حبك يرافقني إلى رسمي
وفي فؤادي لا يزال جاري
مثل جرى الدم في الشريان
يا موطن المحبوب لا ننساك
أنت العزيز وفي القلوب ذكراك
لا عن قساوة قلب غادرناك
لاجل خيرك نحن هجرناك
تاركين الأهل والحلال
لا البعد يا لبنان يقصينا
ولا الهجر مهما طال بسينا
ولا البحر يسلبنا أمانينا
ولا نكون في موقف البائس
ولا القلوب يصددها نسيان

وللبنان فضل كبير في التفكير في تحقيق الوحدة العربية منذ سبعة
عشر عاماً فقد أقام في عام 1945 مؤتمراً للزجل العربي، اشتركت فيه

مصر ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين، وكان في مقدمة قرارات هذا المؤتمر، السعي لتوحيد اللهجات المحلية في البلدان العربية، وتوحيد ألفاظها بتقريبها إلى اللغة الفصحى، تحقيقاً للوحدة العربية اللغوية التي تعد دعامة قوية تقوم على قوائهما الوحدة العربية الشاملة.

ابن قزمان

ليس بن قزمان أول زجال ظهر في الاندلس، فقد سبقه كثيرون لم يحظوا بالشهرة التي تكفل بقاء أسمائهم، ولم يشتهر قبله غير قليلين، منهم اثنان ورد ذكرهما في أزجال بن قزمان:

أولهما "أخطل بن نمارة" الذي وصفه بن قزمان بقوله:
"ولم أرَ اسلس طبعاً، وأخصب ربعاً، ومن حجوا اليه وطاقوا به سبعاً، أحق بالرياسة في ذلك والامارة. من الشيخ أخطل بن نمارة. فانه نصح الطريق، وطريق فأحسن التطريق، وجاء بالمعنى المضىء والغرض الشريق. طبع سيال، ومعان لا يصحبه بما جهل الجهال. يتصرف بأقاسيمه وقوافيه، تصرف البازي بخوافيه... الخ .

وقد حرصنا على اثبات هذه العبارات لغرضين، الأول أنها شهادة لها قيمتها من امام الصناعة في زجال سبقه، والثاني أنها ترينا أن بن قزمان كان أديباً قادراً على السجع كما كان زجلاً قديراً في الزجل.

وثاني الاثنين اللذين سبقا بن قزمان : بن راشد الذي قال فيه بن

قزمان:

أسحارجا ذا الزجل كله بن راشد على نبله

لن يقدر يقول مثله

ولابن راشد زجل نشره "شتيرن" المستشرق في مجلة الاندلس عام

1951، واثبته الدكتور عبد العزيز الأهواني في كتابه القيم "الزجل في

الاندلس". وفي هذا الزجل يقول بن راشد :

كل من يعيب حيي، ايش يفيدو
ذاهم ليش يلوم، كذاك نريدو

كل من يعيب حيي لس نسمع لو
ونداري من نهوى ونخضع لو
العز فيه يجعلني تراب لنعلو
بد للغلام ميمون يخضع لسيدو

ان تعبه في عيني ايش لك في صدري
هو طلع لي بالقرعة...وانا وسعدي
سمح هو تزعم آت؟ مليح هو عندي
القمر هو في عيني والناس عبيدو

عيشي بعد محبوبي عيش مكند
ان رقدت تنبهي بواغت الصد
مثل ما قطع قلبي وقدد
في لظاظة المهجران وشوى قديدو

كل احد في ذا العيد حضل لوفاي
الملامح مع العشاق يشموا لواحد
يعملوا سلام للعيد وبن راشد
وحدو شكى الغربية في عيدو

كل حد في ذا العيد شرح وملح
وعسل على حبلو مبزور مملح
وانا فليس عندى كبش فينطح
ولا مانجول السكين على وريدو

وهنا يحسن أن نفسر بعض الكلمات الغامضة ليسهل على القاريء
فهم مراد الزجال .

فكلمة “لس” بمعنى “ليس” و”بد” بمعنى “لا بد” و”تعبه” بمعنى
“تعبه” أو تقيحه و”ات” بمعنى “أنت” .

“ميزور” نوع من اللحم المجفف

وربما كان بن راشد هذا هو “يخلفه الأسود” الذي ذكره صفي الدين
الحلى باسم “يخلف بن راشد” .

ونعود إلى ترجمة بن قزمان فنقول :

هو أبو قزمان، وقد جاء اسمه في النسخة الوحيدة من ديوانه،
الموجودة في مكتبة ليننجراد، والتي كتبت في صغد في القرن السابع الهجري
: “أبي بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان” . وذكر اسمه بهذا النص أيضاً
في كتاب “قلائد العقيان” لابن خاقان (صفحة 187) . أما في كتاب
“تحفة القادم” لفهم بن الأبار، و”الإحاطة” لابن الخطيب، فقد جاء اسمه
“أبا بكر بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان” .

وقد أخطأ ابن بسام ، وابن الخطيب، اذ لقباه بالوزير، وربما التبس
الأمر عليهما، فخلط بينه وبين عمه الذي كان وزيراً للمتوكل .

ولد ابن قزمان في قرطبة في القرن الخامس الهجري "حوالي سنة 480" في عهد الدولة المثلثية، وعاش فيها سنوات طفولته ويفاعته، فحفظ القرآن في صغره ، وتعلق بالأدب في شبابه، ثم خرج من قرطبة في جولة ببلاد الأندلس، التقى فيها بنزهن بنت القلاع، وهي شاعرة ماجنة، كثيرة النوادر والمساجلات، عرفت بالجرأة وسلاطة اللسان، وكانت تنفس على ابن قزمان وشهرته واعجاب الناس به ، وتغار من أناقته واعترازه بشخصيته .وقد رأته مرة بفغارة صفراء يختال بها، فأرادت أن تقبحه وتنال منه، فقالت له : "لقد أصبحت يا أبا بكر كبقرة بني اسريئيل، ولكن لا تسر الناظرين".

وما كاد بن قزمان ينظم أجزاله ويلقيها في مجالس الأدب حتى انتشرت تلك الأجزاء في أرجاء الأندلس، وتناقلتها الرواة حتى وصلت إلى العراق والشام والمغرب ومصر، مع القوافل التي كانت تروح وتغدو بين هذه الأقطار.

فابن قزمان أول زجال استحق حفاوة المسجلين والمؤرخين، فعدوه امام هذا الفن، وتناقلوا تراثه جيلاً بعد جيل، حتى وصلت اليها مقطوعات كاملة مما نظمها.

وكانت له مجالس أنس وشراب، ورحلات مع معاصريه من الأدباء والشعراء والزجالين .ومن كانوا يحضرون مجالسه ويلازمونه من الزجالين: أبو بكر بن مرتين ، وأبو عمر بن الزاهد الأشبيلي، وأبو حسن المعري، وعيسى البليدي، وغيرهم من مشاهير ذلك العصر.

ولسنا باستطاعتنا أن نعطي نماذج من أزجال معاصري بن قزمان،
يمكن الاطمئنان إلى نصها، بعد ان تصاربت فيها الأقوال، واختلفت
نصوصها فيما وردت فيه من الكتب قديماً وحديثاً. ولنضرب لذلك مثلاً
بمقطوعة لعيسى البليدي -معاصر بن قزمان -فان له مقطوعة هذا نصها
في كتاب "الزجل في الأندلس" للدكتور عبد العزيز الأهواني:

طمع بالخلاص قلبي وقد فات

وقد ضمم العشق لشهمات

تراه قد حصل مسكين في محابو

يقلق وكذلك أمر عظيم صابو

توحشو الجفون الكحال ان غابو

وذيك الجفون الكحال دابلات

هذ المقطوعة نفسها يوردها الاستاذ رشدي صالح في كتابة "فنون

الأدب الشعبي" بهذا النص :

يطمع في الخلاص قلبي وقد فاتو

وقد ضمو عشقو بها ماتو

نراه قد حصل مسكين حمالاتو

فقلق ولذلك أمر عظيم صاباتو

والاختلاف بين النصين كبير في اللفظ، وفي الرسم الكتابي، وفي

المعنى أيضاً. فالدكتور الأهواني يفسر كلمو "لشهمات" بأنها اصطلاح

لاعبي الشطرنج "شاه مات"، أي موت الملك، ويفسرها الاستاذ رشدي

بأنها "سهام العشق وقد أحاطت به من كل جانب". والأول يفسر

“مخابو” بأنها الشبكة ، والثاني يفسر البيت كله بأن القلب مسكين لأنه وقع في الشجون .هذا فضلاً عن أن النص الذي أورده الدكتور الأهواني يختلف عما نقل عنه في كلمة “توحشو” فهي كما يقول “لو حسر” .

ولهذا كله نكتفي بأزجال بن قزمان كالنموذج صادق لأزجال عصره. وليس عجباً الا نعثر على أزجال بن قزمان، الا بضعة أبيات متناثرة، فقد حجبهم بن قزمان، وشغل الناس عن أزجالهم بأزجاله.

وما عرف من أوصافه، إنه كان شديد الأناقة، يعنى بملبسه أشد العناية، أشقر اللحية، أزرق العينين، أبيض الوجه .وكان محباً للهو والمجون والشراب، ميالاً لجيد الطعام، متجهاً إلى الاباحية، وكان اسمه يسبق بلقب الوزير، مع انه كان شبه صعلوك، يرتزق من مدح الناس بأزجال يطالبهم فيها بالعطاء .وربما ألصق به لقب عمه كما قلنا

وقد سجن بن قزمان في حياته، وظل في السجن حتى سعى محمد بن سير —أحد قواد المرابطين —لإطلاق سراحه، ويفهم من هذا أن تهمته كانت سياسية، وله في ذلك زجل يصف فيه حياة السجن، وما فيها من متاعب وذل وقلق، يقول فيه :

لم ير قط قاضي لعمرى يعمل ذا الأعمال
 أن يسكن جوارى كل حواس وقاتل
 ملطي لس بقلبو من الاسلام رطوبه
 ألقى خلخال بساقي ثم أوفاني بطوبه
 فكما حيت نبدل ثم جات الصعوبه
 لم يرى قط شاعر يكبل بذنا القدر

أي عيل ولا كان نعم مصدوق
بالحجر كنعطي لو شهد في مخلوق
وذاك المنفوخ الساق يمشي من سوق لسوق
من أراد يقضي منكم حاج للقاضي يشهد
وليس هذا هو الزجل الوحيد الذي نظمه في السجن، فله زجل آخر
من وزن آخر

وأزجال بن قزمان تصور الحياة في عصره تصويراً دقيقاً. وهي تكاد
تكون شبيهة بالحياة في عصرنا هذا، وخاصة فيما يتصل بأعياد المسلمين
وعاداتهم فيها. فهو يصف حفاوتهم بزيارتهم المقابر، وبذبح الخراف فيقول:

كل وجه مزين ليلة العيد برا
والبكا بالمقابر على الأحباب دمرا
احتفال الفجائع فاحتفال المسرا

ودموع الترحم في ثياب الشطارا
ثم يتحدث عن خلو بيته من كبش في العيد فيقول :
لس عندك من العار لو بقيت غدوة الروس
راس تحنى تفكر أنا مطوي بحال موسى
ويكرر هذا المعنى في زجل آخر يقول :
أقبل العيد وأنا بعد محتفل

عن ضحية ذبحت رأس من بصل

وقد عاش بن قزمان ما يقرب من خمسة وسبعين عاماً، وتوفي في سنة
555هجرية، أو على وجه الدقة في آخر ليلة من عام 555هجرية ()
30ديسمبر 1160ميلادية).

وفيما يلي قطعة مختارة من أجزاله:

هجرن حبيبي هجر

وانا لمن لي بعد صبر

لس حبيبي الا ودود

قطع لي قميص من صدود

وخاط بنقض العهود

وحبب إلى السهر

كان الكستبان من شجون

والابر من سهام الجفون

وكان المقص المنون

والخيط القضا والقدر

رأى قلبي هذا الخال

مضى لحبيبي وقال

عسى ثم طويشر وصال

وان كان لحد الدور

تكون الطرور من وداد

واللوزا من الاعتقاد

والكابة لذيد الرقاد

فلم نرقد اليوم شهر
وله مقطوعة أخرى يسخط فيها على الزواج، ويتعهد بألا يرتكب
هذه الفعلة مرة أخرى فيقول:

صرت عازب وكان لعمرى صواب
لمن نزوج حتى يشيب الغراب
أنا تايب يا لس نقول بزواج
ولا جلو ولا عروس بتاج
لا رباة غير اللعب بالزجاج
والمبيت برا والطعام والشراب
شغف كانت وبا بعد لس تعود
من يسميه نخذ اليه العود
للنصارى مروا احملوه واليهود
أو لحمق بصخرتين أو مصاب
راه لم قط يقوم بدمعه فيهم
والأساتيد تجنبوه من قديم
ان شاعر بزواج هوانا عظيم
لس يكن الا شاعراً مصواب

ومن الواضح أننا في عصرنا هذا لا نستطيع وزن مثل هذا الزجل،
ذلك لأننا لا نعرف كيف كانوا ينطقون هذه الكلمات، ولا ما هو الممدود
منها وما هو المقصور . كما أنهم كانوا ينطقون بعض الكلمات منونة،

متأثرين بالشعر والموشحات التي كانت قريبة عهد بهم .أما اليوم فالتنوين
يعد من أكبر عيوب الزجل.

ونحب أن نحتتم ترجمة بن قزمان بمقطوعة من شعره، تثبت أنه كان
قديراً في نظم الشعر، كمان كان قديراً في نظم الزجل ، وأنه كان رقيقاً
خفيف الظل ..يشع المرح في كل مجلس يحل به.

كان يوماً في مجلس شراب مع بعض خلانه، فلما ثمل استخفه
الطرب، فقام يرقص على نغمات الالخان، وأخذ يطوح يديه يميناً وشمالاً،
وهو يتمايل، فأطفأ كمه المصباح، فلما ساد الظلام سمعه أصحابه يقول:

يا أهل ذا المجلس السامي سراقه

ما ملت ... لكنني مالت بي الراح

فان أكن مطفئاً مصباح بيتكمو

فكل من قد حواه البيت مصباح

ويعثل هذه الرقة خلد ايم بن قزمان

ناصر الغيطي

لم نقع لناصر الغيطي على ترجمة لحياته في مرجع من
المراجع، وليس هناك ما يمكن الاستناد اليه لاثبات الفترة
التي عاش فيها، وقد وجدنا له مقطوعة واحدة، وهي
على قصرها، ترينا أنه كان متمكناً من فنّه، وأنه كان
بصيراً بطباع الناس، فهو يقول في هذه المقطوعة :

با أخلايا صاحبت انسان

أنكر لصحبه وعاداني

وبغضني حين بقيت مسمى

والاله بالفضل أسمائي

في بلاد قبلي وأرض الشام

يشكروني سائر أقراني

والتشجيع الشاطر المذكور

في جميع الأرض له تذكّار

والبلط يوقع ولو اتعلق

ما يحصل شيء مع الشطار

صفي الدين الحلبي

ليس صفي الدين الحلبي مصري المولد، ولكننا ذكرناه ضمن زجالي مصر، لأنه عاش فيها فترة طويلة، ونظم فيها كثيراً من أزجاله، ولم نجد في أكثر المراجع التي سردت تاريخ حياته، ما يدل دلالة صريحة على موطنه الأصلي، غير ما ذكره هو نفسه في مقدمة ديوانه، إذ يقول:

“ثم جرت بالعراق حروب ومحن، وطالت خطوب واحن، أوجبت بعدي عن عربي، وهجر أهلي وقريبي، بعد أن تكمل لي من الأشعار، ما سبقني إلى الأمصار، وحدت به الركبان في الأسفار“
ويقول في موطن آخر من مقدمة ديوانه:

“فلما من الله على بحجة الاسلام، وزيارة قبر النبي عليه السلام، قذف بي خوف بلادي إلى الديار المصرية. وأهلت للدخول في الحضرة الشريفة الملكية الناصرية .. الخ“

والمفهوم من هذا القول، أنه من أهل العراق، وأنه رحل عن بلاده .
“وفارق عربنه، وهجر أهله وقربنه“ على أثر حروب وقلقل في العراق .
وجاء إلى مصر في عهد الملك الناصر، فلقى منه حفاوة وتكريماً.

أما اسمه الكامل فهو “عبد العزيز بن سرايل بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا .المعروف بصفي الدين الحلبي“ .

ولد في عام 677الهجري، وجاء إلى مصر عام 726هـ، أي وهو في التاسعة والأربعين .والمعروف أنه توفي في أوائل سنة 750هجرية .ومعنى

هذا أنه توفي في الخامسة والسبعين من عمره، بعد قدومه إلى مصر بأربع وعشرين سنة، ولكنه لم يمت بمصر، بل عاد إلى العراق، ولهذا لا يمكن تجديد المدة التي أقامها في مصر.

كان الحلي شاعراً رقيقاً، ذا قدرة وافتتان، مولعاً بالطرائف والمبتكرات، ومن ذلك أنه نظم عدة قصائد بعدد أحرف الهجاء، يبتدئ كل بيت من القصيدة وينتهي بحرف واحد، فالأولى همزية، والثانية بائية، والثالثة تائية، وهكذا.

وله ديوان شعر من ثلاث مجلدات، وله مجموعة قصائد سماها “دور البحور، في مدرج الملك المنصور”، وهو أحد ملوك بني الأوتق بماردين وديار بكر، كما أن له كتابه المعروف “العاطل الحلي، والمرخص الغالي” الذي تحدث فيه عن كثيرين من وشاحي وزجالي الأندلس.

بدأ شاعراً ووشاحاً، ثم نظم الزجل فأبدع فيه. وساعده على اجادته مثله إلى الألفاظ السهلة المفهومة. فشعره شبيه بالزجل في سلالته ورقته. ومن ذلك قوله :

إن غبت عن عياني	باغابة	الأماني
فالفكر في ضميري	والذكر	في لساني
ما حال عنك عهدي	ولا	انثنى عناني
وجدي عليك باق	والصبر	عنك فان

وهو في شعره وفي زجله ميل للجناس، ومن جناسه في الشعر قوله :
اسبلن من فوق النهود ذوائبا

فتركن حبات القلوب ذوائبا

وفيما يلي مقتطفات من ازجاله العامة، وكلها من المواليا المنظومة

من البحر البسيط، وفيها يتحلى ولعه بالجناس، قال:

سل مقلتيك الكحايل من سلاسلها

ومرشفيك من رشف منها سلاسلها

وعارضيك التي مدت سلاسلها

كم من أسود ضواري في سلاسلها

ومنها :

قد أوعدنا الغضابا أننا نخلو

في ظل بستان حافف بالثمر نخلو

والطل من فوقنا قد بلنا نخلو

ومن كلام الاعادي قد ما نخلو

ومنها أيضاً قوله :

عني تسلبت وأساف الحفا سلبت

ومذ توليت عن طرق الوفا ولبت

لما تملت ليا بالعجل مليت

اذا تخلت تعرف قدر من خلت

ومما قاله من غير أن يلتزم فيه الجناس قوله :

يا قلب ان غدروا فاغدر، وان خانوا

فخن . وان هم قسوا فاقسو . وان لانوا

فلن . وان قربوا فاقرب . وان باتوا

فبن .وكن لي معاهم كيفما كانوا

ومن ذلك أيضاً قوله:

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين

أخطأ قياسه وفي قوله جمع ضدين

ماجدت الا وتمعرك مبتسم يازين

وذاك ما جاد الا وهو باكي العين

ولصفي الدين أزجال مطوية على نمط قصائد الشعر الفصيح بقول في

أحدها--:

من كان يهوى البدور	ووصل بيض الخدود
بالبيض والصفير يسحو	وقد جلس في الصدور
من حب بيض الخدود	ورام لزوم الصدور
يسمح والا فيبقى	من بينهم مهدور
كم بين سجع الخدود	من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعله	يرى جمال البدور
بين الحلل والخدود	وجوه مثل البدور
اشراقها في المعاجز	وغربها في الصدور
نوائب المقدور	مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر	يفضي بضيق الصدور

كما انه له منظومات من ذلك اللون المسمى “كان وكان” يقول

في إحداها:

باسادة هجروني
وهم نزول بخاطري
لا أوحش الله منكم
أوحشتم العين منكم
وأنسكم في خاطري
والقلب في النور منكم
والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني
وما بقى في دمه
ههات ابي احيا
لم يبق الا خيالي
بلوح كالشبح الخلفي
أعد بين الأحياء
ودعتموني وسرتم
والقلب يتبع ركابكم
ايش صرلو كان جسمي
من جملة التبعات ؟
ما مر رأيت صدى
يقول لي من فرحته
هنا تشق المراير
وتسكب العبرات
لو لم اسلى روجي
وأرضى نفسي بالمنى
لكان قلبي تقطع
من بعدكم حسرات

وقفت لمسا رحلتكم
 حيران بين أظعانكم
 وأرفع الأصوات أخفض جناح المذلة
 طول الليالي ساهر
 كنى أريد الكيميا
 وأصعد الزفرات أسبل الدمع نهرأ
 ما أطول ليالي جفاكم !
 ساعاتها مثل السنة
 ما أقصر ليالي وصلي ! كأنها ساعات
 ما لي أرى حسناتي
 بالسيئات اتبدلت ؟
 اتبدلت حسنات ! وسيئات الأعادي
 خالفتموني وعمري
 ما زلت أتبع أمركم
 أوامر السادات كذا العبيد تتابع
 أسكت واصبر عنهم
 ويفعل الله ما يشاء
 بالدهر من عاداته بقلب الحالات

وقد تعمدنا أن نتقل أن ننقل قدراً كبيراً من هذه المنظومة، ليتجلى
 بوضوح ما ذهبنا اليه من أن مرحلة الحلى كانت أزجالها أقرب إلى
 الموشحات، وفيها كثير من الاعراب، كما نرى في تنوينه لكلمتي “يا سادة

“و” نزول “في المطلع، وفي استعماله لكلمات “قد” و “هيئات” و
“ودعتموني” و “خالفتموني” و “كذا” وغيرها.

الغبارى

هو أبو عبد الله خلف بن محمد الغبارى عاش في عصر

الملك الناصر قلاوون، الذي حكم مصر من سنة 684

إلى سنة 741 هجرية، وكان عالماً فقهياً ورعاً،

له تلاميذ يقصدون مجلسه في بيته للاستماع إلى دروسه وحكمه مواعظه،

نظم القليل من الشعر فلم يحفل بشعره احد، ونظم الزجل فحفظه الحفاظ،

وتناقلته الألسنة، ونال بمنظوماته شهرة واسعة.

وقبل ان توفى مدفوناً تحت أنقاض مئذنة مسجد بقلعة الجبل،

سقطت عليه فجأة فمات .وهو أول من لفت الأنظار إلى مكانة الزجل،

بعد أن ظل فترة طويلة لا يحفل به أهل مصر.

ويمتاز الغبارى بقدرته على الاطالة، فكانت أزجاله من المطولات

والتراث الذي تركه بعد قليل، ولعل وفاته المفاجئة كانت سبباً في ضياع

كثير مما نظم.

وفيما يلي مقتطفات من زجل من مطولاته، وفيه من النصائح

والحكم والتشبيهات ما يشهد له بالمقدرة، وقوة الخيال، والنظرة الصادقة

في الحياة، قال الغبارى،

في الناس رأينا للخير معادن

والدر يوجد في كنز مثله

وان رمت جوهر في الشخص مكنون

فجوهر الشخص حسن فعله

وان كان تريد صحة المعاني
وشرح ما في البيسان محرر
خذ فرع بايدك من أصل حنطل
وازرع جدوره في أرض عنبر
واسقه بماء بان وورد ممزوج
وعقد جلاب وحل سكر
وحين تشوفه عقد ثماره
وأن أوانه وحل فصله
ذوقه ، تراه مر والسبب فيه
ما يرجع الفرع الا لأصله

في الخلق من بالكرم ثماره
تجني ومنهم بالبخل بئس
هذا وهذا من طينة واحدة
ان ردت بين ده وده تقايس
كم غصن ف الروض له ظل ممدود
مورق ومثمر بالزهر ما بس
وغصن لا زمن فيه ولا ثمار
ولا أشاير فوجب لحمه
والغصن ما يفتخر على الروض
بغير ثمار أوراقه وظله

من آمنك قد لا تخونه

وكل من يعرف الأمانة ...

محمول على الرأس والعين مكرم

أعزه الصدق و اليانة

يرقى إلى أفخر المراتب

وكل منسوب إلى الخيانة

لا أرض طول الزمان تشيله

ولا سما باجدع تظله

ولو يكون أكبر العشيره

يبقى أصغر الخلق يستقله

ومن أساء لك كن أنت محسن

واستعمل الصبر فهو أقنع

وانظر لجذع النخيل في روضه

بحمل ثمرة أزهر وأينع

إذا رحمته بحجر نجود لك

بالثمر حت تأكل وتشبع

قمنا ضربنا مثل وقلنا

كان ليه بتحمل دا الذل كله

تجود بتمرك لمن أساء لك

قال كل منهمو يعمل بأصله

بعض النسا للرجال يخونوا
من في الخلاق يكون فتوة
وفي الرجال من اذا اختبرته
نجد له شهوة تغلب مروه
يفسد لزوجة أخيه ، وفيهم
من يحفظ العهد والأخوه
ولو أن زوجة أخيه من الحور
ما مال لها من حياه وعقله
الله يخون خاين المروءه

ومن دا طبعه ومن دا شكله

وان ردت ترفع من بعد خفضك
اصحب ذوى الفضل والمعارف
من عاشر أشراف يعيش مشرف
والندل لم تلق له معارف
ما تنظر الجلد كيف نقبل
بالثغر حين صار على المصاحف
اعرف خليلك ومن تعاشر
واختار لجد الكلام وهزله
فالشخص يحشر غدا على ما
يكون عليه صاحبه وخلله

لا تحتقر أي ابن آدم
في طول حياتك ولا تدمه

كم حي حامل تقول عليه
ما تعرف اسم البهيم من اسمه
وان جيت صاحبتة في يوم بيان لك
تظهر معارفه و يتجلى علمه
ويشبه الروض حين يبدو شوكة
والورد مستور من تحت سله
والبحر تلقى الرسم تعوم به
والدر غايص مخلوط برمله

ابن عروس

ولد أحمد بن عروس باحدى قرى مديرية قنا، في سنة 1780 ميلادية، وأهل قنا مشهورون منذ القدم بأنهم زجالون بالسليقة، يقولون الزجل ولا يهتمون بنشره أو تدوينه. ومنهم ذلك الزجال الذي رأى حبيته تشرب من قلة، وكان يتمنى أن يقبلها، والتقاليد تمنعه فقال:

خايف أجول له يجول له

والجلب مرعوب وخايف

ايجي جولى له باجله

حيث توردي ع الشفايف

كانت مصر عند ما ظهر بن عروس، يحكمها المماليك حكماً كله قسوة وابتزاز وظلم، فكان الفساد شائعاً بين الحكام، الذين كان همهم أن يجمعوا الأموال لأنفسهم، وللحكومة، لينعم به المماليك في حياتهم المترفة، ومجوتهم الفاحش.

لهذا احس المصريون، بأن الحكومة التي كان عليها ان تصون الأمن، أصبحت أشد خطراً عليهم من اللصوص وقطاع الطرق، فملاً الحقد صدور الناس، ودب الفساد في جهاز الحكم، فاتتابه الضعف والتفكك، وضاعت هيبة الحكام.

في هذه الظروف ولد بن عروس وشب، ولم يكن من أسرة تستطيع أن تعلمه أو تثقفه، فنشأ عاطلاً لا عمل له ولا صناعة... وكانت الطبيعة قد منحته جسماً قوياً، وقلباً كالصخر الذي لا يلين، فبدأ هذا

الناشيء المضيع يستخلص قوته بقوته، يغتصب، ويسرق، ويفرض الاتاوات . واذا وقف في سبيله انسان بطش به بلا رحمة، فامتألت القلوب رهبة منه .

وكان قد جمع حوله عصابة من أمثاله، العاطلين الجرمين القساة، فازدادت بهم هيئته، حتى باتت الحكومة نفسها تحسب له حساباً كبيراً. وظل الرجل مسترسلا في اجرامه، حتى ادركته الشيخوخة، واستهول أن يلقي الله بهذا العبء الضخم من المعاصي، فأقلع عن الاجرام، وتاب وأتاب، وانقطع للتأمل والعبادة والاستغفار.

وليس هناك من يعرف لماذا سمي “بن عروس” ولكن هناك رواية تذكر قصة من قصص حياته، وتزعم انها سبب تلقيبه بابن عروس، والرواية تقول أن الشيخ أحمد كان قد خرج يوماً للنهية بين الخلوات، فرأى عروساً في هودج يحف به أهلها . وهم متجهون بالعروس نحو بيت زوجها ...

فلما خرج الرجل عليهم فرعوا إذ عرفوه، وظنوا ان عصابته معه، وأنه جاء ليخطف العروس، فتركوا الهودج بمن فيه، وولوا هاربين . فلما انفرد الرجل بالفتاة ، وسوس له الشيطان أن يغتصبها، فصعد إلى الهودج، فتلقته العروس بدهشة لا أثر فيها للخوف، لأنها لم تكن تعرفه، فلما سألها عن وجهتها، وعن اسم زوجها، ردت عليه بلا تكلف ... وفجأة ... مال جملها على بعض الزرع الأخضر الذي كان قريباً منه، واذا بالفتاة تقول للجمل:

يا جمل العروس لا ترعى الندى

العقبة طويلة والملتقى غدا

فلما سمع الرجل هذا القول، أعجب بصاحبته، وانتابته رعدة مفاجئة من خشية الله، وأنف أن يكون رجلاً يروع الرجال، ثم يعتدي على فتاة ضعيفة منقطعة، وليس حولها احد يدفع عنها. فنزل من الهودج، وأخذ بزمام الجمل، وسار بها حتى أوصلها إلى زوجها، دون أن يمسه بسوء، وعاد فوزع ما بقى لديه من مال حرام، وانقطع للعبادة في الجبل. ولما علم رجاله بأنه تاب على أثر ذلك الحادث، أطلقوا عليه “ابن عروس” لأنه سلك في حياته مسلكاً جديداً بعد لقائه بتلك العروس.

وأغلب الظن أن الرواية مختلفة لتبرير هذه النسبة، ولكنها لطيفة على كل حال، كتلك الرواية الأخرى التي تروي عنه بعد أن تاب:

قيل أن رجلين من عصابته، قاما بالسطو على دار أحد الأثرياء، وسرقا منها كيساً كبيراً مملوءاً بالحلى والجنيهات الذهبية، وحملا الغنيمة إلى مغارتها بالجبل، وطلب أحدهما من زميله أن يذهب ليأتي بطعام، وعند ما ذهب في هذه المهمة، كان صاحبه قد عقد العزم على أن يقتله، لينفرد بالغنيمة وحده، وأعد سكيناً لهذا الغرض، ولما عاد صاحبه بالطعام، وثب عليه وقتله، دون ان يعلم أن القتييل كان قد فكر نفس التفكير، فدس له السم في الطعام ليتأثر بالمسروقات، فلما أكل القاتل، سرى السم في أمعائه ومات.

وبحث زملاء اللصين عنهما حتى عشروا عليهما في المغارة. ولما بلغ الخبر لابن عروس ذهب إلى المغارة، ورأى زميليه القديسين صريعين، فأدرك ما حدث، وقال على البديهة :

حازوها المداهي دنيا تلاهي

عبوها في شكاير وفاتوها كما هي
ولابن عروس ديوان مخطوط بدار الكتب بالقاهرة، فيه من روائع
الزجل ما يرفع صاحبه إلى مصاف الحكماء الفلاسفة، على قلة حظه من
العلم والثقافة.

ومن أزجاله التي تتداول الألسنة بعض أبياتها كحكم ومواعظ قوله:

حرامي وعاصي وكداب عاجز هزيل المطايا
وتبت ورجعت للباب اصفح جزيل العطايا

ما يرفد الليل مغبول ولا يقرب النار دافي
ولا نطعمك شهد مكنون الا الصديق الموافي

لو كنت خائف من الله والا من القبر والهول
ما كنت تعترز بالجاه والظلم والجور والصول

الندل ميت وهو حي ما حد حاسب حسابه
وهو كالترمس الني حضوره يشبه غيابه

كيد النسا يشبه الكي من مكرهم عدت هارب
يتحزموا بالختش حي ويتعصبوا بالعقارب

الخسر يصبر على الضيق ولا يفرح لعادي
لو ينشف الفم والريق قم على الحال هاديء

وتقول عليهم نضاييف	تعمل تيابك بصابون
ما انتاش من الله خاييف ؟	وفي باطنك غل مكنون
***	***
ويريد مرق من حديده	مسكين من يطبخ الفاس
ويريد من لا يريده	مسكين من يصحب الناس
***	***
وانت على النحس ديمة	ان صادفك سعد ليام
عوجه تجي مستقيمه	اضرب عصاك لقدام
***	***
وحده ، وقلة رفاقه	قدامنا قبر وحساب
ما فيه للنور طاقة	والقبر مالوش باب
***	***
ولو طعمته الحلاوة	من يبغضك لم يحبك
والقلب كله عداوه	السن للسن يضحك
***	***
ولا الحصى في الأراضى	ما حد سالم من اهم
ولا هو من اهم فاضى	لا له مصارين لا دم
***	***
وتبقى نفسك عفيفة	كسره من الزاد تكفيك
وتنام في جنب الخليفة	والقبر بكره يطويك
***	***
الا على اللي ينامه	الليل ما هوش قصير
ما حد يسمع كلامه	والشخص مادام فقير

لا بد من يوم معلوم ترتد فيه المظالم
أبيض على كل مظلوم أسود على كل ظالم

ونختم القل صادقين مدح النبي سيد تمامه
من شرف الكون بالدين والمعجزة و الكرامة

الشيخ الفحام

هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم الفحام، نشأ في أوائل القرن الهجري الماضي -القرن التاسع عشر الميلادي - في مستهل حكم محمد علي، وتعلم في الأزهر الشريف، وكان ولوعاً بالأدب، ولهذا درس البديع والبيان والعروض، إلى جانب ما درسه من علوم الفقه الشريعة، وقد ظهر أثر شغفه هذا فيما نظم من الشعر والزجل، فان فيه من المعاني، والمحسنات اللفظية. والتشبيهات، والمقابلة والمطابقة، ما لا يتاح الا للمتمكنين من دراسة الأدب دراسة عميقة.

وفيما يلي مقتطفات من زجل طويل له، نلمس في ألفاظه مدى تمكنه من اللغة الفصحى، وقدرته على التلاعب بالألفاظ، مع خيال رفيع وسبك رائع. وقال :

في بحر حسنك والغرام والجمال

كام في محاسن مهلك من هلك

وان كان عدولي شبّهك بالهلال

با بدر - من لا يعرفك يجهلك

في بحر عشقك زد شجوني شجن

من مدمعي بحر الجوى قد وفي

أضحى بعير مقياس تجنى الجنون

وزاد على أهل الفسيح ما خفى

وصبح منادي الشوق على سأل
بالجود والبلبال وطال اكتفى

ونبت اشجاني لعب به هواك
وصرت عارق في لجاج الهلك
وان كان عذولي شبّهك بالهلال
يا بدر - من لا يعرفك يجّهلك

خالك بخدك جل من قد صنع
نقطة من العنبر على لوح نضار

أو صفر كاتب أو صحيفة عقيق
أو عبد زنجي يحرس الجلنار
أو هو مجوسي من كبار الجوس
رام السجود لما رأى الخد نار
في ما صفى لون خدك العندومي
بظهر سواد عين كل من أم لك
وان كان عذولي

لنا روى خدك صحيح الخبر
عن عارضك عن خالك العنبري
عن نكهة الربيق عن رحيق اللما

عن مبسمك عن ربقك السكري
بأن في رشفة حياة النفوس
وصح اسناد ثغرك الجوهري

فكيف تعجب من صحيح الخبر
يرويه نذير اللحظ عن سلسلك
وان كان عذولي

نسا زليخا لو رأوا يا عزيز
حسنك وشكلك والجمال الجميل
وطابع الحسن الحسن والدلال
واللحظ والطرف العضض الكحيل
لقطعوا منهم بدال الكفوف
أكباد ولا بالقطع يشفي العليل
وتخرس الألسن اذا ما رأوك
وهم يقولوا ذا ملك او ملك
وان كان عذولي

بالله يا ريم النقا والعذيب
بحسن نور وجناتك الأبرقين
جد بالشفاء واسمح بلثم الشفا
على أفر يا بدر بالشفوتين

وكل مفرح من صبا منحني
تروى دموع السفح من كل عين
يا كعبة العشاق ومروى الصفا
ريقك شفا يا سعد من قبلك
وان كان عذولي

وأخيراً يسفح الشيخ الرقيق المتغزل، الحب الوهان، عمن ملك
قلبه . وأطلق لسانه بهذا الغزل الحلو . فاذا به محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم، اذ يقول
يا فاتح الخير يا ختام الرسل
يا منتهي للعلم يا مبتدي
يا مصطفى أنت الصراط القويم
يا سر عين الغيب لمن اهتدى
ها أنت باب الله حياة النفوس
وخالقك قد ارسلك للهدى
وليلة الاسراء كم أرخوا
أدناك وبخالق الحسن كملك
وان كان عذولك شبهك بالهلال
يا بدر — من لا يعرفك يجهلك
وقد توفي الفحام رحمة الله عليه في عهد الخديوي محمد سعيد .

محمد عثمان جلال

ولد "محمد عثمان جلال" في عام 1828 ببلدة (وما القيس (من أعمال مركز الواسطى التابعة لمحافظة بنى سويف).

وكان والده موظفاً ببيت القاضي، وقد توفي وهو صغير فكفله جده لوالدته، وأدخله المكتب "الكتاب" فتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ شيئاً من القرآن، ثم أدخله مدرسة قصر العيني الأميرية - وكانت مدرسة ابتدائية - فلما أتم دراسته الابتدائية انتقل إلى مدرسة الألسن فتعلم فيها إلى أن أتم دراسته.

وقد قرأ أثناء دراسته فلها طائفة من الكتب الأدبية في اللغة العربية والفرنسية، وحفظ كثيراً من دواوين الشعراء .

وبعد أن تخرج ألحق بوظيفة حكومية ، وظل بها إلى سنة 1261هـ حيث انتدب لتعليم اللغة الفرنسية لأحد رجال ديوان الخديوي . واسمه "زايد افندي" كان محمد علي باشا وإلى مصر قد استخدمه لترجمة كتاب الشيخ الجزائري في مذهب أبي جنيفة النعمان إلى التركية !

وفي عام 1262 عين مترجماً بقلم الكورنتينات "الحجر الصحي" بمرتب شهري قدره مائة قرش، وفي أثناء عمله كان يقرض الشعر ويقول الأزجال، وأعجب رؤسأوه بما ينظمه من الشعر وبما يبدهه من الزجل، فرفقه إلى رتبة الملازم الثاني بمرتب قدره مائتان وخمسون قرشا "علوفة" للحمار

وحدث في عام 1264هـ أن تنازل محمد علي باشا عن الملك لابنه ابراهيم، ولم يمكث ابراهيم باشا طويلاً في الحكم، وخلفه عباس باشا الأول، وفي عهده أغلقت مدرسة الطب أبوابها، ثم عادت إلى العمل مرة أخرى في عهد سعيد، فعين محمد عثمان جلال مترجماً لمجلس الطب.

وفي هذه الأثناء فرغ من كتابه “العيون البواقظ في الأمثال و المواعظ” الذي استهله بمدح سعيد باشا، وهو قصص وحكايات يبلغ عجزها مائتين، تختتم بمواعظ وأمثال على ألسنة الحيوانات أو الطيور، نظم بعضها شعراً وبعضها زجلاً.

ويقول محمد عثمان جلال في مقدمة كتابه هذا : “أعلم أن الواضع لهذه الحكايات في الأصل رجل من رجال اليونان، يقال له أيثوب ، من قرية تسمى “أمرتوم” وكانت ولادته بعد تأسيس مدينة روما بمائتي سنة “. وقد أخذ محمد عثمان جلال تنتقل بعد ذلك في أعمال الحكومة، من ديوان إلى آخر، حتى تولى اسماعيل الحكم، فجعله مترجماً لديوان الواردات بالقاهرة، ومنح رتبة البكباشي في سنة 1279هـ، وأتيح له وقت فراغ كبير لم يكن يضيعه عبثاً فقد كان يشغله بترجمة الكتب الأدبية، والفنية أيضاً. وقد ترجم وقتها اربع قطع تمثيلية . ثم نقل إلى ديوان الحربية، فترجم بعض الكتب الخاصة بأمور الجيش وشيء العسكرية ، ثم عين بديوان الواردات بالاسكندرية ولكنه لم يمكث هناك طويلاً فقد نقل إلى القاهرة وعيد بديوان وزارة الداخلية، وكان رئيسها اذ ذالك هو الخديوي توفيق ، فرفع مرتبه، وجعله من المقربين اليه.

ولما تولى توفيق باشا الحكم، وقام برحلته المعروفة إلى الوجهين
البحري والقبلي عام 1880م سحب معه محمد عثمان جلال.
وفي الأيام الأخيرة لعصر الخديوي توفيق عُين “محمد عثمان جلال
بك” قاضياً بمحكمة الاسكندرية المختلطة، ولم يلبث بها طويلاً حتى نقل
منها إلى محكمة مصر المختلطة.

وقد استفاد من اللغة الفرنسية التي كان يجيدها اذ قوت أسلوبه،
وزادت معارفه وفي نفس الوقت أفاد اللغة العربية بها، فترجم كثيراً من
روائع الأدب الفرنسي، وعرف كثيراً من شعر “لافونتين” وغيره.
وكان يتمتع بخلق قوي، وصبر طويل، حتى أنه كان في أشد الأوقات
الضيق ميالاً للفكاهة والدعاية. فعند ما تأخرت ترقيته أرسل إلى رياض
باشا ناظر النظار وقتها –يقول:

الخير على الناس عم وفاض

وكل انسان استكفى

ويس أنا ياعم رياض

“وقعت من حرق القفه“

ومن الحكايات المنظومة بالزجل والتي أوردتها في كتابة المسمى
“العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ“، حكاية القط والفار التي يقول
فيها:

للقط والفار حكاية	يا ناس يا أهل الدراية
ولفتها من فنوني	في عرضكم تسمعوني
القط راح يصطاد	والصيد يعتاز صناعه

انحاش في فخ صياد جوا شرك يا جماعة

برهة وفار الخلا ، فات شاف الأسير في حباله
لما رآه وسط لقمات آمن من الموت وجاله

لما رآه وسط الشباك قاله له عفارم عفارم
يا هل ترى مين رماك يا عزنا يا بن غانم

قال له أنا قط غلبان اقرض بسنك حبالي
وبعدها خش الأوطان من القطط ما تبالي

يا فار يا أعز الأحباب يا بو نجايد طويلة
فك الشرك وافتح الباب واعمل معايا جميلة

قال له جميلة يا غدار ما في الجميلة منافع
احنا سمعنا مثل سار ماشي وفي الناس شايع

وهذه حكاية زجلية أخرى يقول فيها :

اسمع حكايات بالدور

هى عن لسان البهائم

وان فتها فاتك الشور

وتكون في الصحو نائم

كان الحمار جا من الغيط
والحمل من فوق رأسه
حملة ثقيل يشبه الحيط
زمه وضيع حواسه

شاف الفرس جي شبعان
ومن أذى الحمل خالي
قال شيل معايا ايش ما كان
قال روح مالك ومالي

لما تعب جحش لوطان
من نقل حملة وشيله
وقع على الأرض سقطان
بالموت واتهد حيله

جا صاحبه فك الأحمال
وللفرس جب كتافه
ودور الحمل في الحال
جا بالعجل فوق كتافه

ان كان لك خي حمال
واسية من بعض شوقك

أحسن بموت تحت حمل
بندار يجي الحمل فوقك

عبد الله النديم

ولد عبد الله بن مصباح بن ابراهيم النديم في شهر ذي الحجة سنة 1261هـ (1845)، ونشأ في ضيق من العيش فقد كان أبوه رجلاً فقيراً من أهل "الطيبة"

بمديرية الشرقية، ورحل إلى الاسكندرية عند ما ضاقت به الحال واشتغل نجاراً للسفن بدار الصناعة (الترسانة) ولم يعجبه هذا العمل فافتتح مخبزاً صغيراً يصنع فيه الخبز ويبيعه.

وقد أرسله أبوه إلى الكتاب كمان كان يفعل سائر الناس من طبقته فظهر تفوقه ولمع زكاؤه. وأراد أن يستمر في التعليم ولكن فقر ابيه أعجزه عن أن يرسله إلى الأزهر، فالتحق بمسجد الشيخ ابراهيم باشا بالاسكندرية وكان هذا المسجد صورة مصغرة من الأزهر، يدرس فيه المشايخ ما يدرس في الأزهر وبنفس الطريقة.

ولكنه لم يستمر في الدراسة اذ سئمها، ومال إلى الأدب وأخذ يغشى مجالس الأدباء، فيسمع شعر الشعراء وينصت إلى أزجال الزجالين حتى تكونت في نفسه ملكة النشر والنظم.

وكان لنشأته في صميم الأحياء الشعبية أثر كبير في أن تحيط احاطةً واسعةً بلغة الشعب وأدبه من أمثال وحكايات. كما كان لفقرة المدقع وبؤسه الشديد أكبر الأثر في تكوينه الأدبي.

ولما يئس منه والده بعد أن رآه قد ترك دراسته وسار في ركب الأدباء، نفض يده منه وتركه وشأنه، فأخذ عبد الله النديم يبحث عن عمل يكتسب منه، فاتجه إلى تعلم فن الاشارات التلغرافية، فلما أجادها عمل

بمكتب التلغراف ببناها، ولم يمض عليه في هذا العمل وثت طويل حتى نقل إلى مكتب القصر العالي في عهد الخديوي اسماعيل –ومقره الآن دار السفارة البريطانية بجاردن سیتی –حيث كانت تسكن والدة الخديوي.

ولقد استفاد عبد الله النديم كثيراً من عمله في هذا القصر، فقد عرف كيف يعيش الأمراء والسادة، كما عرف من قبل كيف يعيش الفقراء والعبيد في حارات الاسكندرية وأزقتها.

وفي القاهرة وأثناء عمله في القصر العالي عاد اليه شوقه القديم للأدب ورغبته في مجالسة الأدباء، فتعرف بكثيرين منهم امثال محمود باشا سامي البارودي، وعبد الله باشا فكري، والسيد علي أبو النصر الساعاتي، والشيخ أحمد الزرقاني وغيرهم.

ولم يطل به العمل في القصر العالي، اذ ارتكب خطأ في عمله مما أغضب “خليل أغا” عليه، وكان كبير أغوات الوالدة أم اسماعيل، وفصله من عمله.

وكان خليل أغا هذا رجلاً طويلاً وبدئنا إلى حد الافراط، وكوشه المستدير يبرز أمامه كأنه ألصق بالصدفة في هذا الجسم الضخم، وحبكت (النكتة على النديم فأنشد في الرجل زجلاً طريفاً غاية في النكتة والسخرية قال:

شوف الأغا في النغنا

زي التيران في المزرعة

لو كنت أنا صاحب الأغا

كنت اشتريله بردعة

وسمع الأغا زجل النديم فأمر بطرده من القصر، وأمر أيضاً بأن يضرب بالقباقيب حتى يغمى عليه.

واستقبل النديم عهداً جديداً من البؤس والحاجة. وراح يبحث عن عمل بقتات منه، فلما يئس رحل إلى الريف، وانتهى به الأمر إلى أن ينزل على عمدة إحدى قرى الدقهلية ، فأقام عنده وأخذ يعلم أولاده، ولكنه ما لبث أن خاصم العمدة، وكان سبب الخصام أن العمدة يرى أن عبد الله يأكل ويشرب وينام فلا حق له في أجر على تعليم الأولاد ... وكان النديم يرى أن الأكل والسكن هما حق الضيف على مضيفه ، وعندما اشتد الخلاف . تشادا ثم تسابا، وغادر النديم بيت العمدة، وأخذ يصوغ القصائد والأزجال في هجائه.

ثم اتصل أمره بأحد أعيان المنصورة وكبار تجارها، وكان زجلاً ذا مروءة، فاستدعاه وأكرم مثواه، وفتح له حانوتاً لبيع فيه المناديل وغيرها من “الخردوات” ولكنه حول المتجر إلى ندوة للأدب، فساءت حال تجارته حتى أفلس !

ثم أخذ يطوف بالبلاد، ويجوب القرى، وينزل عند الأعيان وهوواة الأدب، فيقابل منهم بالترحاب والاكرام، وأخيراً نزل إلى طنطا في سنة 1293هـ، وصادف مولد السيد البدوي قائماً، فحدثت له حادثة طريفة لفتت النظر اليه وشهرته بين الناس !

ذلك أنه بينما كان جالساً في قهوة مع طائفة من أصحابه، اذ جاء بعض “الأدبائية” و أخذوا ينشدون أزجالهم أمام الجالسين، فلما وقفوا أمام مجلس عبد الله النديم قال أحدهم:

أنعم بقرشك يا جندي
والا اكسنا امال يا افندي
أحسن أنا وحياتك عندي
بقى لى شهرين طول جوعان
فأجاب عبد الله النديم على البديهة :
أما الفلوس أنا مديثي
وأنت تقول لى ما مشيشي
أطلع عليا يا حشيشي
أقوم أملص لك لودان

فرد الأدبائي ورد النديم ، وظلا كذلك ما يقرب من ساعة، حتى
أفحم الأدبائي .ومضى مهزوماً !

هذه الحادثة أذاعت صيته في طنطا، فأراه أحد أعيانها الحبين
للأدب، واسمه شاهن باشا كنج، ثم استدعاه وجيه آخر اسمه “التوتونجي
بك” وأسند إليه الاشراف على ضياعه، ولكنه لم يمكث طويلاً في هذا
المنصب، اذ غادر طنطا إلى مسقط رأسه بالاسكندرية.

وفي سنة 1879م وهو يومئذ في نحو الخامسة والثلاثين من عمره،
فكر مع بعض اصحابه من أعضاء جمعية “مصر الفتاة” في أن يحولوا هذه
الجمعية من جمعية سرية إلى جمعية تعمل في العلانية، ونفذوا الفكرة ،
وسماها “الجمعية الخيرية الاسلامية” - وهي غير الجمعية القائمة الآن بهذا
الاسم - وكان من أهم أغراضها انشاء مدرسة قومية لتعليم الناشئة،

وأنشئت المدرسة فعلاً، وجعل عبد الله النديم مديراً لها، وكان ذلك في آخر أيام اسماعيل.

وقد كان عبد الله النديم كما تقول الروايات قبيح المنظر، ولكنه كان يتمتع بطلاقة اللسان وخفة الروح وسرعة البديهة، وكان مفرط الذكاء. ويقول أحمد باشا تيمور في ترجمته لعبد الله النديم :

“كان شهبي الحديث، حلو الفكاهة، اذا أوجز ود المحدث أنه لم يوجز، لقبته مرة في آخر اقامته بمصر فرأيت رجلاً في ذكاء (اياس) وفصاحة سحبان، وقبح الجاحظ، أما شعرف فأقل من نثره، ونثره أقل من لسانه ، ولسانه الغاية القصوى في عصرنا هذا.

كان العصر المصري في تلك الأثناء في اضطراب وهرج ومرج من اختلال الأحوال، وفساد الحكام، فلما وفد المترجم، يقصد عبد الله النديم -على الثغ ، رأى لفيفا من الشبان ألقوا جمعية سموها “بمصر الفتاة” يتأمرون فيها سراً خوفاً من بطش الخديوي، فعرف منهم البعض، واشتغل بالكتابة صحف الأخبار، فأعجب الكتاب بمقالاته، واقتندوا به في تحسين الانشاء، ثم سعى مع جمع من الأدباء فألقوا جمعية سموها “الجمعية الخيرية الاسلامية” سنة 1296هـ آخر سني اسماعيل في الحكم، وجعلوه مدير مدرستها “.

ثم وثق عبد الله النديم الصلة بين المدرسة والقصر، وكان اسماعيل قد عزل، وتولى الحكم بعده الخديوي توفيق، فتقرب اليه النديم واستمراره المدرسة فزارها في يوم امتحان تلاميذها، وجعلها تحت رعاية ولى عهد عباس.

وقد أخذ النديم يدعو في مقالاته وخطبه إلى التعاون والاتحاد كما ألف قصة تمثيلية سماها "الوطن وطالع التوفيق" وأخرى سماها "العرب" ثم مثلها مع تلاميذه بأحد ملاعب الاسكندرية بحضور الخديوي، مما جعل الناس يتحدثون عن النديم ويلهجون بذكره. ثم ظهر فساد في الجمعية نسبوه اليه ففصل من المدرسة ومن الجمعية، وأنشأ صحيفة "التبكيك والتبكيك" التي مزج فيها الهل بالجد، وقد ظهر العدد الأول منها في 8 رجب سنة 1298 (6يونية سنة 1881)

وقد ظهر في أثناء ذلك وميض الثورة العرابية التي انضم النديم اليها، وراح يخطب وينظم القصائد الحماسية في تمجيدها، واتخذ جريدة "الطائف" لسان حال لها، وأخذ يحمل فيها حملة عنيفة على تصرفات الخديوي في جرأة بالغة، ويصور حياة البؤس التي يحياها الفلاحون وهو يطوف داعياً للثورة العرابية في كل محفل، حتى في حفلات الأفراح فكان اذا سئل المعني محمد عثمان :

أين تغني الليلة؟

قال: في الفرح الفلاني مع عبد الله نديم!

ولما قامت الحرب بين الانكليز والمصريين سافر النديم مع جماعة من رؤساء الجند إلى الاسكندرية، وبات بها ليلة، ثم لحق بعراي، وعندما هزم في كفر الدوار انتقل معه إلى التل الكبير، وكان يصدر "الطائف" وهو بالمعسكر ويضمنها أخبار انتصارات وهمية ليرفع من الروح المعنوية للجنود، وعندما فر عراي إلى القاهرة فر معه عبد الله النديم، وكان ذلك في يوم الأربعاء 29 شوال سنة 1296 هـ، ثم اتفق مع العرابيين على أن يسافر

إلى الاسكندرية بكتاب إلى الخديوي يلتمسون فيه العفو، ولما وصل إلى كفر الدوار، بلغه نبأ القبض على زعماء الثورة، ودخول الانكليز القاهرة فعاد إليها ليلاً وبقي في داره بجهة العشماوي إلى الصباح وخرج مع والده وخادمه .فركبوا عربة وقصدوا إلى بولاق، وهناك ودعه أبوه ، واختفى هو وخادمه وبقي محتفياً عدة سنين !

وجدت الحكومة في البحث عنه حتى أنها أعلنت عن مكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عنه، وتوعدت بالعفوية القصوى من يخفيه .ولكنه ظل عشرة أعوام وهو يتخفى بجبل شتى...

وقد كان في رحلته براً بخادمه “حسين” الذي غير اسمه فسماه “صالح” وزوجه، وعلمه القراءة والكتابة، وحفظه جملة سور من القرآن، وعلمه مبادئ الفقه والتوحيد واتخذه صاحباً.

ولما أعيى الحكومة أمره، أصدرت عليه حكماً غيابياً بالنفى المؤبد من القطر المصري، وراح ينتقل من قرية إلى أخرى، وكان أشد ما يؤلم نفسه مشاكسة زوجته له، فقد كانت شديدة الوطأة عليه حتى أنها كانت تضربه على فمه إلى أن تدمي أسنانه ...وبهذا اجتمع عليه التشريد والفقر و الخوف والحرمات من الشريك الطبيب العشرة وأخيراً نزل ببلدة “الجميزة” مركز السنطة فعرفه عمدتها وكتم أمره .وهناك أبصر به رجل اسمه “حسن الفرارجي” -وكان جندياً ثم استخدم جاسوساً سرياً -وشك في أمره فأسرع إلى ديوان الداخلية حيث أخبر رجال الحكومة بارتياحه في هذا الرجل، وهناك أطلعوه على صورة النديم فعرفه، وأكد أنه هو فأمروا بالقبض عليه !

فقبض عليه في شهر صفر سنة 1309 هـ .ولو أنهم عثروا على كتبه وأوراقه لأصابه شر كبير لأنها كانت تحوي كثيراً من الهجاء في الخديوي وأسرته .

ثم أرسل إلى طنطا للتحقيق معه فكان من حسن حظه أن وكيل النيابة اذ ذاك هو قاسم بك أمين .فأحسن معاملته وأمر بأن ينظف مكانه في السجن، ويضاء كما يريد، وأن يمكن من شرب القهوة والدخان ، وأمده بمال من عنده.

والعجيب أن الواشي لم ينل شيئاً من المكافأة لقوات الأجل الذي كان مضروباً للابلاغ عن الهارب .

وبعد أن قضى النديم في السجن فترة، أمر الخديوي توفيق بالعبء عنه وابعاده عن مصر إلى أي جهة شاء، وقد اختار (يافا)، ونزل بها في غروب يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1309 صيفاً على السيد “على أبي المواهب” وهو مطرب مشهور فيها ، ومكث عنده شهراً، ثم اتخذ له داراً جعلها منتدى للأدباء والعلماء، وقد أكرمه أهلها وأعيانها وواسوه، ثم تنقل بين كثيراً من مدن فلسطين، واجتمع بطائفة السامرائيين واطلع على كتبهم ومعتقداتهم، ظل مقيماً حتى مات الخديوي وتولى الحكم عباس، فعفى عنه وسمح له بالعودة إلى مصر سنة 1892 فعاد واستوطن القاهرة ، وأنشأ مجلة “الأستاذ” وبدأ بها جهاده من جديد .فأصدر أول عدد منها في شهر صفر سنة 1310 هـ (23 أغسطس 1892) وكان ينشر فيها إلى جانب مقالاته القوية أزرالاً وطنية .

وقد فوجئ بعد رجوعه بموجة عارمة من الانحلال الخلقى في البلاد، فأخذ يحارب هذا الفساد، ثم علا صوته في الميدان السياسي مناصراً الحركة الوطنية ومناهضاً للاحتلال، حتى أزعج الانجليز فأغلقوا مجلته في شهر ذي القعدة من نفس العام الذي صدرت فيه.

وطلب اللورد كرومر من عباس نفيه فنفاه. فعاد إلى “يافا” حيث كان قبل العفو عنه، ورتبت له الحكومة المصرية خمسة وعشرين جنياً شهرياً يعيش بها على شرط ألا يكتب شيئاً في الصحف بتصل بسياسة مصر. وبعد أن قضى أربعة أشهر في “يافا” وشى به بعض الوشاة وقالوا اخطعن في سياسة الدولة العلية. ويلمز السلطان، فصدر الأمر بإبعاده عن فلسطين، فخرج الرجل منها يدرع الأرض ولا يعرف أين يستقر، ونزل الاسكندرية أياماً، ثم سافر إلى الأستانة وعين مفتشاً للمطبوعات بالباب العالي، وكان قد سمي له العازي أحمد مختار باشا حتى قبله السلطان “عبد الحميد” واستخدمه في ديوان المعارف ورتب له خمسة وأربعين ديناراً مجيداً في الشهر وكان المقصود بهذه الوظيفة اسكاته حتى لا يطعن في سياسة السلطان.

وأمضى بقية أيامه بالاستانة بعيد عن وطنه وأهله. وكان طول التشريد وعدم الاستقرار قد أنهكه، فأصيب بالسل، واشتد عليه المرض : وعلمت أمه وأخوه بشدة مرضه فسافرا اليه ولكنهما لم يدركاه الا ميتاً، وكانت وفاته في العاشر من أكتوبر سنة 1896 (4 شهر جمادي الأولى سنة 1313) وهو في نحو الرابعة والخمسين من عمره، واحتفل بجنائزته احتفالاً كبيراً ومشى فيها جمال الدين الأفغاني.

والمعروف عن النديم أنه كان ضعيف الجسم كثير العلل، وربما كان هذا هو أهم سبب في موت أولاده في طفولتهم ، فقد رزق قبل أن يحتفى بمحمد، وعثمان، والياس، وفاطمة وعائشة، وسكينة، وخديجة، كما رزق الاستحقاق بحفصة ورقيا .ولكن لم يعيش أحد منهم.

والمعروف أيضاً أنه كان على الرغم من ضعفه ومرضه دائم العمل، دائم الحركة، وربما أراد بذلك جلد اسمه بالعمل بعد أن حرم من تخليده بالولد .

ودفن النديم بمقبرة يحيى أفندي في بشكطاش بتركيا. وقد ضاعت دواوينه ومؤلفاته لعدم استقراره وكثرة ترحاله، ولم يظهر منها الا جزء من “كان ويكون” كان يطبعه كملحق لمجلة “الأستاذ” وقد ألفه في المخبأ ، وكان يريد من تدوينه عرض خلاصة أفكاره، ووضع على نمط فصوص وكتاب آخر اسمه “المسامير” وهو في هجاء “أبي الهدى الصيادي” في الأستانة وقد كان عبد الله النديم في جميع أضرار حياته يقول الزجل فيبدع فيه، وهذا أحد هذه الأزجال الاجتماعية التي قالها :

اسمع حكاية تهدي الشوق لأبن الذوق

تعجب الأنسى والجان

رأيت جدع في ايده مكبه زي القبه

فقلت أهلا بالمنصان

مديت إيديا اكشفها لجل أعرفها

قال لى ارتجع ياشيخ رسلان

فقلت أنا بدى اتفرج حد محرج

قال لي تعالى في البستان
طاوعت ثورته ومشينا على رجلينا
حتى رأينا غصن البان
دخل يهرول قدامي ع الأقدام
وأنا وراه أجرى وتعبان
رأيت جماعة في قاعة تلك الساعة
جملة شيوخ ويا شبان
والكأس على اخوانا دابر والواد حابر
يسقى و ييفرق دخان
قلت السلام يا أهل الحانة من شيخ بانه
قالوا السلام يا شيخ الجان
قرب تعال وخذ لك كاس كده زي الناس
فقلت أنا عطشان وجعان
نادوا وقالوا للخادم قوم يا راسم
وهات لنا لحمه خرفان
قام الولد زي العفريت و يا سي بخيت
وجاب طعام أشكال والوان
فقلت أنا يا ناس صايم الله دايم
انتم تركتم للأديان
قالوا صيام ايه يا سدنا ايدك بايدنا
دا اليوم تسعتاشر شعبان

فقلت شعبان يا حسرة فاتت عشرة
وستة من ايام رمضان
قالوا غلطنا في حسابنا بين احبابنا
نفطر ونقضي طول الزمان
قلت اختشوا وارموا الكاسات يكفى حسرات
ايه دا الهلاك ايه دا الخسران
ضحكت أوروبا على عقولكم لجل تطولكم
بالخمر والقول و النسوان
وراح صلاحكم و يقينكم بل راح دينكم
لما استحلثتوا البهتان
توبا عن الخمرة يا ناس ورموا الكاس
وارجوا من الله الاحسان
فقام جدع منهم شاطر كان مش فاطر
كسر الأثاني في الأركان
وقال لهم احنا كفرنا والا نفرنا
من ربنا وحكم القرآن
تلقى العمدة عند الامساك شربوا الكونباك
فانظر صيام من بات سكران
باعوا القدادين للاروام بيع الأوهام
وأصبح الوطني غلبان
اسأل بقى (جورجي وبني) مش تسألني

تلقي الفلوس راحت اليونان
لما تكتنا هنا في الحان قامت النسوان
طلعت تدور حول الغلمان
يا دي الفضيحة و الجرسة عيشة نجسة
صبح بما العاقل حيران
كان في الرجال يا ناس غيره تحلى السيرة
فين ضيعوها بالهذيان
الخبص ان كان يملككم راح يهلككم
وبصير العايم وحلان
نصحت اهلى وأحبابي مع أصحابي
والنصح قالوا م الايمان

إسماعيل صبرى

ولد اسماعيل صبرى في 16 فبراير 1854 على رواية كتاب "تراجم مصرية وعربية" للدكتور محمد حسين هيكل ص 168 وولد في سنة 1861 على رواية كتاب "مشاهير شعراء العصر" لأحمد عبيد ...

والأرجح أن رواية الدكتور حسنين هيكل هي الأوضح . اذ الثابت أن اسماعيل صبرى سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق في 17 مايو سنة 1872. وليس من المعقول أن يسافر لهذا العرض وهو علام في الثانية عشرة من عمره على رواية أحمد عبيد . ومن الثابت أيضاً أنه حصل على ليسانس الحقوق من كلية اكس بفرنسا في 13 ابريل سنة 1878، ولو أنه ولد في سنة 1861 لكان معنى هذا أنه نال ليسانس الحقوق وعمره 17 سنة . فالأصح أنه نالها وعمره 24 سنة وأن سنة 1854 .

وقد بدأ اسماعيل صبرى ينظم الشعر طالب في المرحلة الثانوية ، فقد نشرت له "روضة المدارس" -وهو في السادسة من عمره -مقطوعات شعرية رقيقة، ومضى خلالها بريق نبوغه المبكر.

وكان - كسائر المرفهين من أبناء عصر يستمع إلى مشاهير المطربين فلم يعجبه ما يتغنون به من نظم مفكك ومعان ضعيفة احدى الليالي ، كان يستمع إلى محمد عثمان فعرض عليه بعض جلسائه أن ينظم له الأغاني، التي تتناسب مع قدرته الفنية، فان اسماعيل صبرى أن ينظم الأغنية فوراً، وان يتغنى بها محمد عثمان في نفس الليلة ، محمد عثمان الشرط مغتبطاً،

فاختلى الشاعر بنفسه فترة خرج بعدها بهذه الأغنية الشعبية، فكانت أول

منظومة باللغة العامية ينظمها الشاعر الكبير قال :

قدك أمير الأعصان من غير مكابر
وورد خدك سلطان على الأزاهر
والحب كله أشجان يا قلبي حاذر
والصد ويا الهجران جزا المخاطر

ياقلب أدى انت حبيت ورجعت تندم
صبحت نشكى مالقيت لك حد يرحم
صدقت قولي و رأيت ذل المتيم
ياما نصحتك و نمت لوكنت تفهم !

أعرض لحسبك أوراق واكتب وادون
آبات صريع الأشواق واحسب واخمن
صجر وصبايه وفراق يا رب هون
وارحم قلوب العشاق دا شيء يجنن !

وله مقطوعة أخرى قيل انه نظمها وهو طالب ، يقول فيها :

خلى صدودك و هجرك
واطفى لهيبي ووجدي
ساعة وصالك وقربك
أغلى من العمر عندي

بصدى انتم رضيتم

و هان عليكم بعادي

وانتم قطعتم ودادى

الله بصير فؤادي

وكان اسماعيل صبرى مولعاً بالمواويل . يجب سماعها ويجب نظمها ،
ومن مواويله الرقيقة التي راعى فيها الجناس التام قوله :

في ظل أهداب عيونك و رد خدك قال

وحسن يوسف ميراث عنه لوجهك آل

والشمس ويا القمر من حسنهم لك آل

لو قلت للصب قول : كل الملاح جندي

ولي الجمال أجمعه من غيرك مشارك قال

وقد توفي اسماعيل صبرى في 21 مارس سنة 1923 وكان قد
حصل على لقب (باشا) لما تقلده من رفيع المناصب، بالغاً من العمر
69 عاماً وشهراً واحداً يومين.

وقد أقيم له مهرجان تأبين بمدرسة “دار العلوم بالمنيرة” اشترك فيه
جميع شعراء مصر في ذلك الحين ، ورتوه بقصائد ذكرت الأمة العربية
بسوق “عكاظ” .

محمد حفي ناصف

هو محمد حفي بن الشيخ محمد اسماعيل بن خليل بن ناصف.

اختلف في تاريخ مولده، كما اختلف في مسقط رأسه :
ففي بعض المراجع أنه ولد سنة 1372هـ (1855 م)
وفي البعض الآخر أنه ولد سنة 1277هـ (1860م)

أما مسقط رأسه فقيل انه ولد في قرية بركة الحج من أعمال القليوبية ،
وعير أن له بجنأ يقول فيه انه علم أنه سمي “حفي” سبة إلى قرية اسمها
“حفن” ، وأنه أراد أن يحقق مكان مولده فبحث عن هذه القرية، ثم يورد
ما أسفر عنه بحثه من وجود أكثر من قرية بهذا الاسم، بعضها ينطق بضم
الحاء، وبعضها ينطق بفتح الحاء والفاء .

وقد نشأ محمد حفي ناصف فقيراً يتيماً، فتولى تربيته خاله
واحتضنته جدته لأبيه ، فلما صار صبياً أدخل الكتاب . فتعلم فيه القراءة
والكتابة، وحفظ القرآن وجوده . ثم أعاد حفظه وهو في الثالثة عشرة ،
وكان فقيه الكتاب رجلاً قاسياً ، حاد الطبع، فكان يضرب محمد حفي
ضرباً مبرحاً، مما أرغم الفتى على الهرب من بلدته إلى القاهرة ، فلما وصل
إلى العاصمة، كان همه أن يبني مستقبله، فالتحق بالأزهر الشريف وظل
يتلقى العلم فيه تسع سنوات كان فيها مثلاً للجد والمثابرة، وفي هذه الفترة
عرف جمال الدين الأفغاني وأخذ عنه، ثم أتيح له أن يحج إلى بيت الله
الحرام وهو طالب.

وعندما قامت القور العرابية، ساهم فيها بحماسة واخلاص .فكان بعد الخطب المنبرية المثيرة ويوزعها على خطباء المساجد، الذين يلقونها على أسماع المصلين، فتشعل جدوة حماسهم .

ولما أنشئت مدرسة دار العلوم التحق بها، وتخرج فيها بتفوق ملحوظ، ثم عين مدرساً للغة العربية، واختير ناظراً لمدرسة العمى والبكم، ونقل بعد ذلك مدرساً للمنطق بمدرسة الحقوق، وأثناء ذلك أحب القانون فدرسه، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية، ورقياً وكيلاً لمحكمة طنطا، وأنشئت الجامعة المصرية القديمة في ذلك الوقت فاختر لتدريس الآداب العربية فيها إلى جانب وظيفته، ثم عين رئيساً لتفتيش اللغة العربية بوزارة المعارف، وظل في هذا المنصب إلى أن أحيل إلى المعاش.

وأثناء خدمته للحكومة اختير لتمثيل مصر في كثير من المؤتمرات، كمؤتمر العلوم الشرفية الذي عقد في مدينة فينا، وفي هذا المؤتمر قد كتاب “مميزات لغة العرب “، وحضر مؤتمراً في أثينا وقدم فيه رسالتين عن “السيدة هاجر “أم سيدنا اسماعيل ، و “مارية القبطية “زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان حفي ناصف لا يكف عن نظم الشعر والزجل .ولا ينقطع عن مداعبة زملائه ، واصدقائه بفكاهته المنظومة والمنثورة، كما اشتغل بالصحافة ، فحرر في الوقائع المصرية، وكتب في الاهرام بتوقيع مستعار هو “محمد بن ادريس “كما كتب في المؤيد وغيره من الصحف.

وكان نثره رقيقاً متيناً ، يكثر فيه من السجع حتى ليكاد يكون شعراً ...وأصدق وصف لنثره وللمقارنة بينه وبين شعره، ما وصفه به الأستاذ

عباس محمود العقاد اذ يقول : “فاذا رجعنا إلى قصائد حفني ناصف جميعها لم تجد بيتاً واحداً بدل على سليقة مقطورة على استيعاب المحسوسات، أو نكتة تخرج عن مفارقات الألفاظ واللعب بالأوضاع والأشكال ... وأدنى من ذلك إلى التفرقة بين النثر والنظم أن تراجع قصائده ورسائله فاذا هما في الجوهر متشابهان لا فرق بينهما في جميع المزايا والألوان، فلا تخسر القصيدة ذرة من جوهرها اذا أصبحت رسالة ، ولا تتغير الرسالة ذرة في جوهرها اذا أصبحت قصيدة . لأن العنصر الغالب على النوعين هو المعاني التي يستوي فيها المنظوم والمنثور، ولا نستلزم الشعر دون غيره من أدوات التعبير “.

خذ مثلاً قوله في الشكر على هدية عنب.

“وصل يا مولاي إلى هذا الطرف، قفص من عنب كالؤلؤ في الصدف، تتألق عناقيده كأنها من صناعة “النحف “، ولعمر الحق أنما الحقتنه من أحلى التحف، لا يعثر على مثلها الا بطريق الصدف فقابلناه لثما بالافواه، ورشفا بالشفاه، واحتفينا بقدومه كل الاحتفاء، ولم نفرط في حبه عند اللقاء، بل حللنا له الحبي، وقلنا له أهلاً وسهلاً ومرحباً، وأوسعناه عصا ولثما، وتناولناه لجميتما وصما، وحفظنا في صدورنا سره المكنون، وطويناه في غصون البطون، فطربت من تعاطيه الارواح، ولا غزو فهو أصل الراح، وانتشيناه ولم نحمل وزرا، وتملنا ولم نذق طعماً مرأً، فهو كيبان مهديّة

سحر ولكنه حلال ولعب الا أنه كمال “.

أما شعر حفني ناصف فكان غاية في السهولة والرقّة حتى ليكاد
ينافس الزجل في بساطته ومن أمثلة رقة شعره ما قاله للوزير الذي رماه
ونقله إلى قنا، فقد ارسل له من هذا البلد الشديد الحرارة قصيدة يقول
فيها متهكماً في صوره جاد .

رقيتي حسا ومعنى

فلصنعك الشكر المثني

وجعلت رأس الحاسد

بن بمصر من قدمي أدنى

وجعلت سدة منزلي

من أسقف الهرمين أسنى

قالوا نقلت إلى قنا

يا مرحبا بقنا واسنا

قالوا رمت طبخا او علا

الحبز الق الجوفرنا

يكفي لترويح الأواة

أن يقال قنا فتقى

والقصيدة طويلة ، نكتفي بها بهذه الأبيات التي تصور ما طبع عليه
حفني ناصف من حب الدعابة الرفيعة، وخفة الروح مع الاحتفاظ بالوقار
الواجب لمن كان في مثل علمه وفضله مركزه .

وأزجال حفني ناصف طراز رفيع من الزجل، فيها اللفظ العامي

الرقيق، والنسج السلس الخفيف، والمعنى الرائق، والنكتة المستملحة، ومن

نماذج أزجاله زجل لطيف قاله في مناسبة غريبة نذكرها هنا أولاً لطرافتها،
وثانياً لأنها تضم نموذجاً لأزجال علم ذخر من أعلام الزجالين هو “محمد
صدقي باشا“.

حدث أن كان حفني ناصف قاضياً لمحكمة طهطا وخطر له أن يزور
شكري باشا الذي كان يومئذ رئيساً لمحكمة طنطا الكلية، فسافر إلى هناك،
واعد له شكري باشا وليمة دعا إليها محمد صدقي باشا الذي كان يومئذ
رئيساً لمحكمة طنطا الجزئية كما دعا علي بك جلال الذي كان قاضياً
لمحكمة السلطة، وبعد أن أعد الطعام دعى الضيوف إلى غرفة المائة فخلع
حفني ناصف سترته، وتركها في غرفة الاستقبال مع علبة سغوطه، وكانت
من الفضة الخالصة ومنقوش عليها اسمه، كما ترك الضيوف الآخرون بعض
أمتعتهم، كالطرابيش والعصى، وأثناء تناول الطعام دخل الغرفة خادم ،
كان جديداً في خدمة الداعي، فانتهز هذه الفرصة وسرق كل ما تركه
الضيوف في الغرفة، وعندما ذهب لبيع علبة الضغوط لأحد الصياع لاحظ
الرجل الاسم وقبض على الخادم وسلمه للشرطة، وأعيدت المسروقات إلى
أصحابها، وأراد صدقي باشا أن يداعب صديقه حفني ناصف فأرسل له
زجلاً طويلاً تقتطف منه هذه الأبيات، قال :

الشوق إلى نظم الأزجال

غلب على أمر القاضي

والقصد أشرح واقعة حال

ما دمت فاضي اعمل قاضي

قالوا عمل مركوبي جميل
قلنا يفوقه في الادراك
أبو جلال من ألفين ميل
شم الطبخ من غير أسلاك

سقط على صاحب احسان
رئيس قضا قسم الدلتا
ضافه وضاف قاضي خزان
يرسم وينظم بالخته

في المندره قلع الفستون
طربوشه وعصايه وعلبه
صعد إلى السفره ممنون
من صاحب البيت والصحبه

انشب ضوافره في البوفتيك
كأنه تضميني العالي
نقاد على كفه كام شيك
يفرز ويجتاز العالي

دخل حرامي البيت مرتاب
يرجف وقلبه تقول ساعة

لما رآه من غير حجاب

النفس دائما طماعه

جنى الشقي من غير ابطاء

على الثلاثة في طنطا

سرق محاكم حرف الطاء

طنطا و طهطا والسنطه

صاروا الثلاثة في حيص بيص

حتى بكى الشاعر رقه

قام الملاحظ بالتمحيص

ضبط غريمهم والسرقه

قال الشقي الفستون منقوش

ميكروب وقصدي تطهيره

المسروقات جات له بلوش

ان كان دفع يدفع عبره

تركت طربوشه الجربان

وأخذت أحسن بالتحقيق

لانه لا ينفع انسان

وللا لابراهيم توفيق

شمسية القاضي الرسيم
أخذتها عندي تذكار
برأني في سرقة برسيم
من مربع الباشا الفشار

ما في السلب الا طربوش
رئيس فضا طنطا الأزهر
والباقي كله نحس وبوش
حرقه لأصحابه أستر

حفني وآدى اربع مرات
مالك ذهب و رجع تاني
كأنه في كل الكسرات
سناره تصطاد الجاني

سرح هدومك مع مظلوم
تهدي النيابة المحتاسه
يكشف بها نصب الفيوم
ويصيد لصوص المكاسه

أما الخلاصه اني الآن

أصبحت في ديل الشعرا

زجال جلاله حفني خان

سلطان سلاطين الفقرا

وقد رد عليه حفني ناصف بزجل فكه طويل، نكتفي منه بهذه

المختارات . قال :

مني لسيد الزجاله

ألفين سلام فوقهم بوسه

مالوش شبه في الزجاله

يخلق من الهبيك دوسه

زجال جلالتنا المحبوب

حامل لواء جند الشعرا

حايذ نشان رعرع أيوب

ومعاه لقب جاب اليسرا

في كل يوم بيعت مكتوب

نكات عاملها بالعاني

يعجب على المال المسلوب

ازای ما يرجع من تاني

يا عم أنا مالي مسوجر

مال الصبا ماليش غيره

ما فيهبش خمسه من البوكر
ولا جديد من الزيرو

قاريء عليه العديه
ومحصنه بالطشوشي
تروح وتيجى النقديه
واللطح يطلع بللوشي

يتعب ويشقى ويشحطط
ويظن أنه صاد صيده
ويفوق يلاقيه اتربط
ولا ينوبه الا الكيده

بتشتري في القول ونبيع
يا ما انت شاطر في التأليس
وانت يوم قاضي توزيع
واربع شهور مأمور تفليس

مكتوب على جيبك يافطه
فيها (النضافة من الايمان)
وان جاك حرامي في طنطا
يطلع من السرقة خسران

على عزومتين في الفسحة
تعمل زجل يطلع وشين
والبطن اتابي لها حرقه
تقعد من العاقل شهرين

فتة ملوخيه بفروج
تاكل صوابك وياها
والشرب م الماء المثلوج
أكلة حلال ما أحلاها

وأكلة الريس دي تفوق
على الجميع عقبال عندك
وان كنت عاوز مره تدوق
قدم طلب ان كان بدك

ياما عزومات رديتها
وقبلت بس الاتنين دول
قروض عليًا اديتها
اكنمها م الحول للحول

ما فيش نفر واحد يطلع

يقول أكل عندك مرة
كانون سعادتكم زرع
والتلج فوقه للمره

اياك يجيلك يا صدقي
في الترقية الجايه قرشين
ويسكنوك في باب شرقي
ان لم يكن بين الهندين

اعذر صديقك في التأخير
لان حاله كان واقف
وبا وسحره وشغل كثير
الله يساعذك يا ناصف

الشيخ لهلبها

ولد الشيخ عبد الله لهلبها في مدينة اسنا، احدى مدن
الصعيد الأعلى، وهاجر إلى عدة بلاد، حتى استقر به
المقام في مدينة المنيا، وهناك تزوج وانجب، وكان رجلاً
صالحاً .

فوجد كثيرين من الناس يقبلون عليه، ويعتقدون أنه رجل "مبوك" فكانوا
ينزلونه عندهم أياماً وشهوراً، ويكرمون وفادته.

وكان الشيخ النجار من المعجبين بما يقوله الشيخ لهلبها من
المواويل، فكان يرأسله ، كما كان الشيخ لهلبها يكتب للنجار بعض
المواويل، من الفن الذي يسميه أهل الصعيد "الواو" .

ومن المواويل التي نظمها قوله :

آن الأوان يا حبيب قلبي وعدا فات

عامين وشهرين على الفرشه ، وعدا فات

طبيب لجراح مضيعني ، وعدا فات

ياريت طبيبي ماجا عندي ولا راش لي

حكم دواه نار تكوي الجرح وأذى له

من سوء بختي عاودني ، ومن دواه راش لي

وفز منطور ولفح الخرج وعزاله

ولا حد جاني من أحبابي ولا راشلي

أنا قلت يا ناس ما بيش جراح عايزاله

هو الذى كان سبب سقمي وعدا فات

وله أيضاً هذا الموال وفيه جناس جميل :-

سير يا نسيم يمة أحبابي وسليهم
وقل لهم خلهم ف الحب يال ليهم
في القرب والبعد أنا برضه أسليهم
راح النسيم للحبايب بالعجل جاني
أنا ف غرامهم شهد لي الأنس والجاني
ع البعد والقرب اهواهم واسليهم

حسن الآلاتي

هو حسن بن علي الآلاتي، ولد من ام تركية كانت من جوارى فصور آل عثمان، وأب مصري... لعله كان من المشتغلين بالموسيقى .

فقد كان يطلق على المشتغلين بهذا الفن "الآلاتيه"، ولعل هذا يفسر لنا أيضاً تعلق الشيخ حسن بالغناء، وممارسته له في كبره. واهتمامه بنظم الأغاني وغنائها بنفسه.

وكان مولده بدرب الأكراد بحي المنشية بقرب القلعة بالقاهرة، فلما شب التحلق بكتاب قريب من بيته، ثم انتقل إلى الأزهر، فظهر نبوغه، وحقق كثيراً من علومه، وحظى بمكانة رفيعة أهلته لأن يكون صديقاً لكثيرين من أعلام الأدب في ذلك الوقت، فكانوا يقصدون مجلسه، ليستمعوا إلى منظوماته من الشعر والزجل، ولكنهم كانوا يستملحون أزراله، ويستظفون فكاهاته ودعاباته، حتى أطلق على مجلسه "المضحكخانة العلية".

ودفعه حبه للتكيت إلى وضع كتاب سماه "نزهة النفوس ومضحك العبوس" فوجد اقبالاً كبيراً... وقد قيل أنه فقد بصره في صغره، وقيل انه أصيب بفقد البصر على كبر .

ولحسن الآلاتي زجل طويل، يصف فيه حفلة زفاف ابنته، نقتطف منه ما يعطينا صوراً لأفراح ذلك العصر... ومن أسماء الذين حضروا العرس، نستطيع أن نحكم على مكانة الرجل بين أهل الفن والأدب. فهو يذكر أن محمد سالم العجوز، ومحمد عثمان، والشيخ يوسف المنيلوي،

وعبده الحامولي، ومحمد العقاد - وهم أئمة فن الغناء والموسيقى في ذلك العهد - قد جاملوه، وغنوا في حفلات زفاف ابنته، التي استمرت عدة ليال على عادة البارزين من أهل عصره .

قال الآلاتي ، وهو من أفكه ما قيل في الرجل ---:

في سنة 50 و ألف وتلتميه

في بيع الايني كان عقد البنية

والولد قاصر وأمه له وليه

أما أبوه نفسه ما يطفيش الفتيله

راحت السكره وجاتي ألف فكره

صرت أحسب في الجهاز كره بكره

قالت اخواتي الكرام أهل المبره

كل ما تطلب يجيك ولك الجميلة

صار جهاز البنت يدخل بالمحارم

شيء كثير عم الأجنب والمحارم

من أكارم دأبهم فعل المكارم

لكن "الشمسي" بدأنا بالفضيلة

وانتهى لي كل خير من بذل "فكري"

واشتهر بين الخلايق فضل "صبري"

جات مهمات الفرح والعرس تجري

مثل ما تجرى ورا الناقه الفصيله

قلت للطباخ تعالي اكتب لي قائمه

جل تبقى شهرتي في مصر قائمه
جه حلف ما ياخذ الا الأجره صايه
كان جده صادق أمين ، ايده طويله
قال لي : اكتب مركبين ملح انجليزي
واربعين فدان فسيخ مدموغ باريزي
ألف قنطار توم وربع فريك عزيزي
غير حصانين فجل وأرديين بلبله
ألف قنطار زيت قزازه للقطايف
لتر ميه فول مدمس للخشايف
مش قنطار للبلوظه والنواشف
عدس فدادين وقطعة جنزيبيله
اسم طباخنا أبو زيد المهذب
مسكنه في قلعة الكبش المربرب
من أمانته كام نهب حاجتي وأوهب
بالسجاره أقتين لحمه بهله
ليلة السبت ابتدت بالفرح عندي
بعد عشرين عصر من شوال أفندي
من عشاها والأمم تقطر وتندى
مثل كثنان رمل من وادي ، مهيله
جه محمد سالم الشهم المرجي
مد بسط الأنس للعالم وأشجي

أسأل الله يرزقه عجا وثجا
في الحجاز ويزرو هناك صاحب الوسيله
ليلة الاثنين بذل جهده وأظهر
من فنونه شيء ترك له ذكر يذكر
لم يزل يروينا حتى الصبح أسفر
قلت مزنا أخصبت بقعه محيله
مصطفى الصواف أتى في البيت واعلم
عن محمد نجل عثمان المعظم
قال يجي ليلة التلات والحظ نغتم
واجتهد لي صاحب النسبه الأصلية
جا الأمير ليلة التلات وأنجز وعوده
واشتهر بين الأمم طالع سعوده
كم دهش ألباب لطيف صوته وهوده
كم شفى منا قلوب كانت عليه
صرت في يوم التلات في خوف وحيره
كل ده خايف من الليله الكبيره
قلت لما ما التقيت عندي ذخيره
أترك التدبيرنجي الأشياء جميله
ليلة الأربع بقيت أهري وأنكت
ما لقيت لي مخلص اتكلم ولا أسكت
والأمم أفواج نجى تقعد وتثبت

والمحلات عارصه بالناس الجليله
ما دريت الا وعبده جه وسلم
ع اللى من صلى عليه الله وسلم
كم شقى منا قلوب لما تكلم
والاله ف الخلق له أسرار جليله
يوسف الحسن انفرد وشقى فؤادي
بالمعاني حتى صار مالك قيادي
قلت ياذا المجد يا نور كل وادي
يا رفيع القدر عاداتك جميله
قلت يا عقاد ويا بدر الدياتي
انت في الدنيا مؤمل كل راجي
يا الهى تجعله في الحشر ناجي
كم رفع عنا كرب كانت وبيله
يا الهى جود على بالأمانى
واعف عن ذنبي وبلغني الأمانى
جود على حسن الآلاتي بالتهاني
وارزقه حسن الختام والناس وجيله

الشيخ عاشور

هو الشيخ أحمد عاشور سليمان، ولد بالقاهرة وتعلم بالأزهر الشريف، ثم اتجه إلى الأدب والفكاهة. فرأى في الصحافة ما يرضى ميوله .

فاشترك في تحرير بعض الصحف الأسبوعية كجريدة "الأرنب" و "بابا غلو" -أي البغبغان -وأخيراً اتجه إلى نظم الأغاني، فكان والشيخ درويش بطلى هذا الميدان، وقد تغنى بأغانيه بعض مشاهير المطربين في عصره، ومن أشهر أغانيه قوله :

يا قمر دارى العيون
أصل جرح القلب لحظك
واللى زاد عندي الشجون
يا حبيبي ورد خدك
في هواك الروح تهون
نور عيوني قلبي حبك
العذاب في الحب هن
بس لو يرضى الحبيب !
أما هجره شيء يجنن
شيء يزيد النار لهيب
ان شكيت نار المحبة
وقت هجران الحبيب
الوفا من بعد بعده

هو ده أحسن طيب
وله أغنية أخرى يقول فيها:
انظر لحسن الحبيب
واعشق كماله
ده كل كامل أصيل نادر مثاله
قبل ما نصاحب ونعشق
شوف خصال الحب أوفق
وان عجب والرب وفق
نلت شيء ما حد ناله
الأدب للحلو زينه
من كده احنا هويينا
لا ملام والله علينا
حبنا نخند خصاله
والزمان أنصف وساعد
لا حسود يقدر يعاند
الحبيب طبعه مهاود
يا جماله.. يا جماله!

الشيخ النجار

من أشهر زجالي أواخر القرن التاسع عشر، وكان عالماً جليلاً، اشتغل بالتدريس في الأزهر، و أحب النشر والشعر والزجل، ولكنه اشتهر بإجادة الزجل حتى صار أمام الزجالين في عصره،

ولم ينل زجل معاصريه مانال من شهره الا بعد وفاة الشيخ النجار، فقد كان رائداً لنهضة زجلية ومضت في أواخر القرن التاسع عشر، حين اشتغل بنظم الزجل بعض رجال الأزهر من ذوي المكانة فرفع هذا من شأن فن الزجل، و لفت إليه الأنظار، وجعله رفيع المكانة عند أبناء الشعب، فظهرت إلى جانب الزجالين الأزهريين، طائفة من الزجالين غير الأزهريين. وقد خلق ظهور هذا العدد الضخم من الزجالين في وقت واحد، منافسة أدبية كريمة، برز من بين رجالها الشيخ النجار، وتلميذه الشيخ عاشور والشيخ حسن الآلاتي، والشيخ القوصي والشيخ رمضان حلاوة والشيخ درويش، وكان من رجال صفها الثاني محمد توفيق صاحب مجلة "حمارة منيتي" ومحمد امام العبد، ومحمد عزت صقر، و خليل نظير.. وهؤلاء هم الذين احتلوا المكانة الأولى في الزجل، بعد انتقال رجال الصف الأول إلى رحمة الله.

ولقد كانت للشيخ النجار حلقة يتصدرها في بعض مقاهي العتبة الخضراء، حيث يجلس حوله الزجالون جلسة التلاميذ من أستاذهم، وكان الرجل وقوراً في رقة، جادا في فكاهاة مستحبة.

ويكاد النجار يكون صورة من الشيخ الفحام في روحه، وفي أسلوب زجله، ولعله كان يريد أن يلحق بمكانته، وينال مثل شهرته...وقد اتخذه مثلاً يحتذي، فقلده في اختيار موضوعاته وفي الأوزان التي كان يختارها، ولم يستطع أن يخفي حسده له على المكانة التي نالها.

وفي زجله الذي نذكر فيما يلي بعض أبياته ما يدل على أنه كان معجباً بالفحام، متأثراً به، وان كان اعجابه بنفسه أشد وأقوى... قال :

يا للي انت في حسنك عديم المثل

وأنا بجي فيك ضرب بي المثل

وفي غرامي شرح حالي طويل

لو كنت أحكي لك على م حصل

يا للي الغزالي وهي شمس الضحى

من نور ضيا خدك بقت في خجل

يا للي الغزال من لفتتك في التفات

ومن سواد عينيك اعاره الكحل

يا للي الغزل في وصف حسنك غلا

سعره ، وشعره فيه مذاق العسل

أصبحت من وجدي عليك يا جميل

أهوى الغزالي و الغزال والغزل

يا للي لأجلك فت نظم القريض
وكرهت حرقه سوق رواجها كسد
راحت رجالها والعرب عندهم
كله صابون والوقت لآخر فسد
وصغت من فن "الغبارى" نضار
طير غباره وقلت ما هش حسد
ليه يمدحوا "الفحام" وفحمه عويل
ما يوم شراره بالمعاني اشتعل

يا للي لأجلك صرت منشيء بليغ
في كل موضوع صرت أحكي وأعيد
وقفت "عنتر" في الغزل والحماس
وف الكتابة فقت "عبد الحميد"
ولي كلام في السهل صار ممتنع
تلقي "لييد" أن كان يعارضه بليد
عليك فصرت الشعر الا قليل
والشعر في غير عارفيه مبتذل

ثم ينهج النجار منهج الفحام الذي يحاول أن يتعالى عليه، فيخرج
من هذا الغزل إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول مختتماً زجله:-
استغفرك يارب وارجع اليك

تايب و ظني فيك قبول من يتوب
دا انت اسمك التواب على من عصى
و أنا ..أنا العاصي كثير الذنوب
يا رب عاملنا بفضلك ..وان
عاملتنا بالعدل تحرق قلوب
يا رب صنعك في عبيدك جميل
لجله رفعنا لك جميل الجمل

أرسلت خير الناس خير الأمم
رحمة ونور هادي شفيه للعصاه
لمعجزاته الباهرة نور صدقوه
وبحجة القرآن دليل لاح ضياه
يا ربنا صلي وسلم عليه
و جملة الأصحاب ، وآله معاه
ما صدقت دعوى و صح الدليل
وما تلى في وصف طه زجل

الشيخ الدرويش

ظهر الشيخ محمد الدرويش في عهد تألق نجم عبده
الحامولي، ومحمد عثمان، ويوسف المنيلوي ونظم لهم
أشهر أغانيهم التي تغنى بها الشعب في كل مكان، ولهذا لم
يترك الشيخ الدرويش تراثاً من الازجال.

بل ترك ثروة ضخمة من الأغاني الرقيقة التي كانت تتناسب مع ذلك
العصر، ومن أشهر أغانيه قوله:

بستان جمالك من حسنه

أبهي وأجمل من بستان

وان ماس قوامك على غصنه

يعلم البلبل الحان

سمح زماني واتلطف

وشفت حبي في البستان

فقلت له لما شرف

والله زمان يا حلو زمان

وله أيضاً :

الورد من وجنات بهي الجمال

وعنبري الخال سمي مهجتي

أهف شغل بالي بتيه الدلال

ما حيلتي ف الحب ما حيلتي

الغصن ان شافك يزيد اعتدال

وجلنار خذك سبب لوعتي
روحوا اسألوا العشاق وهم يعرفوا
سقمي وأشجاني وحال صبوتي

وله أغنية نالت في عهده أكبر الاعجاب ، يقول فيها ---:

الخلو لما اتعطف
أخجل جميع الفصون
والخذ لما اتقطف
ورده بغير العيون
يا للى بليت بالهوى
وصرت مغرم أسير
خللى اصطبارك دوا
حتى يهون العسير
حبيت أشوف لي سبب
أبني عليه الكلام
لكن رأيت الطلب
بعيد وصعب المرام

وهذه المقطوعة تنسبها بعض المراجع إلى المرحوم الشاعر اسماعيل

صبري .

محمد توفيق

كان محمد توفيق ضابط بالجيش المصري، فكان ينظم الشعر والزجل أحياناً، وأحياناً تحول بينه وبين النظم شواغل الوظيفة وقيودها. فلما أحيل إلى الاستيداع فرغ للنظم،

واستسهل الزجل، وأحبه عندما رأى اقبال الناس عليه، وشجعه على نظمه ما بلغه معاصروه من الرجالين من مكانة، كالشيخ الدرويش، والشيخ عاشور، والشيخ لهبها، والشيخ حسن الآلاتي، الشيخ رمضان حلاوة الذي كان يومئذ قد نال شهرة طيبة كرجال بمدينة الاسكندرية .

وفي سنة 1900 أصدر محمد توفيق مجلة "جمارة منيتي" وجعل الفكاهة، والنقد اللاذع، والسخرية والتشهير، طابعها ومادتها، فأقبل عليه الناس. وشجعه هذا الاقبال على أن يمعن في مهاجمة بعض الشخصيات البارزة، فاشتط به قلمه مرة في سب الامام الشيخ محمد عبده، فحكم عليه بالسجن ستة أشهر، فلما خرج من السجن كان قد تعلم الحرص، فكان يستعمل في كتاباته ونظمه الأساليب الغامضة. والتوريه التي تتيح له الافلات من المسؤولية. ومع هذا... فقد ضاقت السلطات بجراته، وأغلقت له جريدته .

ورأى أن ينزوي فترة، فرحل إلى الاسكندرية وعاد إلى القاهرة، وافتتح مقهى صغيراً بقرب ميدان لاطوغلي سماه "الحمصاية" ووطن أنه يستطيع أن يصدر جريدته مرة أخرى، فأصدر نشرة بلا ترخيص، سماها

“الحمصاية” أيضاً ، ولكن الحكومة تنبعت لها وصادرتها، ومنعته من اصدارها .

ومن أزعجته الرقيقة، زجل يلمس فيه قارئه شدة حرصه، وخوفه من التصريح بما يريد أن يقول، ومع هذا فهو يشهد له بالقدرة على اعطاء القاريء فكرة صادقه عما تنطوي عليه نفسه، قال :

يا مصر أنا في حبك هايم ولا نيش نايم

بس العزايم ناقصة زرار

مفلوت عيارها على عياري أصل مراري

أحيه يا ناري . ع المسمار !

صبحت أخاف من مقصوصك وانا بمقصوصك

خليك لصوصك . بقوا أنفار

القصد آخرتها فنختي وخليتي بختي

بقي زنتختي . على حجاز كار

دافعت عنك ع السلمى بسيفي وقلمي

و آخرتها علمي . عملته شمار

من خوفي لا الداخليه تسوفها معايه

وتشوف لى آيه تودي النار

يكون فيها السر الأصلي وتحصص لي

و سيب مفاصلي . يغور دا الكار

والشيخ كلبش الدين يحصر يفتح محضر

واصبح مدحدر ..على سنار

واقبع في ايد اللي يسوى وللي ما يسوى
و الست نون النسوة .عشار
مالي أنا ومال الباب ده ما يكفي مهابده
لا أنا شيخ عبابده .ولا أنا مختار
حاكم الزمان دا اللي يفوق أو بتلوق
بكلمة واحدةيا ستار !
يكتفوه للبيه قطبي يخليه يجي
من جمعه يصبح زي الفار
لا هناك لا دخان ولا غيره وكتر خيره
من حسن سيره ..بيات منزار
سنه ف سنه يصبح مقلب ويبيع سحلب
ولما يغلب او يختار ..
يختار ما شالله ابقى سم الله وعنهما ويالله
بالانتحار ...يا التلتوار
بيات عليه والسبب احنا الله يسامحنا
ما احنا اللي تستاهل الحوار
ما داه نبيع عم شحيبر بابن كليبر
وفلوسنا رايحه مع التيار
زي اللي سبحان الدائم صرنا بجايم
لا لنا قوايم .ولا أشعار

الشيخ جاد علوان

ولد الشيخ جاد محمد السيد علوان بمدينة دمنهو ،
عاصمة البحيرة، وهو من أسرة علم ودين، فهو حفيد
الشيخ علوان الكبير، صاحب المسجد المعروف باسمه،
بقرية مصطاي، بالقرب من قويسنا، بمحافظة المنوفية،
وقيل أن نسبة يرجع إلى الامام الحسن بن علي بن أبي
طالب رضى الله عنه.

تعلم الشيخ جاد علوان في الأزهر الشريف، في نفس الحلقات الدراسية
التي كان يتعلم فيها الامام الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول، وتتلמד على
جمال الدين الأفغاني. وبعد أن حصل على شهادة العالمية عاد إلى دمنهور،
وافتح فيها صيدلية استخدم لها صيدلياً قانونياً، وتفرغ هو بزعامة احدى
الطرق الصوفية، وعين في نفس الوقت عضواً بمجلس مديرية البحيرة
الحسبي، نظراً لتفقهه في علم المواييث.

ولم يكن الشيخ جاد ممن ينشرون أزجالهم عن طريق الصحف، ولكن
شهرته بالزجل جاءت عن طريق أتباعه ومريديه، الذين كانوا يستمعون إلى
ما ينظمه من مواعظ وحكم زجلية، ويحفظونها، ويروونها عنه.

ومن أزجاله التي تعطينا صورة صحيحة لخلقة القويم، وورعه قوله:

بالصبر كام تبلغ أوطار

والحر يصبر ع البلوى

والغدر من طبع الأشرار

و أفضل الزاد التقوى

اليسر بعد الضيق مضمون

وربنا يجرب عبده

ويرزقه مطرح ما يكون

في لحظة يرضيه من عنده

عيب الصديق في الحال داريه

واستر ذنوبه العهد يدوم

مفيش نبي يوم راح تلاقيه

عشان تصاحبه يكون معصوم

اللؤم من طبع الأوغاد

تلقى اللئيم دايمًا مكروه

والدنيا مش محتاجة عناد

دي كوبري والناس يبعده

في الاستقامه كل الخير

اليس شعارها تعيش مستور

وارسم لنفسك خط السير

وابعد عن النوع المغرور

وكون مع الله في الحالين

سرك وجهرك ، يبقى معاك

خلى التوكل نصب العين

ان كان في ضيق تلقاه نجاك

أصل الحياة نية وأعمال

اللي ف ضميرك راح تلاقيه

البس نسيجك ع المنوال

وازرع لنفسك شيء تجنيه

وادفع بفضلك جار السوء

وبالتي أحسن داريه

زي الجرب تلقاه موبوء

بحكمتك تقدر تداويه

لا بد يوم تحتاج للجار

لازم يعوزك وتعوزه

هلل ورحب به لو زار

من قبل ما يعوج بوزة

واستر عيوبه ، والحسنات

قولها ودايما ردها

واوعى التجسس والعورات

دي فاتحة الشر . ابعدها

الشيخ القوصي

هو أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الحق، الشهر بالقوصي نسبة إلى بلدة "قوص" بمحافظة قنا، حفظ القرآن ببلدته، ثم رحل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر . ولكنه تحول إلى دار العلوم.

وفي هذه الفترة أحب الزجل وبدأ بنظمه، واتصل بمشاهير زجالي عصره، ثم اشترك في تحرير بعض المجلات الأسبوعية... وأخيراً أنشأ لنفسه مجلة سماها "السبعة ودمتها" صدرت في عام 1907 ميلادية.

وعين مدرساً بمدرسة المساعي المشكورة بالوجه البحري، وانتقل منها إلى القاهرة مدرساً بمدرسة خليل أغا، فالمدرسة الالهامية. وللقوصي ديوان حافل بالأزجال التي نظمها في شتى الشؤون. طبع بعد وفاته. ومن أزجاله التي نظمها بمناسبة ظهور أوراق البنكنون. والتعامل بما قوله :

الضحك ياما ع الدقون

وانت يا مصري تستحق

وارجع اقول لك في التاريخ

راح الذهب ، بان الورق

في كل يوم بنشوف أمور

ابن البلد منها اتقلق

ياالله بنا احنا نعوز

ما دام صبح حالنا ورق

هو الورق ينفع بابه ؟

دا بحبه الميه يدوب

والغش فيه يبقى كثير

ويصير بقى كله عيوب

وبه تعامل مين و مين ؟

وازاي يكون تفريج كروب ؟

في الوقت ده مين يرغبه

ولو على آخر رمق ؟

ايه الغرض منه يا ناس ؟

هو الغرض ما هوش خفي

واللي يكون فكره سليم

ويدور الأمر الخفي

يعرف سياسة الأمر ده

وبالحقيقة بكتفي

واللي يكون أهبل عبيط

النور يكون عنده غسق

لكن بقى أرجه واقول

أحوال سياسية تكون

أول سياسة بدهم

يحملوا الناس الديون
وبعد ما يسفوا الفلوس
لنفسه مين يقدر يصون ؟
والحج بكره يبطلوه
نص الحديث والله صدق

محمد امام العبد

ولد محمد امام العبد من ابوين من الرقيق، اشتراهما بعض
أثرياء مصر، وزوجهما في بيته، فأنجبا محمدا وألحقاه
باحدى المدارس، وما كاد يقطع شوطاً من المرحلة
الابتدائية حتى ظهر ذكاؤه، كما تجلت روحه المتحررة،

واستطاع برغم سواده، الذي كان ينظر له في ذلك الوقت — وخاصة بين
أبناء الأتراك والمتأثرين بالتربية التركية، على أنه شيء يخفض المنزلة —
استطاع برغم واده هذا أن يسود على زملائه واقرانه، بفصاحة لسانه،
وقوة حجته، ولماحيته.

وكان امام محباً للقراءة والاطلاع، فحصل ذخيرة طيبة من الأدب
العربي، يسرت له أن ينظم بعض الأشعار، ولكنه لم يلبث أن تعلق بالزجل،
وبدأ يمارس نظمه، فتجلت قوة خياله، وخفة روحه، وقدرته على الابداع.
وبدأت الصحف الأسبوعية تنشر ما ينظمه، ولمع نجمه في مجالس
الأدب التي كانت تعقد في أنحاء شتى من العاصمة، وعرف فيها بالقدرة
على القفش والتنكيت.

ولعل ولوعه بالفكاهة، يرجع إلى أن بعض زملائه كانوا يعمزونهم
لسواده، ومن هنا رأى امام ان يكون الباديء بالهجوم والسخرية واللدغ،
حتى صار مرهوب اللسان.

وكانت مجالسه حافلة بالكثير من الفكاهات، يتلقاها، ويردها، وله
مع الشاعر حافظ ابراهيم كثير من المصادمات الفكاهية، ومن ذلك ان
حافظاً رآه مرة يكتب بقلم حبر، وسقطت من القلم نقط من الحبر، فقال

له حافظ . “اسمح عرقك يا امام” وراه مرة وقد لبس قميصاً ابيض، وفوقه
“كرفته” سوداء فقال له : “زرر صدرك يا امام” ومن قفشات امام
للشاعر قوله :

“زارني حافظ بك في بيتي فجلست معه في المنذرة ، وكان والدي في
الدور العلوي ، وبعد قليل أشعل حافظ سيجارة “توسكاني” واذا بوالدي
يصرخ من فوق :

مين اللي قال لكم تولعوا القرن ببجلة
والجلة هي روث الدواب الخفف وتستعمل وقود للأفران .
وقد توفي امام العبد في الربع الأول من القرن الحالي، قبل أن يبلغ
الحسين، تاركاً تراثاً ضخماً من الشعر والزجل والفكاهات، ومن أزجاله
قوله:

لك كل يوم مذهب ولكن غريب
يا أغرب الناس من الكسل والسهر
صبحت في الدنيا عجيب في عجيب
والمبتدا في اليرم عاوز خبر

صبحت مغرم يا جدع بالدلال
ومشيت على كيفك ولا لك دليل
وفضلت خاضع للجميل والجمال
وفعلك المشهور اصبح غير جميل
وكل ما اضرب لك مثل او امثال

تظهر بمظهر فيك ولا لوش مثيل

ايه السبب يا للي عشقت الظلام

وفهمت انك مبتلي بالقمر

كان الطريف في مصر من بيت أدب

وكان أبوه حازم وصاحب عقار

ماشي على دين الليالي عجب

والعمر مخلوق للسهر والقمار

ضاع الأمل لما انشغل بالطرب

في معرض الدنيا وضاع الوقار

وأغلب الناس ينخدع بالعيون

في مظهر الأغراض على ما ظهر

مالت عليه واحدة وقع في الشرك

وبات أسير اللحظ من غير سبب

وكل ما يحضر تقول الملك

حضر و تقديم التحية وجب

انت الملك يا بدر ما أجملك

وشكلك الباهي قليل من العرب

قالو الجميل يوسف وانت الجميل

في مذهبي يا للي فضحت الصور

ضحك وقال هات المدام يا غلام
واشرح غرام قلبي لنجم السعود
واضرب على عودك وقول للحمام
الحب يظهر بين كمنجه وعود
ضحكت عليه والكذب ماهش حرام
في مذهب المفنون — وخلفه الوعود
واللي تقول لك مقصدي في خليل
لا بد مقصدها يكون في عمر

مشى على كيفية وضيع فلوس
من بعد ما باع البيوت والعزب
وبات يقول ديني حياة النفوس
لا بد أقضي في الهوى ما وجب
مالي ومال جاهل حياته نحوس
ومذهبه غير مذهبي في الطرب
خليك على كيفي نعيش في سرور
مالك ومال حكم القضاء والقدر

ضيع عليها المال بسحر العيون
وجاب لها حليه بألفين جنيه
وجاب لها صبغة ، جنون في جنون
حتى صبح “لاتس” يقبل يديه

صبح عل كفيه أسير الديون
وثروته في اسم "باشا" و "بيه"
من بعد ما كانت هدومه هدوم
صبح من التفليس هدومه صرر

خد من حكايتي درس عن دا الجدع
واعمل حسابك يا لبيب يا وحيد
واحذر تقول قدري و مالي تبع
دا الدهر يلعب بالشقى وبالسعيد
يا ما خلافك بالعيون انخدع
وبات من الافلاس بمنظر جديد
قلبه وعينه والهدوم والزمان
والهم والنوح والأرق والعبير

آدي النتيجة ، والنتيجة كتاب
يعلم اللاهي ويهدي الضرير
ويصبح المفتون بلون الشراب
حكيم مهذب ن في اموره بصير
وكل ما يزعم عليه الغراب
يقول لصاحبنا فلوسك تطير
وادي نصيحة من خبير — علمه
الدهر حتى بات يقول الخدر

خليل نظير

ولد المرحوم خليل نظير في بيت من أعرق بيوت الصعيد
...بيت رفاعه باشا رافع الطهطاوي، فقد كان والده
مملوكين لساد هذا البيت، وتلقى بعض التعليم مع أبناء
الأسرة في طهطا،

ولما بلغ سن الشباب زوجه مولاه، ولما مات رفاعه باشا الكبير رحل نظير
إلى القاهرة، والتحق بالأزهر فترة من حياته، إلى أن حصل من التعليم على
قدر أتاح له أن ينظم الشعر، فبدأ اسمه يذكر في الأوساط الأدبية، وكان
يستعين على العيش في مصر بالتدريس في مدرسة صغيرة، ولما أحس أنه
أصبح قادراً على أن يعيش من قلمه بدأ يكتب للمجلات.

ورأى أنه لا يستطيع أن يتكسب من نظم الشعر فتحول عنه إلى
نظم الزجل، فتجلت فيه موهبته وقدرته، وصار يكتب لجريدة اليف زجلاً
أسبوعياً، وكان في نفس الوقت يحرر مجلة طوابع الملوك.

وكان خليل نظير محباً للخمر والمرح والدعابة، فلا يكاد يراه أحد
الاثملا، وكان هذا من اسباب املاقه المستمر.

وفي عام 1920 توفي خليل نظير بعد أن ترك تراثاً طيباً من الأدب
والشعر، وقد قام صاحب جريدة السيف بطبع ديوان أزجاله فراج رواجاً
كبيراً.

وكان نظير قد أنجب ابنا اسمه "ابراهيم" وفي سنة 1924 اشترك
ابراهيم مع بعض شباب مصر المتحمسين في اغتيال السر لي ستاك باشا

الضابط الانجليزي الذي كان سردارا للجيش المصري في السودان، فقبض عليه، وأعدم شنقاً ، هو وبعض زملائه، واعتبروا من شهداء الوطن .
ومن أزجال خليل نظير الرقيقة في ذم الشتاء قوله --:

قالوا الشتا فصل السرور والفرشة

وجروا ريقنا ع السهر بعد العشا

وع المجانسة والهزار والنغنشة

والله اللي يقول الكلام ده ما اختشى

هو الشتا فيه الا ذل وشحطه؟؟

ورعش جسم وكسر قلب ومرمطة؟؟

وبهدله وقلة مقام ولخبطة ؟

يا عم دا الصيف للفقير ستر وغطا !

ولقد كان نظير متمكناً من فن الزجل، عارفا بدقائقه وأساليبه، وحسناته وعيوبه، يدل على ذلك زجل طويل نظمه وجعله نصائح لمن يجب أن ينظم الزجل تقتطف منه هذه الأبيات:

الأديب اللي يجب يقول زجل

كل ما يقراه يخليه في طرب

يقرا أحسن ما قالوه الزجالين

يكتب أجمل ما قراه ويكون متين

يحفظ أمتن ما كتب يزوي الثمين

يرضي بالارشاد واصلاح الخلل

مش يقول ايه السبب ليه اتشطب

عند ما ينظر يقوم وقت الصباح

عند حي على الصلاح وعلى الفلاح

عندما يشوف ان ضوء الفجر لاح

الساعة دي بالة ما يكونش انشغل

يبقى رايق الفكر ينشي قول عجب

وان ما امكنشي يقول وقت البدارى

يمكنه في خلوته وقت العصاري

في جنينة وفي الجنينة نهر جاري

واختصار القول اذا شاف الملل

يستريح حتى يروح عنه التعب

لما تنظم مش تقول نحوى وتعرب

قول زجل يعجب جميع الناس وبطرب

اللي يكتب واللي ما يعرفش يكتب

زي واحدة تكون جميلة في حفل

من حرير ومطرزاها بالقصب

ابن قزمان من قديم العهد قاله

والغباري المصري كان زجال مثاله

بعدهم جم زجالين زادوا جماله
منهم العايش ومنهم من وحل
راح وعنا في ظلام قبره احتجب

ده قانوني رتبت للرجال بنوده
كل من يقراه ويعمل به يفيده
ما بقاش غير بند واحد به أزيده
ايه يفيد القول ولا فيشي عمل
والأدب في النفس قبل القول وجب

محمد عزت صقر

ولد محمد عزت صقر حوالي عام 1873 بجهة قصر الشوق بحي الجمالية، وكان أبوه من كبار موظفي مصلحة السكة الحديد، وقد توفي عنه أبوه وهو في الخامسة، وتلقى علومه بمدرسة النحاسين. ثم بمدرسة الليسية الفرنسية، ولما أتم دراسته بها التحق بوظيفة بمصلحة السكة الحديد، ولكنه لم يلبث أن سئم الوظيفة، وكان في مجبوحه من العيش تغنيه عنها فاستقال ووجد متسعاً من الوقت لقراءة كتب الأدب، فتزود منها بقسط طيب من الثقافة العربية، واستاع بكم تراثه أن يهيء لنفسه في بيه بالعباسية مجلساً أيقا حول نافورة في حديقة داره، وكان يتردد عليه في هذا المجلس مشاهير زجالى عصره أمثال الشيخ النجار صاحب مجلة الأرغول، ومحمد توفيق صاحب حماوة منيتي، ومحمد امام العبد وخليل نظير والشيخ أحمد عاشور، ومحمد عبد النبي، وغيرهم، فكان يسمع منهم ويجاريهم في النظم، و أخذت حلقة مجلسه تتسع وتتسع حتى صار بينه منتدى للأدباء يسمرون فيه كل ليلة... وأشار عليه بعض رجال أسرته بأن يلتحق بوظيفة، فاشتغل بالدائرة السنوية ولكنه لم يلبث أن كره الخضوع ليقود الوظيفة واستقال، وكان عزت صقر كريماً سخياً اليد، فأحبه أصدقاؤه وقدموه، ونادوا به أميراً للزجل في عصره، مع أنه كان بينهم من يقوونه بمراحل عديدة ز وقد توفي عزت صقر في يوم الثلاثاء 10 مايو سنة 1932.

وأراد ابن أخته طلعت حرب باشا أن يخلد ذكره . فعهد إلى بعض
الأدباء بأن يجمعوا أزجاله فجمعوها، وأمر بطبعها لكتاب أنيق بمطبعة
مصر.

وفيما يلي نموذج من أزجاله، وهو زجل اجتماعي بين مسلك
الشباب في عصره قال --:

يا خفة يا اللي بتتولت وسبيت الغيد
كل الغوالي لك حبت يكفكك تقليد

البنيت قالت لجارها شفني لفندي
تقصيعته ياختي حلاوتها وخده الورددي

عايق وفاهم في نفسه انه خفه
دايما ينسون في حسه ليه مش عارفة

ان كنت مغشوش بجمالك غيرك أحلى
ياما كتير من امثالك صبحوا وحله

عيسى صبري

ولد في 16 رجب سنة 1300هـ، وتلقى دراسته في مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية، ولما كان أبوه من المشتغلين بفن الطباعة بالمطبعة الأميرية ببولاق، فقد تعلق عيسى بالفنون الملتصقة بالطباعة كالخط، والرسم، والحفر، واتخذ هذا العمل حرفة له.

وبحكم اشتغاله بالحفر، والرسم، عرف كثيرين من أصحاب الصحف والمجلات، وبدا بنظم مثلهم فوجد تشجيعاً من “محمد توفيق” صاحب الحمارة.

ولما كان عيسى فناناً بطبعه، فقد كان يحاول أم يلحن أزجاله، ويلقبها بنفسه مبتكراً لها أسلوباً في التلحين، واللقاء، جعلها موضع إعجاب السامعين.

وفيما يلي مثال من زجله. قال :

عشنا وشفنا الهوام

طالبين خروجهم عراية

وف ليلة القدر عالم

فطر في دار الحماية

شعبان عوني

ولد "شعبان عوني" من اب مصري وأم حبشية، وأتم دراسته الابتدائية، ثم التحق بالأزهر، ولكنه لم يستمر في الدراسة، فبدأ يخالط أدباء عصره، ويحاول مجاراتهم في نظم الأزجال، حتى بلغ فيه منزلة لا بأس بها.

وكان رغم سمرة وفقره معتزلاً بشخصيته، فسمى نفسه "زجال الشرق" تقديراً لنفسه بعد أن وجد الكثيرين يخلون عليه بالتقدير.

وكان "شعبان عوني" صبوراً على الفقر، والبؤس، وكان خفيف الروح، فكان أصدقاؤه لا يضمنون عليه بما يساعده على الحياة، وحدث أن أعلن أصدقاءه بأنه سيقلع عن التدخين، وأقسم على ذلك بأغلظ الأيمان، وبعد يومين اثنين من الاقلاع توفي، وبهذا بر بقسمه .

ومن أزجاله، زجل يقول فيه--:

الجيل ده جيل العجب	كله ضلال في ضلال
منه رجال الادب	والعلم شافوا الوبال
داقوا كؤوس العنب	شبيبه عايشة في خيال
حتى كلام العرب	صبح بغير رأس مال
والعرب نال الأدب	واحنا حياتنا خيال

ايتمه يجينا الفرح

والحالة دي تتصلح

لعمل ليالي الطرب بما يروق البال

محمد غالب

ولد محمد غالب في سنة 1886 بالإسكندرية، ونشأ في أسرة كبيرة، وكان والده (علي غالب بك) ضابطاً بالجيش أيام الثورة العربية، وعندما انتهت ثورة عرابي عين مدرساً للغة الانجليزية في مدرسة رأس التين الثانوية.

وكان "محمد غالب" في صغره طالباً مجداً، حصل على الشهادة الابتدائية وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان هذا شيئاً نادراً من زمنه.

وأتى دراسته الثانوية في المدرسة التوفيقية، ثم في كلية فيكتوريا التي لم تكن تهتم باللغة العربية، ولكن "محمد غالب" كان يقرأ كل ما يقع عليه نظره من كتب الأدب والشعر العربي، وكان خاله "محمود حلمي" -الذي كان شاعراً وصحفيًا -فصل في تشجيعه، وتنمية الاتجاه الأدبي فيه .

وعندما نظم "محمد غالب" أول زجل له -وكان لم يبلغ الخامسة عشرة بعد -شجعه خاله، فنشره له .

ثم التحق غالب بجامعة لندن حيث حصل على بكالوريوس الهندسة ثم حصل على الماجستير فيها، وقد أفادته إقامته بلندن اطلاعاً على الأدب الانجليزي، والفرنسي، مما وسع مداركه وجعل تعبيره سلساً جميلاً.

وعرف غالب في كتاباته بوطنيته، وما كاد يصل إلى لندن حتى اشترك في تأسيس الجمعية المصرية هناك. وهي الجمعية التي كان لها دور كبير في مناصرة قضية استقلال مصر.

وبعد أن أكمل “محمد غالب” دراسته، وأحرر شهادة الكلية الملكية من جامعة لندرة ، وشهادة العضوية من المجمع الهندسي بالجلترا عاد إلى مصر قبيل الحرب العالمية الأولى.

وعقب عودته التحق مهندساً بالحكومة، ولم يلبث أن توفي والده فورث عنه خمسة وثمانين فداناً بالمنوفية، وقد كان ثراؤه من اهم الاسباب التي دعته إلى الاستقالة من الحكومة، ليتفرغ لفنون الأدب ، وفنون الشعر والزجل .

وبدأ “محمد غالب” يكتب للصحف، فكتب للكشكول، وروز اليوسف، والأهرام، والصبح ومعظم المجلات التي كانت تصدر في ذلك الحين، وأخيراً أصدر مجلة فنية أسماها (النجوم)، وفي ذلك الوقت كانت كوكب الشرق السيدة أم كلثوم ما زالت تخطو أولى خطواتها في سلم المجد، فتعرفت به وكانت بينهما مودة كما كانت لهما طرائف شتى.

وعندما قامت النهضة الفكرية، والأدبية شارك فيها محمد غالب واشترك في أكثر من رابطة للأدب وناد للشعر.

وحدث أن سافر ليصطاف في ايطاليا، فاعتقلته السلطات الايطالية هناك، لأنه كان قد نشر في مصر زجلاً قال فيه:-

جارنا اللي في الحد الغربي شن الغاره

بجيش عليه سنيور حري وبطيابه

الجار بيشز

وينسى أحيانا جاره وحسن الجيره

وفي الغضب لو زاد ناره يشرب بيره

وبجاره يمز

وقد كتب محمد غالب كثيراً من الأغاني لكثير من المطربين والمطربات، واشتهرت هذه الأغاني في وقتها شهرة واسعة، إلا أن أغنية “سر السعادة شفتيك” التي تغنيها “نجاة علي” كانت أشهر تلك الأغاني.

وامتازت أزجال “محمد غالب” بالتنظيم الدقيق في اختيار اللفظ، كما امتازت بالطابع العلمي، فلم يكن يسف، أو يحشو زجله بفراغ الكلام. وكان يستخدم اللغة العربية في بعض أزجاله، ويطعم الزجل ببعض الألفاظ الفصحى، واشتهر في أزجاله بالفجر، كما عرف بالنقد اللاذع مع عفة اللفظ، وامتاز إلى جانب جمال التشبيه وخفته، بروح الفكاهة ومداعباته الحلوة.

وكان غالب في حياته الخاصة مثال الرجل الكامل، كما كان أنيقاً كريماً، ومن أدلة رجولته وأخلاقه الحميدة أنه على الرغم من كونه لم ينبج من زوجته كريمة “حسن حارس باشا” بعد عشرة ربيع قرن. فإنه حين توفت لازمه الحزن عليها إلى أن مات. وإن كان قد اضطر للزواج مرة أخرى، عندما تقدمت به السن، واعتراه المرض وقد أنجب من زوجته الجديدة ابنته “أمينة”.

وقد توفي محمد غالب في 4 فبراير سنة 1950 وله من العمر أربعة وستون عاماً

ومن أمثلة أزجاله التي تدل على أنه كان محبباً بأساليب حياة الطبقات الشعبية برغم نشأته في فئة غيرها قوله --:

أحمد محمد بن عمك صالح

ولد صبي مزين حلنجي وقارح
رجله اليمين بيذك بيها وسارح
عقله ف غرام بنت ابراهيم “دريه“

دريه بنت صغيره وملفوفه
متكحلة وعينها الشمال مطروفه
بين العطوف ف الحلوجي معروفه
طول النهار ف الحاره راحة وجايه

لو صدفه يوم مرت قصاد دكانه
لعب لها شنبه وجز سنانه
والأدهى لو ضحكت يزيد في جنانه
ينسى الزبون بين الصابون والميه

وتموت في أكل النبق والسنطاوي
وطول حياتها تحب لعب الحاوي
ومن الروايح عندها والجاوي
والمسك في صندوقها ربع وقيه

وعندها خلخال ودبله وساعه
من غير عقارب أصلها في بلاعه
عثر عليها أحمد ف كيس ..وبتااعه

من فوق غطاها مدروره وملويه !

ثم يستمر في رواية هذه القصة المنظومة فيقول --:

كتبوا الكتاب يوم نحس ف الخماره

وشهوده كانوا اتنين من الخماره

مأذون حارتهم جاب معاه صفاره

ماسك في ايده رغييف وايد شمسيه !

كان يومها يوم أغبر ما طلعت شمسه

ربطوا العريس وبيخلعوا له ضرسه

ياويله من يوم ذا اللي يصبح عرسه

زيك يا صالح يستاهل تعزيه

وينتقل إلى صورة أخرى في نفس القصة فيقول ---:

الزفه هلت بالعروسه الويكا

والنقرزان والطبل والمزيكا

“حسب الله“ يضرب من شطارته السكا

تطلع حجاز والواحدة ناقصة شوية

الزفة هلت بالعروسة الويكا

والواقعه سوده من يوميهها وباينه

وام العروسة تقول يا ناس مش هاينة
بنتي العزيزة تسكن القوطيه

الزفه هلت والعروسة معاها
تلاتين جدع وفتوه جم وياها
يتيمة من غير أب ..مين يرعاها
ف الزفة غير ضريب عصا وروسية

دخلوا العروسة والعريس بالغاره
بالصدفه فيه ميتم ف رأس الحاره
قامت حريقه وكم ضرب صفاره
يوسف محمد عسكري الداورية

محمد عبد النبي

ولد محمد عبد النبي من أسرة فقيرة كادحة، فلم يحفل أحد بتسجيل تاريخ ميلاده، وكانت نشأته في حي سيدنا الحسين، فلما صار صبيّاً اخذ يعمل في بعض المتاجر ليعيش،

وكان في الليل يتردد على مقاهي هذا الحي، وكانت تلك المقاهي تضم الأدباء والعلماء، فكان يستمع اليهم، ويعجب بأشعارهم وأزجالهم، دون أن يستطيع أن يجاريهم لأنه لم يكن قد نال أي قسط من التعليم، فكان لا يعرف القراءة ولا الكتابة... ولكن كثرة سماعه للأزجال من كبار ناظميها ارهفت حسه، وخلقت الملكة في نفسه، فبدأ ينظم الأزجال، وكان يضطر لحفظها لأنه كان لا يستطيع تدوينها بالكتابة. فلما كثرت أزجاله، ووجد من يمتدحها ويشجعها على موالاة نظمها، بدأ يتعلم القراءة والكتابة، وبذلك استطاع أن يحصل على قسط ضئيل من المعرفة، ولكن ذكائه كان أكبر من هذا القسط بكثير، فخياله، وتشبيهاته واستعاراته، وكل ما في أزجاله من فن، هو من ابتداع قريحته أو من وحي ما سمعه من شعر أو زجل.

وكان دائم الشكوى من الفقر والحاجة. فلما تعطل عن العمل ازدادت شكواه، وأضاف إليها الشكوى من ضمن الأصدقاء، ومن المرض، وقد عمل فترة طويلة من حياته بائعاً في بعض محلات الحلوى، ثم عمل في مكتب الأستاذ محمد حسني الخطاط، والواقع أن الفنان محمد حسني لم يكن في حاجة إلى عمله، ولكنه ضمه إلى مكتبه اشفاقاً عليه.

وأصيب محمد عبد النبي بإنسداد في بعض شرايين ساقه، فدخل مستشفى قصر العيني للعلاج، ولكن الأطباء اضطروا لبتز ساقه، ولم يلبث المرض ان انتقل إلى الساق الأخرى، فقرر الاطباء بتزها انقاذاً لحياته، ولكنه لم يتحمل العملية، وتوفى بالمستشفى بعد أن أشرف على الستين، ومن طريف ما يروى في هذا المقام، أنه عندما أنشأ بعض الشباب رابطة الزجالين في عام 1932، وهضوا بالزجل نهضة رائعة. واتخذوا لها مقراً بميدان حلیم أمام حديقة الأزبكية، اختاره رئيساً وكيلأ للرابطة، وقرر له مرتبأ ليحفظ عليه كرامته كزجال، فقام بعض كبار الزجالين بحركة مضادة ..اذ عز عليهم أن تنتقل زعامة الزجل إلى الشباب وهضوا به وتلمه اسمائهم، وتختفي أسماء هؤلاء الذين وقفوا بالزجل عند أساليبه وأغراضه القديمة ، فأنشأوا نادياً لهم، وسعوا حتى حملوا محمد عبد النبي على الاستقالة من الرابطة فاستقال. وانضم إلى النادي ..وحشد شيوخ الزجالين قواهم لليلة افتتاح ناديهم ، وجمعوا جموعهم، وفي ليلة الافتتاح وقف محمد عبد النبي ليخطب، فقال ان هدف النادي هو الارتفاع بمستوى الازجال والأغنى ، وتطهرها من الانحطاط والتبذل اللذين شاعا في الأغاني مثل :-

تعالى يا شاطر، نروح القناطر

أمانة ودينك ما تكسر لي خاطر

هات القزازة، واقعد لاعبني

المزه طازة، والحال عاجبني

ومثل :-

ارخي الستارة اللي في ريحنا
احسن جيرانك تجرحنا
يا مبسوطين يا احنا ...الخ

وكانت هاتان الاغنيتان تضمان من المعاني ما يحمر له الجه حياء، وما بعد دعوة سافرة للفحش . وكان مؤلف هاتين الأغنيتين حاضرا حفلة الافتتاح، لأنه كان عضواً في النادي، فوقف ليدافع عن أغانيه، ولكيل السباب لمحمد عبد النبي، ولم تلبث أن قامت معركة بين شيوخ الزجالين قتلت ناديهم في يوم مولده ... وهكذا فقد محمد عبد النبي مكانه ومكانته ومرتبته في رابطة الزجالين .

وفيما يلي زجل له، وصف في حياته البائسة وصفاً صادقاً، وردد فيه الشكوى من الزمن والمرض والأصدقاء ...قال--:

يارب اشفق على حالي
راح التقيها منين ومنين
يكفي يارب اللي جرى لي
مرض وعشق وفقر ودين
والدنيا دايره بالمندار

الهم ضيق أخلاقي

والحظ بيني وبينه خصام
والفقر ماسك في خناقني
وصرت لاهل البؤس امام
والعقل تاه والفكر احتار

انسدت الدنيا ف وشي
واتقفلت كل الأبواب
وان كنت في الشارع أمشي
اشوف عمار الدنيا خراب
دايما تعاكسني الأقدار

مكتوب على جيبني اعلان
ممنوع دخول النقدية
أنصف من الصيني بزمان
يشبه لشركة مصفيه
أو زي بيت فاضي لايجار

هدومي تشبه للغربال
موصلة بخمسين رقعه
وسخه و مليانة أحوال
بقعه هنا وهناك بقعه
والجليه عاوزه زرار

طربوشي مقلوب ميت مره
أزعر مطبق ومزفت
له جلدتين جوه وبره
ومن العرق نلقاه زيت
تنفيضه يملأ الدنيا عفار

والجزمجي مالوش لازمه
مدام عرفت الاسكافي
دايما يرفع لي الجزمه
خايف لا يوم يمشي حافي
وكعبي يدخل فيه مسمار

كرهوني أهلي وأصحابي
أروح لده يهرب مني
يمروا خالص لغيابي
ماليش صديق يسأل عني
ناس يشبهوا الدهر الغدار

واذا اشتكيت حالي لصاحب
تلقاه قابلني بأسيه
ومن الغريب ينسى الواجب

هو اللي ايده في الميه
زي اللي ايده نكون في النار

أو كنت أشكي الجوع لصديق
ومعدتي للجوع خابت
يقول لي خد شربه ع الريق
وبعدها مية نابت

دي الصحه مش عاوزه استهتار

أقصد صديق ربي أعطاه

يخلف ميديش سلفيات

وان قلت طيب هات لله

يقول لي هو انت شحات ؟

الوقت ده مش وقت هزار

أصبر على بؤسك يا أديب

مهما يكون حظم خانك

دا كل شيء قسمه ونصيب

ربك يجرب ايمانك

اصبر على دهرك لو جار

آدي الصداقة الحقيقيه

أصحاب ولكن زي اللوز

ان شفت منهم حنيه

حنيه لكن من غير بر

مثل زمان قاله (النجار)

أشتكي لمن غيرك يارب

ارحمي يا رحمن يا رحيم

اصلح لي حالي وفك الكرب

واعطيني من وجودك يا كريم

واغفر ذنوبي يا غفار

محمد فهمي يوسف

شاب ومض كالشهاب، ومات في شرح الشباب، لمع
بسرعة، ثم اختفى بسرعة، كان رقيقاً، دمث الخلق، جاداً
مستقيماً، وكان يعمل في الصحافة كمندوب لجريدة
الأهرام، وأحب الزجل فعالجه ونظمه،

ووصل فيه إلى مرحلة طيبة كان يرجى أن يتجاوزها إلى مراتب الابداع، لولا
أن عاجله الموت، اذ توفي في حادث حين انقلبت به سيارته بقرب العياط،
فتوفي في ريعان شبابه.

وكان ينشر في كل أسبوع زجلاً في مجلة أسبوعية اسمها "البغبان"
"يضمنه نقد للأحوال الاجتماعية المعوجة، وتوجيهاً للشباب والفتيا، وهذا
نموذج من أزجاله --:

طفل بائس في الطريق

والندا نازل عليه

شفته في نومه غريق

قلبي مال رحمه اليه

ع الرصيف مطروح وباسم

والتراب كاسي جبينه

قلت اصحى ياللي نايم

دغري راح فاتح عينه

خفته ضيف في وسط أهلي
ضمن اخواتي الصغار
بعدها شاورت عقلي
قلت له من أي دار

قاللي كان لي أب مات
راح وفاتني عند أمي
قال ماليش اخوات بنات
والوصي من بعده عمي

قاله ياخذ باله مني
ظن انه يكون أمين
راحت أمي واخده عمي
دغري بعد الأربعين

يتركوه مسكين ممرط
مين بقى يسأل عليه
القميص راقى مشرط
والعيال راح تعرف ايه

آدي أسباب التشرذ
طفل ما يلقاش رحيم

للفساد من غير تردد
اللي بيته يكون جحيم

معظم اللي تشوفه حايس
في الشوارع والحارات
جند أعقاب السبارس
كلهم من دي الحالات

أحمد شوقي .. أمير الشعراء والزجالين

لو لم يكن لأحمد شوقي ذلك الشعر الرائع، الذي استحق به لقب أمير الشعراء، لكان بما نظم من الأزجال أمير الزجالين غير منازع. ولم ينظم شوقي لزجل الا في كبره بعد أن غنى له محمد عبد الوهاب روائع شعره، وأراد شوقي أن يدخل إلى أفئدة الخاصة، فنظم أغنيات تعد من أعظم ما عرفه من الزجل. كان شوقي يتردد على رابطة الزجالين، ويجالسهم ويستمع إلى أزجالهم، ويبيدي اعجابه بكل معنى جديد يسمعه. وشوقي هو الناظم الحيد الذي استطاع أن يدخل في منظوماته الزجلية كلمات عربية فصيحة — بل بدوية — دون أن تنكرها الأسماع، ذلك لأنه عرف كيف يضع هذه الألفاظ في مواضعها الصحيحة، حتى ليتعذر على غيره أن يستبدل بها ألفاظاً أخرى، مثال ذلك قوله --:

يالليل أنبني سمعته	الشوق رجع لي وعاد
وكل جرح وساعته	وكل جرح بميعاد
كم من مفارق وجعته	ونضو هجر وبعاد

فكلمة “نضو” لم تستعمل في الزجل اطلاقاً، بل ولم تستعمل في الشعر الا قليلاً، ولكن شوقي استعملها، وقربها إلى قلوب العامة، وافهامهم. وعلى الرغم من أن شوقي كان مبدعاً في زجله إلى أبعد حدود الابداع، فانه لم يضمن ديوانه شيئاً من أزجاله أو أغانيه الزجلية. ومن روائع أغاني شوقي الزجلية أغنية “النيل نجاشي” و “اللي يحب الجمال

“ و “ في الليل لما خلى “ و “ بلبل حيران “ و “ الليل بدموعه جاني
 “ وغيرها . والمقطوعة الأخيرة تعد في عالم الزجل من السهل الممتنع ، فهي
 جامعة بين عمق المعنى وسلامة اللفظ وورقة النظم فهو يقول فيها .

يا حمام نوح ويايا	الليل بدموعه جاني
داجوالك من جنس جوايا	نوح واشرح أشجاني
وشكيت الوجد معايا	الشوق هاجك من دوحك
وتنوح يا حمام لبكاي	أبكي بالدمع لنوحك
والقرب دواك ودوايا	بعد الأحباب لوعنا
ان كان في العمر بقايا	ومسير ليام تجمعنا

هذه المنظومة تضم كثيراً من فصيح الألفاظ مثل “جوالك “ ،
 “دوحك “ ، “أشجاني “ ، “هاجك “ ، “الوجد “ — ولا شك في أن
 شوقي كان يهدف إلى الارتقاء بأذواق العامة ولغتهم ، وهو ما يجب أن
 يعمل له كل زجال ، أما منظومته “ بلبل حيران “ فلم يسم إلى مثلها زجال
 وهو يقول فيها -- :

على الغصون	بلبل حيران
بالورد هايم	شجى معنى
من الشجون	في الدوح سهران
والورد نايم	بكى وغنى
في مجلس الورد	سكران بغير الكاس
ومنظر الخد	من عنبر الانفاس
وفن يشيل	فن يحطه

وجناح يقوم به	وجناح يميل
في ايد الليل يلعب به	وراه الويل يا قلبه
من دوح لدوح	سهر ونوح
يا ليل دا طير	بدن وروح
قال له يا سوسن	يا تمر حنه
يا ورد أحسن	من ورد جنه
مين بالفرح لونك	مين ؟
ومن الشفق كونك	مين ؟
تبارك اللي خلق	ظلك من الخفه
واللي كساك الورق	ولفه دي اللفه
زي القبل ولفت	شفه على شفه
يا ورد فوق لا الجناح	يرقى ولا الجرح يبقى
تشوفني وقت الصباح	جسد على الأرض ملقي
أموت شهيد الجراح	ويعيش جمالك ويبقى

وفي هذه المقطوعة - كما في سابقتها - ألفاظ فصيحہ لم يجرؤ زجال على استخدامها ، مثل :

شجى - معنى - سوسن - القبل - ملقى .

ولو شاء ناظم أن يستعمل هذه الألفاظ لما استطاع الا اذا كان في مثل قدرة شوقي

محمد بيرم التونسي

اسمه الكامل محمود محمد مصطفى بيرم .ولد بجي السيادة
بالاسكندرية في 4مارس سنة 1893وكان أبون تاجراً
متوسط الحال، نزح جده من ونس إلى أرض الحجاز، ثم
جاء ال مصر واستقر فيها .

ولما بلغ محمود بيرم الخامسة من عمره، ألحقه أبوه بكتاب في مسجد صغير
بالحي .اسمه زاوية الشيخ خطاب، ولكن شيخ الكتاب كان شديد القسوة
على الغلام ، فكان يهرب منه، وكلما أعاده أبوه اليه ضربه الشيخ فيعود
إلى الهرب، وأخيراً اضطر الأب لأن يأخذ ابنه ليعاونه في دكانه وبعد فترة
قضاها في العمل بدكان أبيه ، حاول أبوه مرة أخرى أن يدفع إلى التعليم،
فأرسله إلى مسجد أبي العباس مرسي، وكانت تعقد به جلسات دراسته على
غرار حلقات الأزهر الشريف، وعن هذا الطريق عرف بيرم طريق الكتب،
فقد كان حول المسجد باعة يعرضون كتبهم على الأرض، ويبيعونها بأثمان
رخيصة، وبدأ بيرم يحب القراءة، فكان يشتري الكتاب، وبعد أن يقرأه
يستبدل به كتاباً آخر بعد أن يدفع بضعة مليمات .

وفي هذه المرحلة من حياة بيرم، توفي أبوه فجأة في بيت زوجة أخرى
غير أمه، فاشتغل بيرم في دكان بقال .ولم تلبث أمه أن اضطرت للزواج
لتعيش، فوجد الغلام نفسه شيئاً ضائعاً، ففعاف اللعب مع لذاته، ولابسه
الحزن.

واضطر لأن يعمل في خدمة زوج أمه الذي كان له دكان يصنع فيه براذع الحمير وهوادج الجمال وكان بيرم يكره هذا العمل لأنه عمل شاق مرهق، فضلاً عن أن الفتى كان يشعر بأنه عمل تافه.

وعندما بلغ بيرم سن السابعة عشرة، ماتت أمه، فورث عنها بعض المال، وهجر دكان زوج أمه، وافتح لنفسه دكان بقاله، وتزوج من ابنة عطار في الحي، وعاش معها في بيت أبيها.

وكانت هذه الفترة ذات أثر كبير في حياة بيرم، فان عمله في دكان يملكه، ويجد فيه الحرية، أتاح له أن يقرأ كثيراً، فكان يشتري الكتب القديمة ليبيع فيها بضاعته، ولكنه كان يقرؤها قبل أن يستعملها في لف البضاعة .

وفشل بيرم في التجارة، ولكنه نجح في أن يفوز بمحصول طيب من الثقافة، وفي تكوين ملكته الفنية، التي هياها لها استعداده، واستهواه من ألوان الأدب الشعر والزجل، فقرأ لمشاهير زجالي ذاك العصر كعبد الله النديم والشيخ أحمد القوصي والشيخ محمد النجار وأمثالهم .

وبدأ بيرم يعيشي مجال الأدباء بالاسكندرية، ويخالط الصحفيين، ونظم شعراً وزجلاً، ولكنه لم يرض عنه، ولم يحاول نشره، بل كان يكتفي بأن يقرأه قصيدته المشهورة في نقد المجلس البلدي، التي يقول فيها --:

يا بائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال وكم للمجلس البلدي

إذا الرغيف أتى فالنصف آكله

والنصف أجعله للمجلس البلدي

كأن أمي آبل الله تربتها
أوصت وقالت أخوك المجلس البلدي

ولفتت هذه القصيدة الأنظار إلى بيرم، وأفسحت له مجالاً مرموقاً بين الأدباء، فقرر أن ينشيء لنفسه صحيفة تنشر أفكاره ومنظوماته، لأن معظم الصحف التي كانت تعني بنشر الشعر والزجل كانت تصدر في القاهرة، ولكن الحكومة رفضت أن تعطيه ترخيصاً باصدار جريدة، فأصدر نشرة باسم "المسلة" صدر العدد الأول منها في يوم 4 مايو سنة 1919 ، وكتب في صدرها "المسلة لا هي جريدة ولا هي مجلة" ولكن الحكومة صادرتها بعد أن صدر منها 13 عدداً ثم أصدر بعدها نشرة باسم "الخازوق" لم يصدر منها غير عدد واحد .

وظهر في هذه الحقبة من الزمن الفنان سيد درويش، فسعى بيرم اليه، وبدأت بينهما صداقة أساسها اعجاب كل منهما بفن الآخر، ونظم بيرم لسيد درويش كثيراً من أغانيه العاطفية والوطنية . وكان بيرم قد أنجب ولداً أسماه محمداً، وبنثاً سماها نعيمة . ثم ماتت زوجته فلم يمض غير أسبوعين ثم تزوج بعدها .

وفي عام 1920 جاء الحادث الذي كان سبباً في تغيير مجرى حياة بيرم تغييراً كاملاً .

كان بيرم يحاول أن يشق طريقه وينال الشهرة بسلوك طريق الجراة في النقد، والهجوم على الشخصيات البارزة، وفي هذه الفترة ولد "فاروق" ، فتهاشم الشعب بأنه ولد بعد أربعة أشهر من زفاف أمه "نازلي" إلى

السلطان احمد فؤاد .وتلقف بيرم هذا الهمس ليجعله صياحاً مدوياً، فنظم
زجله المشهور الذي جعل عنوانه “القرع الملوكي والباميه السلطاني
“والذي يقول فيه:-

مرمر زماني يا زماني مرمر
البنيت ماشيه من زمان تتمخطر
والغفلة زارع في الديوان قرع أخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامي
اسبق على القيه وسوق قدامي
تلقى العروسة زي محمل شامي
وابوها يشبه في الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وجيب لها شبشب يكون على ذوقك
ونزل النون القديم من طوقك
يطلع كويس لا الولد يتكبر
ويوم ما ينزل بالجاكته الكاكي
والسته خيل والقمشجي الملاكي
تسمع قولتها
العافيه هبله والولد متشطر
ثم يجتمم الزجل بهذه الكنايات والتورية المفهومة فيقول :-:

الوزه من قبل الفرح مدبوهه

والعطفه من قبل النظام مفتوحه

ولما جت تتجوز المفضوحه

قلت اسكتوا خلوا البنات تتستر

مرمر زماني يا زماني مرممر

وهاج القصر وماج، وتناقل الشعب هذا الزجل المر، معجباً بجرأة
ناظمه، وتوقع الناس ان يبطش السلطان بيرم، ولكك بيرم ظل بعد هذا
الزجل عدة أشهر ينعم بحريته دون أن يستطيع يد أن تمتد اليه .وحسب
الناس أن بيرم هو الوطني الوحيد، والشجاع المفرد الذي استطاع أن يصفع
فؤاده هذه الصفعة الجريئة، ولكنهم لم يفتنوا إلى حقيقة تخفي وراء هذه
الشجاعة ...هذه الحقيقة هي أن بيرم كان تونسياً .وكانت تونس تحت
الحماية الفرنسية، وبرغم أنه ولد في الاسكندرية فقد ظل متمسكاً بالحماية
الفرنسية، لم يتنازل عنها، ولم يعتبر نفسه مصرياً، لأن هذه الحماية كانت
تمكنه من أن يهاجم من يشاء بقلمه وهو آمن ...وتحت راية هذه الحماية
هاجم الأزهر والأزهريين والجاورين، كما هاجم الشيخ محمد بخيت مفتي
الديار المصرية يومئذ بزجلين عنيفين، قال في احدهما :-

أول ما نبدي القول نصلي على النبي

نبي عربي يلعن أبوك يا بخيت

وقال في الثاني :-

يا شيخ طماطم يا زرع بدري

جك البلا في وشك المجر

ورأى القصر نفسه عاجزاً عن أن ينتقم من بيرم بسبب الحماية الفرنسية التي كنت مبسوطة عليه . فلجأ إلى وسيلة أخرى لتأديب بيرم، بطريقة ليكتشف بها أمر هذا الانتقام .

رأى أن يسلط عليه شخصاً آخر يتمتع بنفس الحماية الفرنسية، ورأى أن أقدر انسان على هذا العمل شخص جزائري كان يعيش في مصر اسمه “يوسف شهدي” .

كان يوسف شهدي “فتوة” و “بلطجياً” ...يضرب ويبطش ويغتصب، ولا يتورع عن القتل، يفرض الأتاوات على الفنانات وبيوت الفسق، والبوليس عاجزاً عن أن يمد يده اليه، لأن الجزائريين كانوا يتمتعون بمثل ما يتمتع به التونسيون من حماية فرنسية . فأغدق القصر على يوسف شهدي، وطلب اليه أن يتعدى على بيرم ، فكان كلما رآه في ملهى أو مسرح، أو التقى به في شارع عماد الدين ضربه ضرباً مبرحاً.

وأراد بيرم أن يشتري مسالة يوسف شهدي، فكان يعطيه ما يستطيع من نقود، ولكن يوسف شهدي كان يأخذ ما يعطيه له بيرم ويواصل الاعتداء عليه، حتى كان بيرم يضطر للاختفاء في بيته أياماً متوالية.

وحدث ان كتب بيرم مقالا في مجلة “الخازوق” التي لم يصدر منها غير عدد واحد ، سب فيه محمود فخري “باشا” الذي كان محافظاً للقاهرة، وكان زوجاً “للأميرة” فوقية ابنة “السلطان” فؤاد من زوجته الأولى “شويكار” . وعندئذ أيقن زجال القصر أن بيرم لن يرتدع باعتداء يوسف شهدي عليه، واضطر السلطان فؤاد نفسه للاتصال بالمندوب

السامي البريطاني، وشكا اليه من حماية السفارة الفرنسية ليبرم، فاتصل
المندوب السامي بدوره بالسفير الفرنسي، ورجا منه أن يأمر بنفي بيرم
معاملة للسلطان فؤاد. واستجاب للسفير لهذا الرجاء، ونفى بيرم إلى
فرنسا. وكان ذلك في عام . 1920

لم يكن بيرم يتوقع أن يحدث هذا على الاطلاق، ولهذا وقع أمر
النفي على نفسه وقوع الصاعقة، وادرك أنه لن يرى أولاده بعد أن يغادر
مصر.

فلما غادر مصر، وكان ذلك في يوم عيد الأضحى كان أول ما نظم
بعد وصوله إلى باريس زجلاً يقطر ألماً وحسرة، يقول فيه --:

آخر مواعيدك	يوم الدبايح كان
أنصب رايات عيدك	وقفت لك فرحان
واسمع زغاريدك	وافرش لك الريحان
فصلت أكفاني	زعق عراب البين

واعر ومتعمر	خيبة أمل ومرام
يصبح ويتفسر	ياربته كان في منام
ع الناس بيتسطر	أو حكم بالاعدام
حالي اللي بكاني	ما كان تشوف العين

اياك تسليني	عالسين يا مصر مشيت
تركي على صيني	عليه عبد جوليت
جمال ينسيني	ياما لقيت ورأيت

وصل بيرم إلى فرنسا في عام 1920، وهناك قاسي من الوان الجوع
والحرانما يذيب الحديد وعمل في كثير من الأعمال الحقيرة المرهقة في سبيل
ما سيد به الرمق، وبعد عام ونصف عام استطاع أن يعود إلى مصر
متسللاً، ولكن السلطات المصرية قبضت عليه وأعادته إلى فرنسا، وظل في
هذا الشقاء حتى عام 1932، وخلال هذه المدة أرسل عشرات من
التظلمات والاسترحامات للسلطات المصرية دون أن يلتفت اليه.
ومن بين هذه الاستعطافات زجل نشره في بعض المجالات المصرية
يخاطب فيه الملك فؤاد قائلاً:-

يا ابو الفاروق يسعد عصرك

دي اسكندريه هلال مصرك

والنجمه رأس التين قصرک

وانت في النجمه ضياها

ومين باريسنا يفوقك

دم الملوك مالي عروقك

وصل جدودك بفاروقك

ورعرع الشجره اياها

من أصلها الأصل الغالي

لفرعها الفرع العالي

ضليله للناس عقباي

ما أعيش وأموت تحت نداها

ومنها زجل آخر يوجه فيه الحديث للملك فؤاد قائلاً --:

أنا اتلهيت وخذل زندي

مانيش بي الله غاندي

ان كانت الغلطات من دي

يكون في عون اللي عملها

ان كان على الملح أكلنا

وان كان على السجن دخلنا

والصوم نخلناه ونخلنا

خللي اللي فاضل لرجالها

أنا اللي ضليت في جهادي

وغشني سحر الوادي

حدفت للنيل أولادي

من بعد ما عمرو دخلها

يا ام الكرانك والدلتنا

حاتعملي طرشه لامتي ؟

ما اتغيرت كلمة “زفتي“

الدنيا ايه اللي جراها

باريس خلاص صبحت خاربه

اللقمه فيها بمضاربه ...

وانا اترميت وسط مغاربه

الغلب والكرب قتلها

وفي هذا الزجل بنفس عما في صدره من ألم وحنق لمناداة الزجالين

بأبي بئينة “أميرا للزجالين“ في مصر فيقول :

خراب ما يحتاج لمعاينه

وفن باير واهى باينه

أميري جوز أم بئينه

وأنا الرعيه وعيالها

ثم يختم زجله قائلاً :-

يا مصر هجرك يكفاني

يا عامله قمع وناسياني

دا يوم ما حرجع لك تاني

حقيقى رجعه برسماها

وفي عام 1932 استحكمت الأزمة في فرنسا، فأصدرت الحكومة الفرنسية أمراً باخراج الأجانب الذين يعملون فيها، لافساح مجال العمل للفرنسيين العاطلين، فخرج بيرم إلى تونس، وظل هناك سنوات حاول خلالها أن يجد مجالاً للرزق، دون أن يظفر الا بعيش الكفاف. واضطر في عام 1936 أن يرحل إلى سوريا، ولكن فرنسا كانت تحتل سوريا في ذلك الوقت، وكانت تعتبر بيرم شخصاً سورياً في ذلك الوقت، وكانت تعتبر بيرم شخصاً غير مرغوب فيه، ولهذا قررت اخراجه من سوريا فغادرها في نفس العام عائداً إلى فرنسا.

وعند ما وصلت الساخرة التي نقله إلى بورسعيد، لدعه الجنين إلى أسرته وأولاده ، فتسلل في فارب من القوارب “ألمان بوت” الذين يسمونهم “البمبوطيه”، واستطاع أن يصل إلى البر، ومن بورسعيد جاء إلى القاهرة، واختفى فيها عدة أشهر، سعى خلالها بعض المعجبين به لدى المسئولين للعفو عنه. ونظم أثناء اختفائه أزوجالا يعلن فيها توبته ، منها الزجل الذي نظمه ساعة أن وطأت قدماه أرض بورسعيد، والذي يعد من روائع فن الزجل، لما يمتاز به من قوة المعنى ورقة اللفظ وصدق التعبير عن الحنين للأهل ويقول فيه:

وشبعت يارب غربة

ومن بلادنا لأوروبا

اياك ألاقي لي تربه

غلبت أقطع تذاكر

بين الشطوط والبواخر

وقلت ع الشام أسافر

فيها أجاور معاوية

واصبح حماية أميه

جاورت (قاسيون (وجيرته

توحش ولافهش حاجه

وعزرائيل انتظرتة

ما جاش وجاني الخواجه

نافخ وسابق امارته

وقال لي .شوف السماجه !

البر تحت انتدابنا

أخرج ماهياش وسيه

رجعت للبحر تاني

مقهور وراجع فرنسا

ولسه طعم البوراني

فاكره وانا عمري مانسى

وان رح تونس كفاني

عذاب انا والتوانسه

“غاملان“ محضر مدافن

للأمة والامة حيه

في بور سعيد السفينه

رست تفرغ وتلا

والبياعين حوطونا

بكاتر بوستال وعمله

لكن بوليس المدينة

ما تزوغش من جنبه نمله

يا بورسعيد والله حسره

ولسه يا اسكندريه

هتف بي هاتف وقال لي

انزل ومن غير عزومه

انزل دي ساعة تجللي

فيها الشياطين في نومه

انزل دا ربك تملئ

فوقك وفوق الحكومة

نطيت ف ستر المهمن

للشط يا حكمداريه

وأقول لكم بالصراحه
عشرين سنه في السياحه
ما شفت يا قلبي راحه
الا اما شفت البراقع
اللي ف زماننا قليله
وأشوف مناظر جميله
في دي السنين الطويله
واللبده والجلابيه

يا مصر نور الوسامه
لجن السلام والسلامه
والجو فوقه ابتسامه
تحوم عليها الملائكه
ساطع باين شروقك
الدنيا سامعاه في بوقك
زي ابتسامه فاروقك
وتنطق الانسانيه

يا فرحتي يا هنايا
وكل قصدي ومنايا
واخذ تراب السرايا
بس الحكمدار وجيشه
حضرت في عيد جلوسه
أفرش له خدي يدوسه
من تحت رجله أبوسه
داير يدور عليه !

وهكذا طحن الزمن بيرم، وظل يصهر صلابته حتى أذابها، وأرغمه
على أن يمالي من وصفه يوما بأنه ابن سفاح. فلما أثمرت استعطافات بيرم،
وأراد القصر أن يصدر مرسوماً بالعمفو عنه، لم يجد مرسوما سابقا بنفيه، لان
نفيه كان بأمر السفارة الفرنسية، وأخيرا رؤى التغاضي عن وجوده في
الأراضي المصرية.

وقضى بيرم في مصر 24 عاماً أنسته آلام الغربة، ومرارة الحرمان، إلى أن توفاه الله في مساء 5 يناير سنة 1961 بالغا من العمر ثمانية وستين عاماً الا قليلا.

بقيت كلمة عن أثر هذه المآسي في أخلاق بيرم، وفي فنه، وفي نظرتة إلى الناس .

لقد نشأ بيرم في حي فقير ذاق فيه الفقر والمتاعب وما كاد يشب حتى رأى والده يتزوج من زوجة أخرى ويهمله ويهمل أمه، ثم رأى نفسه يتيماً بعد أن مات أبوه في بيت الزوجة الأخرى، وسمع أن هذه الزوجة قد دست السم لأبيه . واستولت على ما كان يحمله من أموال ... ثم يفاجأ بأن أمه قد تزوجت من رجل آخر يرى نفسه مضطراً للعمل تحت أمره، ثم تموت أمه فيفقد آخر قلب كان يعطف عليه، ثم يتزوج فلا تلبث زوجته حتى تموت تاركة له طفلين ... صدمات متلاحقة، حجرت عواطف بيرم، ومألت قلبه بالقسوة . فلم يعد يحس بشيء اسمه الحب، ولا يؤمن بشيء اسمه الوفاء أو الصداقة، ويتجلى شعوره هذا في اقدمه على الزواج بعد أسبوعين اثنين من وفاة زوجته.

وينفى بيرم فلا يجد عوناً ممن كانوا يزعمون أنهم أصدقاؤه . كلهم يخشون أن يتصلوا به فيغضب عليهم السلطان، وأصحاب الصحف الذين كان يغذى صحفهم بانتاجه الرائع الضخم ، كانوا يضنون عليه وعلى أولاده ببعض ما يستحق .

في فرنسا قسا عليه الفرنسيون، وعجز عن أن يستخلص من انياهم لقمة العيش الا بأشد العناء ، ولقى في بلادهم الذل والمرض ، وفي تونس

تنكر له أهل أبيه، ومن سوريا طرده الفرنسيون، وفي مصر كان أولاده –
كأبيهم – لا يجدون القوت وانتاجه يفيض الرخاء على أصحاب المجالات.
وفي هذا يقول في مرارة :-

الأوله مصر قالوا تونسي ونفوي
والثانيه تونس وفيها الأهل جحدوي
والثالثه باريس وفي باريس حايرموي

ومن مجموع هذه المآسي والصدمات فقد بيرم إيمانه بالناس، وكفر
بالصداقة والأصدقاء، وتحجر قلبه فلم يمنح وده لأحد. ولم يعد يأمن
لإنسان، وأصبح يتوجس شراً من القريب والبعيد.

ومن مجموع هذه المآسي والصدمات ازدادت موهبة بيرم لفنية صقلا
وصفاء ، واتسعت آفاق خبرته وفنه، وتجلت مقدرته وبراعته في تصوير
حياة الطبقة الفقيرة في البيئة المصرية، ولكنه لم يكن يصور من حياة هذه
الطبقة الا الجانب الموجب للنقد، وأسرف في هذا التصوير حتى اتهمه
البعض بأنه يتعمد ابراز مساوىء البيئة المصرية.

ومن حق بيرم علينا وعلى التاريخ أن نقر له بسمو الموهبة، التي
تصل به إلى حد العبقرية ، فهو كرجال يعد في القمة، ويعد أستاذ مدرسة
عجز تلاميذها عن مجارة أستاذهم لأنهم لا يتمتعون بمثل عبقريته.

ومن حق بيرم علينا وعلى التاريخ أن نقول أنه على الرغم من كفره
بالصداقة والأصدقاء، ونكرانه للوفاء والأوفياء، فقد كان يحمل قلب
مسلم صادق الايمان، سليم العقيدة. ويتجلى هذا الايمان في كثير من

أزجاله، ولكنه يبرز بوضوح تاد تلمسه في زجله الذي جعل عنوانه
“النسوان”، والذي يقول فيه موجها الحديث إلى الذات الالهية :

في كل عام للورد أوان

الا النسوان

بقدرتك ثابتين ألوان

أبيض وأحمر

وانت اللي تعلم وأنا أجهل

فيه ايه أجمل

من الحدود اللي لا تدبيل

ولا تتغير

ودي العيون اللي اشهدلك

بها واسجد لك

دي خلت الطاعي انقادلك

والمتكبر!

والشفتين اللي فالقهم

كنت خالقهم

للابتسام والا رازقهم

دا انت تحير!

العبد يعشق بالقوه

عشق لجوه

وكمان جهنم ؟ ايه هوه ؟!

ما حناش معشر؟

بدمتي انت اللي جاذبني

يا معذبني

ويا اللي ذوقك يعجبني

لما تصور

لك صنعه في العين والحاجب

بها تتعجب

ونقول وجود الله واجب

مين به يكفر؟

ولك قوالب في الاجسام

غلب الرسام

يقلدك بججر ورخام

يلقاك أشطر

ثم يمضى هذا الزجل يخاطب النسوان، ويصف فتنتهن في التكوين،
وفي أناقة الملابس، وفي الدلال، وصفاً يتفوق به على كثيرين من مبدعي
الشعراء فيقول --:

يا ست يا زناق محبوك

وقميص مفكوك

حطي على القلب المشبوك

ايدك .يعمر

وياام نص ملاليه حرير

والنص يطير

على الكتاف أنا عقلي صغير

غطى المرمر

ويا للى ساقك يسوى رقاب

حارت ألباب

في لون حقيقته ان كان "بشراب"

والا "مفشر"!

ويسترسل في هذه الأوصاف الرائعة حتى يقول --:

يا مسلمين الله يا حرير

أنا مالي غريم

غيركم أروح وياه في جحيم

يوم المحشر

ومرة أخرى يتجلى صدق ايمانه هذا في مواويله التي ينحي فيها

بالائمة على من يعبدون الله لغاية فيقول --:

يا رب سلطان جلالك يتعبد للذات

خالص لوجهك لا للنيران ولا الجنات

لكن عبيدك وخلقك يعبدوك لغايات

صبحوا - وانا عبد منهم - كلهم ترسات!

التاجر أما افتقر صلى وصام الفرض

والعمده لما اترفت جالك وقع ف العرض
والقطن لما اتحرق صاحبه سجد ع الأرض
وكلهم عالعبادة يطلبوا حسنات
ولما اعملوا بالشرع والسنة
اضمن لكم يا عبادي الخلد في الجنه
جنات بما المتقين بالخور تنتهي
قام المريض والمكسح بالسبع ركعات

هذا هو بيرم الذي قسم القدر حياته إلى ثلاثة أقسام تكاد تكون
متساوية في مداها . فجعل منها قسما لطفولة قلقة مضطربة مضیعة، وقسما
للنفي والعذاب والتشريد، ثم ختمها بقسم فيه رضا ورغد واستقرار، لا
تشوبه الا رواسب حقد على ما لقی في شطري حياته السابقين من شقاء .
ويجب الا تنسيا براعة بيرم الزجلية، براعته في ناحية أخرى، نال فيها
من الشهرة ما يتساوى مع شهرته في الزجل، تلك ناحية “المقامات” .
ان مقامات بيرم لون رائع من ألوان الأدب، فيها السجع الرصين،
والمعنى الجميل ، ويخالطها الشعر الجامع بين الجد والهزل، إلى جانب
الفكاهه البارعه، والهدف المحدد.
وفيما يلي أمثلة من تلك المقامات، تجلى فيها كل تلك المزايا ،
ويتجلى بشكل واضح جمعها بين متانة القديم وطلاوة الجديد .
فهذه مقامة اسمها (المقامة البليجامه) تناول فيها ما كان شائعاً في
سفاراتنا ومقوضباتنا في العهد المبائد من فساد وركود . قال :

“حدثنا الفالح بن فلحان قال ...بسم الحظ الخريجين عشرة أنفار، وأوقفوهم للانتخاب للعمه، وطلبت السفارات أئمه .فاختاروا من والاختيار، لأنه لا يجوز الذهاب إلى أوروبا، الا لمن تهذب وتربي .وكان حسن الهيئه، شريف البيئه .فجعلوا يفحصون الأجسام، ويتأملون الشكل والقوام، ويختبرون الكفاءات ، ويسألون عن الآباء والأمهات، فكانت النتيجة كما يأتي--:

الشيخ دسوقي :

أهرث الشدق أسود الناب يبدو

فمه النتن ماضغاً فاسوخه

الشيخ رضوان :

فيلسوف أرخى على الصدر منه

لحية ذيلها كذيل الفسيخه

الشيخ الشندويلي :

يكثر البصق في الهاء ولا يب . .

صق الا فتى يعر شيوخه . .

وبعد أن يصف يرم بقية المشايخ بهذه الأوصاف البارعة، يقول :-
فأسقطوا هؤلاء النفر ، واختاروني للسفر ، لما رأوه في من علم عزيز ، وأدب كبير، وملابس من حرير، فقطعوا لي التذكرة، في أول باخرة، وخرج المشايخ لوداعي، وهم يودون هدمي واقتلاعي، ووصلنا إلى مقر الوظيفة، في السفارة المنيعه، فاستقبلني السفير في الصالون، وأجلسني على

الشازلون، وقال .اعلم أننا لم نستحصرك للسجود والرجوع، ولكن ليتم بك الموضوع، فالسفارات جعلت للأبهة والفخار، لا للنفع والاتجار، ولا يلزم من العمل غير الذهاب والاياب، والوقوف على الباب، حت اذا قيل لمن هذا القصر؟ قيل هذه سفارة مصر .قم الآن مع السكرتير ليفتش لك عن مسكن، ويساعدك بقدر ما أمكن .فذهب معي السكرتير واشترينا الملابس الأفرنجية من جاكنته وبنطلون، وفانلا وقلصون، وقميص وقبعه، ومناديل أربعه .ثم أجرنا “قبرطمان “، أصحابه نسوان، ومكست أسبوعاً للاستراحة، أتبين المنزل وأفراحه، وقد اكتشفت فيه احدى العبر، واليك الخبر .دخلت على المرأة صاحبة البيت فوجدتها لابسة لبس الرجال .حالقة سوائفها والقذال .ثم جلست على الفوتي، بهذا الزي، ووضعت رجلاً فوق أخرى، فظننتها تريد بي سخرا، فقمتم إلى السفارة وسألت السكرتير : --

هل تلبس النسوان في خلواتها

لبس الرجال ومثلهم تتقمط ؟

قال ما الخبر ؟ فقلت -----:

أبصرت ربة منزلى وثيابها

مثلي ومثلك لا أراي أغلط

قال وكيف كان ذلك ؟ قلت -----:

في بنطلون فوقه جاكنته

مفتوحة منها النهود تلعلط

قال وماذا أيضاً ؟ قلت -----:

لا ياقة فيهما ولا قرفاطة

الا شريط فوق خصر يضغط

قال هذا غريب ! ما لوئها ؟ قلت -----:

زرقاء كالبحر المموج منتهي

بالأبيض القلم الحرير مخطط

فابتسم ، فقلت -----:

أفكان سخرا ذاك أم هي موضنة

قل لي فعقلي منذ ذاك ملخبط

فقال هذه بيجامة تلبسها الأوروبيات في المنزل ، فقلت : --

ان كان هذا فالبيجامة شكلها

في مذهبي شكل يسر ويبسط

قال هل أعجبتك ؟ فقلت : --

لفاء كالتمثال حتى خلتها

من مقلتي لا من يدي تنزقلط

قال فهن يرقدن بهذه البيجمات ، فقلت :

متشكر لجنابكم ...متشكر

شكراً يدوم بقدر ما سأزيط

وردية مثل بنات الجرمن

رشيقة كفتيات لندن

تحسبها مسبوكة من معدن

لكنها مخلوقة من ملبن

وذاك لما تلتوي أو تنثني

أعضاؤها من حسن وأحسن

تغزو وتحتل فؤاد المحسن

أسمعها من خلف الباب المسكن

تقول للبقال “يا عبد الغني“

كأما أسمع صوت “الأرغن“

كانت الأم تزورني مع ابنتها وتسألني عن الميراث، فأقول وأعيد ،
وعن القرائض فأشرح وأزيد ، حتى كبرت في عين الكبرى ، وتربعت في
قلب الصغرى ، وكان المقاول الرذيل يضايقها بدخوله ، ويزحم الحجرة
بعرضه وطوله .

اشترت لها يوماً ترمساً فجاء في اليوم الثاني ببندق ، واشترت مرة
لباً وحمصاً ، فذهب وعاد بفسثق ، وفي أحد الأيام اشترت من الغورية
زجاجة ورد من تقطير رشيد ، ومن وارد السيد زهران عبد المجيد ، وقلت
للسيدتين ، هذه زجاجة ماء الورد الذي يطيل الشعر ، وتصح به العيون
المريضة ، وتعطر المهلبية ، فاحفظوها في الصندوق ، ولا يطلع عليها أي
مخلوق .

قال : فجاء المقاول في اليوم الثاني ومعه زجاجة “لاوندة“ كبيرة ،
كأنها زجاجة بيرة ، فلما رأَت البنت ما عليها من النقش المزيفه ، والكتابة
المزخرفة ، قالت هذه هي الهدية التي توضع في الصناديق ، وقالت الأم :
وهكذا تكون هدية الصديق .

وقال المقاول : ان ماء الورد لا يهدي لأهل بيت ، وانما يشتري مع
حنوط الميـت ، وضحكت المرأتان ، وشمّت الجبان ، فقلت والله لأؤدبنكم
غير هذا الأدب ، يا أبناء العرب .

ويخرج بيرم من هذه القصة الطويلة التي تبدو لأول وهلة أنها مجرد
التسلية ، إلى الهدف الذي يرمي اليه فيمضي قائلاً :
وفي اليوم الثاني دخلت على وزير المالية ، وكانت بيني وبينه علاقة ،
أكثر من الصداقة ، وقلت بكل صفاقة --:

يا أيها الراقدون هبوا
فالكون بالراقدين يمشي
بلادنا اليوم قد أحبطت
من كل أقطارها بجيش
من كل مستبسل شجاع
يقودهم للأمام “دوتشي”
وما السلاح الذي اقتنيتم
لحكومة الحرب غير قش
قلتم لنا مالنا قليل
قلنا وما ذاك غير تنش
المال تحبونه ولكن
بكل محق وكل بطش
فكم حجزتم على رغيف

ورطل سمن وصحن مش
وقفل بيت وكوز ماء
وزوج نعل ونصف برش
هذي "اللواندا" التي تفشت
في قطرنا أما تفش
تباع بالكشر وهي ماء
فيه من الغش كل غش
تباع للشيخ والافندي
وراجح العقل والمفش
ضعوا على اللتر ألف قرش
والف قرش وألف قرش
ثم اجمعوا الربع واحسبوه
تلقوه واللح حمل ونش

وهكذا يجمع بيرم في مقامة واحدة بين نقد الضرائب الفادحة، وبين
نقد اتفاق هذه الضرائب في الكماليات واهمال تقوية الجيش.
واذا كنا في حاجة إلى دليل على أن شاعرية بيرم لم تكن في قوتها
وتألقها أقل من عبقريته الزجلية. فإن هذه الأبيات تعطينا البرهان القوي
هذه الشاعرية الفذة.

يصف بيرم في إحدى مقاماته مرقصاً على لسان شيخ معمم فيقول:

“فما كاد يستقر بي القرار، حتى قرعت الاوتار، واختلط النظام
واعتكرك، وتأبط كل انتي ذكر، فلو سألتني عن هذا المنظر العجيب، لما
استطعت أن أجيب، فان عروقي كانت تحتلج وتضطرب، وقلبي يهتز من
الطرب، فقل معي على تلك الأنغام، ووقع الأقدام

يا صاح وحقك ليس علي
من راح المرقص من حرج
جمعوا الفتيان مع النسوا
ن فيا للأمر المنبهج
ما كاد معنى القوم يد
ق الدف يلحن منه شجي
حتى انفرطت وحدائهمو
ثم ازدوجت بالمزدوج
رجل وقرينته التصقا
بصدور العز وبالمهج
فعلى كتفيه معاصمها
ويداه بخصر ذي عوج
فاذا انجذبت فلتنجذب
واذا اختلجت فلتختلج
واذا نقلت قدما رفعت
قدما والرفع بلا عوج

مضيا بذراعين اندفعا
بما كالسباح في اللجج
ورواحهما ومجبتها
لا زال على ذاك النهج
طورا كالصاعد في درج
أو كالمنحط من الدرج
من كل اثنين اثنين معاً
ذهبا في اللعب وفي المرح
وقفية القوم على حدة
قمن بالشوق المعتلج
في الركن يرقص لحيته
وتروح عامته وتجي
قد كان يموت بحرقته
لولا ما فاح من الأرج
وخواتمهم وأساورهم
طمست عينيه من الوهج

والمقامة تروي بعد ذلك كيف عوض الشيخ حرمانه من الرقص
بطبق حافل بألوان “الساندويتشات” في أسلوب رقيق بارع تفرد به هذا
الفنان الموهوب.

محمود رمزي نظيم .. كنيته "أبو الوفاء"

ولد في بلدة بركة السبع بالمنوفية في 14 فبراير 1887. وكان أبوه مأموراً للضبط. وكان قبل ذلك أركان حرب العمليات العسكرية بن الثورة العرابية، أما أمه فكانت مصرية انحدرت من أب تركي وأم سودانية، ويرجع نسب أبيه إلى الأمام الحسين رضي الله عنه.

وقد توفي والده وعمره عام واحد. وعند ما بلغ السادسة من عمره ماتت أمه. فلما بلغ الثانية عشرة ضمه إليه خاله المحروم اسماعيل عاصم "بك" وكان من مشاهير المحامين وكبار الأدباء. وقد تعهده بالتهذيب والرعاية، وشجعه على الاتجاه إلى الأدب، حتى انه نظم الشعر وهو ما زال طالباً. وكان أبو الوفاء وطنياً شديداً الحماسة منذ كان يشترك في المظاهرات، لا بمجرد الهتاف، بل وبالهاب حماسة المتظاهرين بخطبه وأشعاره وأزجاله، وأهل الحماسة هي التي جعلته يختار الصحافة مهنة له، ليتخذها وسيلة للدفاع عن حقوق الشعب.

وكان قلم محمود رمزي نظيم سبباً في دخوله السجن عدة مرات في عهود مختلفة، فلما جاءت ثورة سنة 1919 وثار الشعب المصري بقيادة سعد زغلول، كان رمزي في طليعة الثوار، لا يكتفي بما يكتبه بقلمه، ولا بما يلقيه كم خطب حماسية وقصائد مثيرة، بل كان يقود المظاهرات، ويؤلب الجماهير، حتى عرف باسم "شاعر الثورات" وأطلق عليه "قائد المظاهرات".

وكان من أبرز خلاي ابي الوفاء خلطان، الجرأة في الحق، والتصوف التابع من قلب عامر بالأيمان الصادق والاسلام الصحيح، ومن دلائل جرأته أنه عند ما قبض عليه في احدى المرات سأله وكيل لنيابة.

• هل قمت بالدعوة إلى الثورة؟

قال :نعم .وأنا على استعداد لأن أدعو لها، لا في مصر وحدها، بل وفي كل بلد فيه احتلال أو حماية أو وصاية أو انتداب.

وعاد وكيل النيابة يسأله:

• بأية طريقة تدعو للثورة

قال :بالقتل والاعتقال .بالحديد .بالنار .بكل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى الحرية والاستقلال.

وقد يبدو هذا الاتجاه غريباً من محمود رمزي نظيم الزجل الذي عرف بركة العاطفة، والذي يدوب عطفاً وحناناً، ولا يمد أصبعاً بأذى . ولكن أبا الوفاء كان رجلاً يعرف دينه حق المعرفة، ويعلم أن الاسلام لا يهاذق المعتدي الظالم .وان سياسته هي “من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم“

وكان يعلم أن الاسلام دين العزة والكرامة، ولا كرامة مع الضعف أو التخاذل، ولهذا كان يدعو جبهة إلى سفك دماء الانجليز .وكان مع اعجابه الشديد بغاندي زعيم الهند، لا يقر سياسة المسالمة والعصيان المدني التي يجارح بها الانجليز، فهو يخاطبه بقصيدة من روائع الشعر يقول فيها--:

ايه غاندي لا تقل سلما فما يجدي السلام

انما يجدي اندفاع...لملاقاة الحمام
رحمة الله على كل شهيد وشهيدة
تنتج الثورة خيرا كلما كانت شديده
ان عصيانك هذا ثورة فيها ملل
انما الثائر حقاً من اذا ثار قتل
ان من عاش ضعيفاً حقرته الأقياء
فادفع القوة بالقوة واتبت للبلاء
صاح ان السلم لا يضمن تحرير الشعوب
انما يضمه السيف الذي يفري القلوب

عرفته منذ عام 1921 وظللنا طول هذا العمر على اصفى ما
يكون الأصدقاء الأوفياء، لا اسمع منه الا الكلمة الطيبة، والدعوة
الصالحة. وكان يومئذ يعمل محرراً في جريدة النظام، وينشر أجزالاً أسبوعية
في جرية السيف، وفي عام 1923 رأت جريدة السيف أن تجمه أجزاله في
كتاب. فكان من حظي أن عهدت إلى الجريدة بجمع هذه الأجزال
وتبويبها، والاشراف على اخراجها باسم “أجزال تنظيم”.

وبعد ان توقفت جريدة النظام عن الصدور عمل في صحف أخرى
إلى أن استقر في جريدة البلاغ وظل فيها حتى عام 1945، وفي تلك
السنة التحق بوظيفة بوزارة الشؤون الاجتماعية، فكان برغم كبر سنه مثلاً
طيباً للنشاط والاخلاص في عمله، واستطاع أن ينشيء للوزارة مكتبة وأن
ينظمها نظاماً دقيقاً.

وفي سبتمبر من نفس العام وقع الاختبار عليه وعلى كاتب هذه السطور لتمثيل مصر في مؤتمر الزجل العربي الذي عقد في لبنان، واستطاع كل منهما أن يظفر لمصر بنصر أدبي كبير، فقد أنتخب محمود رمزي نظيم رئيساً للمؤتمر الأولى — وسام الاستحقاق اللبناني — في مباراة الزجل العربي التي أقيمت بمدينة عالية في سبتمبر سنة 1945.

وفي لبنان استطاع رمزي أن يملأ قلوب اللبنانيين إعجاباً وتقديراً لشخصه. بدماثة خلقه وقوة عارضته، وقدرته على الارتجال.

والحق أن ابا الوفاء كان كاتباً لامعاً، وكان شاعراً عريباً رصيناً، وكان زجالاً من أئمة الزجالين، وكان معروفاً بين أصدقائه باخلاصه لصوفيته. وولعه بالروحانيات، وتعمقه في دراسة علم الفلك. كما اشتهر بينهم بقدرته على قراءة الكف، فكان يتناول أكف أصدقائه، ويقلبها بين يديه، ثم يروي لهم من أخبار حياتهم ما تستنشقه روحه الصافية، ونفسه المؤمنة، ولم تكن يزعم أنه يعلم الغيب، ولا يدعي معرفة المستقبل، إنما يفعل ذلك على سبيل التبشير بالخير.

ولحمود رمزي نظيم مؤلفات عديدة منها “كأس الحكمة” و”الموشحات” و”ديوان نظيم” و”أزجال نظيم” و”سعد زغلول” و”الحان الأسي” و”تحت ظلال النخيل” وغيرها.

وبعد وفاته إلى رحمة الله في ظهر الجمعة 25 يونية سنة 1959 قام أديبان من أوفى أصدقائه، هما الأستاذان محمد علي أبو طالب ومحمد علي الغزالي الجبيلي بجمع الكثير من المراثي التي قيلت فيه، وضم الكثير من

أشعاره وأزجاله، في كتاب ضخّم جعلاً عنوانه “الرمزيات” فكان عملهما
هذا خدمة جليّة للأدب.

وفيما يلي نموذج من شعره من قصيدة بعنوان “تجلي الهلال” --:

أيها المسلمون توبوا إلى الله
جميعاً واستغفروا استغفاراً
عله يقبل المتاب ويمحو
سيئات منها الوجود استجارا
واستعيدوا الذكرى فذلك يوم
ملاً الكون بهجة وفحارا
حان وقت الجهاد للدين والدنيا
ما فهبوا وجاهدوا أبرارا
ان موتا في طاعة الله خيرا
من حياة تمام ذلا وعارا
أي حق في أرضكم لشريد
أو طريد يريدها اليوم دارا
فاطردوهم بقوة ثم ذودوا
عن حماكم وشتتوا انفجارا
كم هرعتم للعم سام فألقى
في وجوه للحق تسعى ، غبارا
ان صوت الاقناع أصبح صوتا

لا ينيل الحقوق والأوتارا
أمم الغرب لم تزل تخدع الشر
ق وتلقى من أهله سمارة
هئة بعد هيئة ألفوها
أصبح العدل عندها استعمارا
عززت كل ظالم بقواها
واعانت بحولها الغدارا
وارى العدل والسلام لديهم
كمريضين يلقيان احتضارا
كيف احسنتم الظنون بقوم
لا يريدون للحياة قرارا
أي ملك بقيمه نحس صهو
ن وبينه عنوة واقتدارا
عرب القدس في غد سوف تلقوا
ن من العرب في الكريهة جارا
أمم حولكم تقاتل للح
ق بسيف ما زال يحمي الذمارا
داركم دارنا وطه وعيسى
جعلها للملتين منارا
ان قبر المسيح فيها وفيها
حرم المسلمين يرعى الجوارا

عرب كلنا يدافع عنها
مسلموها تطوعوا والنصارى

أما أزجال رمزي ففيها نفس القوة والدقة، وهذا نموذج منها--:

ذكرى من الحب باقيه لك وباقيه لي
وصوره للحسن في بالك وفي بالي
يا ما مليت كأس صفا وسمحت تملاي
ويا ما شفنا ليالي في الهوى وأيام!
اياك يعود الزمن ويهل لي هلاي

قال الجميل في الجواب الصبر أولى لك
وقاسى بعدي ونوح وابكي على حالك
وانسى اللي فات في الهوى وامحيه من بالك
فاتت ليالي الهنا بالحب والمحجوب
خلي القضا والقدر من كاسه يملالك

أنا قلت فين يا ليالي الاصل القاكي
سا بني حبيب الفؤاد وترك لي ذكراك
هو الضحك الوسيم اما انا الباكي
ياما أنادي وأردد في الظلام اسمه
وأشكيه لروحه عسى لله يرحم الشاكي

وأفوت عليه كل يوم اتمنى ينده لي
وترك قلبي حداه معاه كمان عقلي
مفيش شفى يا جميل ف الدنيا يشبه لي
وانت اللي عالم بحالي بس بتعانده
حقك علي وأنا أستاهل على جهلي

اسمح أشوفك ويكفاني طرب رؤياك
أنا الأمين الوفي في البعد وياك
لابد من يوم ولو طال الجفا القاك
وتعرف الود والاخلاص وتتحقق
ده اللي مشي حياته ومستحيل يملك

حسن الفرشوطي

اسمه الكامل حسن عبد الرحيم الفرشوطي نسبة إلى قرية فرشوط بمحافظة قنا، تاريخ ميلاده مجهول من وجه التحديد، ولكنه ولد حوالي سنة 1871، وعاش حوالي ثمانين عاماً وفقد بصره قبل وفاته.

أولع بالزجل منذ صغره، بعد أن سمع الكثير منه من أئمة الزجل في الصعيد وحفظ لهم الكثير. وفنا أغنى مناطق الصعيد بالزجالين المبدعين، وفيها ظهر حسن عبد الرحيم القفطي، ويوسف صالح القفطي، والسيد علي النابي، والحاج محمد عليوه الأقصري، وحسن زوط، والشيخ السقلي، وغيرهم. ومما يؤسف له أن هؤلاء جميعاً لم يطبع لواحد منهم ديوان، وضاعت أزجالهم إلا القليل الذي بقي على ألسنة مواطنيهم، ولا بد أن يضيع مع الزمن. وياحبذا لو قام واحد من الغيورين على الأدب من أبناء محافظة قنا، أو قام المجلس الأعلى للفنون والأداب بجمع تراث هؤلاء الزجالين الأفاضل قبل أن تضيع البقية الباقية منه.

أما حسن الفرشوطي فقد استطاع أن يجمع أكثر أزجاله في ديوان سماه "الروح الزجلية في سماء الوطنية".

وقد عرف الفرشوطي في بلده بسلطة اللبان والميل إلى الهجو حتى سمي نفسه "الخطيئة" ولهذا كان يخشاه الناس، والحق أنه كان زجالاً قديراً، في أزجاله رقة وخيال، ولو أنه نال قسطاً أكبر من التعليم لكان أقوى مما كان.

ومن أبرز الأحداث في حياة الفرشوطي انه ارتكب ذات مرة ما استوجب حبسه، فلما خرج من السجن تاب واهتدى وانتسب إلى الطريقة الخليلية، وفي أخريات أيامه الحقه بعض من يعطفون عليه ويعجبون به بوظيفة صغيرة بتفتيش ري قنا.

وفيما يلي زجل من أزجاله يصف فيه حياه موظف الحكومة--:

مسكين بيات المستخدم يبني ويهدم

في وسط دايه محدوده

واللي يشوفه بيعيده يطوي بايده

أيام حياته المعدوده

يطلع من المولد يرقص من غير حمص

والدنيا قدامه سوده

والشهر طوّل أيامه من ألامه

يشوفها زي المشدودة

وياجي يقبض يتلخبط يحسب يغلط

وتبقى ساعة مشهوده

يحسب ماهنته وديونه تلقى عيونه

تطلع وتنزل في الأوده

يسمع صراخ الناس بره مره ومره

يعمل ودانه مسدوده

يفضل يداري ويأجل والمستعجل

يسلكه وبالله بعوده
يصبح مفيش حاجة عنده لا في يده
ولا في بيته موجوده
راح اللي راح ونسى الماضي ويصبح فاضي
زي اللي حاجه محسدوه
بربك احكم ويايه من غير غايه
قالي دي الحياه المنشوده
يعيش وأفكاره تدفن ويخاف تعلن
تفضل في صدره موءوده
وحتى في صالح نفسه خافت حبه
لكن ميوله مرصوده
وكل دا وقبل ما يولدك انت توجد
فكره توظف موجوده
وادي الذكا المصري وحاله واللي جراه
وادي الحياه المنكوده

قلنا ان قنا كانت منبتا لعدد من الرجالين المبرزين ، وقد ذكرنا أسماء
أشهرهم . وهذه نماذج من أزجالهم، وفيها من المعاني الجميلة وحسن
الديباجة ورقة اللفظ —على الرغم من كونهم من بلد في أقصى الصعيد،
بعيد عن رقة أهل الحضر— ما يشهد لهم بطول الباغ في هذا الفن.

كان الشيخ حسن عبد الرحيم القفطي على صداقة مع الحاج محمد علي الافقري، وكانا يتبادلان الرسائل والزيارات وقد كتب الشيخ القفطي للحاج علي بضع رسائل لم يتلق ردا عليها، فأرسل له هذا الرجل يعاتبه فيه على قطيئته قال:-

بعث لك ألفين سلامات
الفين تحبه وشويه
وانا على طول الأوقات
ما شفت واحد من ميه
يخلصك تنسى ودي
والود كانت له أوقات
آخذ معاك فيها وادي
واحضر عليك علم “الواوات”

أنا حسن واسمي حسنين
وكل ازجالي طازه
وفي الزجل صاحب لسانين
وكل واحد له عازه

لكن حرام دانت عمي
برضك بتسال وتراعي
ويصبح مني يا عمي

أطرف عيوني بصباعي

ان كنت آجي واديكم

أروح وأرجع ف نھاري

وان بت ليله عنديكم

أصبح على ضھر حماري

ولا أشوف غير القاضي

والا ابنه عبد الله محمود

ولا أبوك ان كان راضي

وفي البلد قاعد موجود

أوعى تكون تحسب لي حساب

مع الجماعة أقرانك

منين اجيب لي وقت شباب

زي ابن عمك واخوانك

افھم كلامي يا عمي

واعرف معاني مضمونة

وخللي بالك من يمي

وعهدنا اوعى تخونه

وفي الواوات الذي أشار اليه الشيخ القفطي في الدور الثاني من هذا الزج، فن اشتهر به أهل الصعيد ، وتخصصوا فيه، وأجادوه، وقلدهم فيه غيرهم من زجالي الأقاليم الأخرى، ولكن أهل الصعيد ظلوا في طليعة المتخصصين في نظم هذا اللون الجميل من الفن الشعبي.

ويمتاز فن “الواوات” بما يتضمنه من جناس رائع، وقد يكون هذا الجناس الصدر فقط، وقد يكون في العجز وحده، ولكن المتمكنين من هذا الفن يجعلون الجناس في الصدر والعجز معاً. وفيما يلي أمثلة من الواوات.
قال السيد علي الناي وهو على فراش المرض يتوقع الموت--:.

ان كان رقادي “تعبكي

والحزن شامل “وسايد

لمي حبايبك “تعا ابكي

على فرشتي و “الوسايد

والجناس هنا في الصدر والعجز معا .

وقال الشيخ حسن زوط بهجو الشيخ السقلي--:

ان لعق الدين “انا كبناه

حديث ائمه “ثلاثه

لو يعلم آدم “انك ابناه

طلق حوا “بالثلاثه

فرد عليه الشيخ السقلي يقول :

في وصف التيمين (لادم) .

وكل الخلاق "لهارب"

ابليس مارضيش يسجد "لأدم"

شاف صورتك "فر هارب"

ويلاحظ هنا أن الجناس في الصدر والعجز معاً . كما يلاحظ وجود
اختلال في الوزن، ذلك أن "الواوات" تنظم على تفاعيل البحر "المجتث
"وتفاعله" مستفعلن فاعلاتن .

أما الواوات التي اقتصر فيها الجناس على الصدر فمنها قول من

قال :-

جايف اجول له "يجول له"

والجلب مرعوب وخايف

ايحي جولي له "يا جله"

حين توردي ع الشفايف

ومن الواوات ما يخلو من الجناس حلوا تماماً مثل قول الشيخ حسن

القفطي :-

انتو مظاهر بلدكم	والفضل لكل ظاهر
من ظهر والد ولدكم	ظاهر ومن نسل طاهر
لا بد أحضر حداكم	يا اهل الفنون والقوافي

واقصد مطايب رضاكم وامشي على الجمر حافي

ومن أجمل ما قيل من الواوات المشتغلة على جناس في الصدر
والعجز بيتان عثرنا عليهما لرجال من أهل هذا الاقليم “قنا” اسمه الشيخ
توفيق وهبه القنوي يقول فيهما:

أول ما بختي “بكم مال”

في الحال ضاقت “ملافي”

عاوز رفيقين “كمال”

“بكوم مال” “كامل” “ما لاقني”

وبلاحظ أن الجناس في البيت الثاني جناس ثلاثي، مما يدل على
مقدرة الرجال وتفننه.

حسين الحلبي

ولد حسين الحلبي في حي القلعة بالقاهرة، من أسرة متوسطة الحال، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وبعضاً من القرآن الكريم بكتاب "الشيخ عطية" بجي الخليفة، ثم انتقل إلى مدرسة أم عباس بنفس الحي.

ثم انتسب إلى الأزهر إلى أن بلغ السابعة عشرة من عمره. فتوفي أبوه. وأضطر لأن يشتغل بالتجارة. ولكن مدة دراسته بالأزهر كانت قد حبيت إليه الأدب فأخذ يكتب الروايات. ثم تحول إلى نظم الزجل. وعرف بين الزجالين بالميل إلى الدعابة "وجر الشكل" لاقامة معارك أدبية وقد مكنته حالته المادية الميسرة من أن يقوم بسياحة زار فيها تركيا وسورية.

وكانت له مداعبات مع بعض مشاهير الزجالين في عصره. كالشيخ أحمد عاشور، ومحمد امام لعبد ومحمد عبد النبي. فلما تقدمت به السن قصر نشاطه على الخطابة في المحافل الأدبية والجمعيات الخيرية والاخلاقية، وقد عاش حتى جاوز السبعين، وتوفي في فجر 25 صفر سنة 1351 هجرية.

وفيما يلي نموذج من أزجاله--:

يكفي مجون واسمع مني

بدي أقول جملة أقوال

وحياة ابوك تروي عني

حتى ولو أجز الجرنال

مال البلد في بؤس تمام

وحظها وليّ عنها

يا هلتري ترجع ليام

تسعد وتبلغ آمالها ؟

مریت بفكري ع الاحوال

راجعتها فنده فنده

رأيتها أوسخ م الاحوال

يارب خلص ده من ده

يارب احنا مش خلقك

واحنا بيدك الأحرار

نصبح كده من دون خلقك

في حزن زايد و ف اكدار ؟

احنا الليوث واحنا الأبطال

وادي التاريخ شاهد عادل

احنا اللي من مد أجيال

كنا رجل واحد عامل

صابتنا عين لجل التفريق

قالت لنا "فرکش يرنه"

كانت سبب كل التعويق

أمان يا مولانا تبا

كانت بلادنا المصرية

كشكول صنايع ومعارف

وزراعة وأمور فنية

حفظتها آثار ومتاحف

لنا السبق والفضل تمام

على التمدن والعمران

لنا الشرف والفخر التام

هل من مبارز في الميدان ؟

أظهر له ميت حجه وبرهان

وميت دليل دامع قاطع

ان احنا ف الدنيا الاعيان

سابق ولاحق مع تابع

الجهل كان مالي الدنيا

وأهلها كانوا أوباش

ما يعرفوش شيء في الدنيا

بناء ، زراعة ، غزل ، قماش

جوا الكهوف ويا المغارات

بين التلول ويا الأحجار

يهموا دايما ف الفلوات

وتحت أغصان الأشجار

“سكر و بس “المصري هاجر

إلى “أتينا “عليها

“توتموسن المصري “لاخر

سافر اليها مدّتها

وجات وقود م الغريين

إلى بلادنا المصرية

واتعلموا م المصريين

كل العلوم العصرية

وبعدها ظهرت نبلاء

كريت أثينا اليونانية

“مينوس” و”سولون” النبغاء

“الكورج “يابغاه مقدونية

عين شمس موجودة للآن
أما تلاميذها أشهر
واللي يجادل بعد الآن
يثبت لي مين من دول أظهر

وبمضي حسين الحلبي في سرد أمجاد وطنه القديمة .ثم يشيد بذكاء
مواطنيه فيقول---:

قوم خد كدا فلاح مصري
وعلمه شوف يعمل ايه
والله الذكا فيهم قطري
هو اللي راح الوقت عليه

ثم ينتقل إلى سرد أسباب تأخرنا فيقول--:

أنا بفضفض من وجددي
ومن ضروب صرف أموالنا
أروح ملين آه يا وعدي
نصرف كتير في أهوالنا

ان هل صيف يطلع يجري
على باريس نقعد شهرين
خمسين جنيه نولون بحري

ومثلها واحنا راجعين

الأوضة في اليوم في فرنسا

بليرة واثنين و ثلاثة

وغير كده اوعى تنسى

لعب القمار و “الختباته“

ياما القمار ضيع بكوات

بيوتها كانت مهمورة

ياما القمار خرب سرايات

كبيرة كانت مشهورة

الريح كله للبنكير

والخمرة تصرف مجاناً

تطلع تلاقي جم غفير

بينتحر مادي عيان

يضيع الغربة والبيت

والساعة والخاتم لآخر

ويستلف من صاحب البيت

أجرة ركوبه في الآخر

يصبح يحوس زي المجنون
على الفلوس نشفان ريقه
بعد الغنى يصبح مديون
يجفاه عدوه وصديقه

وان حد قال له قول معقول
مالك يضيع خليه موفون
يزعل ويتخلق ويقول
دا بس ظهري كان مسكور

محمد فتحي

هو محمد فتحي بن الشيخ محمد العيسوي، ولد بالقاهرة في عام 1892 وتعلم في الكتاب كغيره من أبناء زمنه . ثم التحق بالأزهر فترة قصيرة ثم تركه بعد أن حصل على قسط ضئيل من الثقافة، ثم عمل موظفاً بمكتبة المنار التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا.

ولما كان باب الصحافة في ذلك الوقت لكل من شاء أن يعمل فيها، فقد اشتغل محمد فتحي وكيلاً لجريدة الاهرام، ثم انشأ لنفسه مجلة باسم "العصر السياسي" ثم أنشأ صحيفة "المعارف" بالاشتراك مع زميل له اسمه فتحي عزمي . ثم فشلت المجلة فأنشأ أخرى باسم "المطالب" بالاشتراك مع زميل له اسمه محمد فاضل كان يصدر مجلة باسم "الحراب" وتنقل بين عدة صحف كالصير والمنبر وارتبط بالصدقاة مع محمد توفيق صاحب مجلة حمارة منيتي وأمدته ببعض أجزاله، واتصل بالشيخ النجار وبغزت صقر وامام العبد وخليل نظير، وحاول أن يكون زجلاً من طبقتهم، ولكنه لم يصل إلى ما وصلوا اليه من منزلة .

ومع أنه كان ميالاً إلى اللهو والمجون، الا أن أجزاله كانت تحض على التقوى والاستقامة . ولعله في ذلك كان متأثراً بأبيه الذي كان مشهوراً بالتقوى والورع . ومن أجزاله زجل يصف فيه حياة السكرير يقول فيه--:

ويا تايب عن شرب الحمرة

دا يا ويلك لو تشرب تاني

من ربك وعذاب الآخرة
تبقى انت على نفسك جاني

ويا تايب أنا قبلك تايب
وعزيمتي ع التوبة أكيد
دي الخمره ورتني مصايب
خلتني في البؤس حديده

أنا خايف شيطانها يجيلك
ويقول لك معلهش النوبة
تشرها وتطلع من دينك
وتبوظ يا أمير التوبة

أنا كان لي اخوان ما تعدش
في سروري كانوا يحاوطوني
وقملي كان جيبي مريش
وف سكري ياما سلبوني

ويوما تي أشكال تتقلب
ع الحانة من غير ما ادعيهم
وقانونجي وعواد ومطيب
وأنا أكبش م المال واديهم

كان بيتي من غير بوابة
دا داخل ومعاه أصحابه
ودا عامل خايلة كدابة
مش عارف والله مين جايه

ثم يصف حالته بعد أن أضاع ماله في مجالس الشراب وعلى
أصحاب السوء فيقول:-

والدنيا اسودت في عنيه
وأصحابي تركوني في غلبي
ولا حدش كان قلبه عليه
يواسيني في بؤسي وكربي

وكرامتي ضاعت بين أهلي
واخواني العقلا مجنونني
والصحة معدومة تملي
واتخلق من كتر جنونني

والسمعة ضاعت واهانتي
ف الدنيا للناس معلومة
وفلوسي راحت وكرامتي
من شرب الخمرة معدومة

وما شفتش منها يوم فايدة
ولا عايدة غير حرقة قلبي
والمعدة فيها نار قايدة
وتمللي أشيكي من جنبي

وان هفت نفسي على حاجة
أحرمها واستخسر بارة
واجري لك على أي خواجه
يملا لي . قال يعني شطارة

اشمعنى ع الخمرة افنجر
والخمرة أسباب وقعاتي ؟
وسمومها أشبه بالخنجر
بيفرتك ف المعدة يوماتي

العامل منها بيتندم
والتاجر ده قول يا خسارة
ما شفتش سكير متقدم
في عمله والا في تجارته

الشيخ القطوري

اسمه الكامل محمد صالح نصير الدين القطوري، كان من عشاق الشعر والزجل وكان تقياً ورعاً، ولكنه كان على علم ودراية بفن الموسيقى، وكان يعتز بخبرته في هذا الفن، فكانت أزجاله لا تخلو من اشارة أو تلميح إلى الموسيقى وإلى بعض أنغامها. ويتجلى اتجاهه هذا في هذا الزجل. يقول القطوري --:

امنحني أو تير “أوتارك”
أو “دندن” “بالجناك” الخافي
من “تك تك” “تم تم” “للفاخت”
وانبذ للجامد والجاافي
واعصر من خمري للطالب
من دني بالحام الصافي
دا صفو الاخوان يحلاي
والحاقد في شكل الضره

خد “دورك” واديني “دوري”
وانعشني بالعهد الثاني
وانظم واسمعي أو “وشح”
واسكريني دا العالم فاني
يا حافظ عهدي من فضلك

غنى لي حبي أضناني

“انا أعطيناك الكوثر“

من معنى زود المعاني

واحذر للواشي تقرالي

فالواشي أزجاله مره

يا راوي للعالم عني

وبفنك عن غيرك أخبر

اروى لي يا شيخ عن فيني

وبطبعك في شرحك أقدر

انحر لي الحاسد واللاحي

اخذ صوت الشاني الأبتز

واحفظني من وشي الواشي

واكشف له أستاره يظهر

دا الفن السامي أوحالي

اطلب له من أهله نصره

ثم يستعرض علمه باللغة العربية والنحو والصرف فيقول---:

يا عالم نحوي شرفني

واسأل عن اسمي تلقاني

ويفعلي للناس اذكربي
واوصف من حالي أوزاني
واخفض من برفع عزالي
واعرب أمثالي للباي
وانصب بالتميز للنادي
في الحال لا كاني ولا ماني

واجزم في أمري وارضي لي
واشغل تأكيدي بالقدره

والزم في المنطق ابداعي
واصرف أفكارك للمعنى
نزه القاظي عن وضعي
في شعري وألحان يجمعنا
والحق ان طافت ندماني
وادخل في نادينا معنا
واسقيني حتى ترويني
عن غيري من أهل المغنى
مش تجعل حظي اهمالي
اسمعي أخبارك ساره

ثم يعود إلى غرض خبرته الموسيقية فيقول ---:

من فضلك اشرح لي معنى
نسمعها من حادي وبادي
أصبحنا في عهد الفوضى
والتلحين بالريش الهادي
الدوكة في المغنى دوكة
والقانون سندال حدادي
والمعنى ضاعت والسامع
قيدها بالعد العادي
اضحك حين واحد غنى لي
زنوبه زنوبه وخضره

والزجل طويل ولا يستطيعه الا من كان على علم بفن الموسيقى.

السيد الاسكندراني

كان السيد الاسكندراني "باشكاتب" محكمة المرور بالاسكندرية، وكان في شكله وطبعه وسماته مثلاً صادقاً لابن الاسكندرية الأصيل، طويل القامة . عريض المنكبين، ضخم الجسم، وكان شديد العناية بشاربيه، كما كان شديد الاعتزاز بكرامته.

عندما ألفت رابطة الزجالين بالقاهرة في عام 33 - 31 اتصل بها السيد الاسكندراني و آمن بفكرتها فانضم لعضويتها، ثم أنشأ بالاشتراك

مع زجالي الاسكندرية فرعاً لها في الثغر وانتخب السيد الاسكندراني رئيساً
له وهذا نموذج من أزجاله:-

كان لي صديق أعرفه مضروب بسبق الخيل
ضيع شقاه وافتقر وانهد منه الجبل
مع انه طول النهار شغال ونص الليل
ومش ملاحق عماله حتي بالعيش حاف
بلاش غموس أو “فروطه” فين بقى الانصاف
ايه ذنب أولاده تترى على الاجحاف
وهو كسيب وسايهم يشوفو الويل
ايه اللي عايد عليك م اللعب جاوبني
مفيش مكاسب وتخسر كل شيء يا بني
غلبت أكتب وأنصح وانت تتعبني
وبرضه تلعب ولا فيش فايده من كلامي
وانا نصحتك نصيحة طبق اسلامي
شوف حال عيالك غلابه وانت قدامي
ذليل وزوجتك تقول لك بس ايه ذنبي
احفظ فلوسك ف علبه وفض لعبك شهر
وافتحها نلقى مبالغ فيها زي النهر
احسب بقى اللي حسرتة ومش ضروري القهر
واوعك تلتطش لروحك بس قول غلطان

وارجع قوام للندم واطلب رضا الرحمن
واعرف بأن القمار ميكروب وله سلطان
وقول يا ربي ساعني تبت طول الدهر

حسين شفيق المصري

(ولد عام 1828، وتُوفى عام 1948) ولد حسين

شفيق المصري في عام 1882، بحي الدرب الأحمر

بالقاهرة، من والدين تركيين.

فوالده المرحوم محمد أفندي نور كان يمتلك عدة أدوار .وكانت له ضيعة تقيم فيها بقرية عرب الغديري، بمديرية القليوبية، وكان هذا الوالد سخياً سخاء مسرفاً، متلافاً ، يحب “الفخفة” على عادة الأتراك، فكان يستضيف في ضيعته كل وافد، وكثيراً ما كان يحضر إلى القاهرة راكباً فرساً ثمينه، أو جواداً أصيلاً فينفق كل ما معه، ثم يبيع الفرس أو الجواد وينفق ثمنه .ثم يعود إلى عزبته خاوي ابو قاض.

ولما ضاعت ثروته، غادر الريف، وعاش في القاهرة من دخل الدور التي كان يملكها .ولم يكن هذا الدخل ليكفي ما اعتاده من اسراف، فأخذ يبيع ما يملك جزءاً جزءاً، حتى لم يبق على شيء.

أما الأم فكانت من الجواري اللواتي أخذن سبايا في حرب المورة، وبيعت في مصر .واستقرت في قصر أمينة هانم الهامي .ام الخديوي عباس المعروفة بأم المحسنين، وقد وقفت على اقبال هانم -ام حسين شفيق المصري -وفقاً آل إلى اولادها بعد وفاتها في عام 1922.

وكان لحسين شفيق أخوان وأخت، هو أكبرهم، وثانيهما مراد وقد توفي بدأت الصدر، والثالث محمود النديم الذي قضى شطراً كبير من حياته مدرساً للغة العربية بدار المعلمين بكابول، عاصمة أفغانستان، ثم عاد إلى مصر، وتوفي بها قبل حسين شفيق ببضع سنوات.

والاسم الحقيقي لحسين شفيق المصري، هو “حسين محمد نور”، ولكنه -على عادة الأتراك -أضف إلى اسمه اسماً آخر هو “شفيق”، كما أضف لقب “المصري” ليؤكد مصريته. وأضاف أخوه إلى اسم “نديم”. ونشأة حسين شفيق المصري، كانت جديدة بأن تبعده عن الأدب العربي كل البعد... فأبواه كانا تركيين يتخاطبان فيما بينهما بالتركية، فتعلقه بالأدب العربي -مع هذه النشأة -ان دل على شيء فانما يدل على أنه أحب اللغة العربية حباً صادقاً تغلغل في كيانه. -وهذا الحب هو الذي جعله -عندما أصيب بمرض في عينيه كاد يفقده البصر -يعكف على عشرات من كتب الأدب ودواوين الشعراء، يقرأها ويحفظها ويدرسها، وجعله يحيط بدقائق اللغة احاطة واسعة، قد لا يتهياً مثلها لكبار أساتذتها.

وكانت دراسة حسين شفيق لعلم العروض دراسته عميقة، حتى أصبح حجة في موازين الشعر وعيوبه، يرجع إليه كبار الشعراء، ويأخذون قوله عن ثقة، حتى أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كلفه مرة بأن يجمع له أوزان الشعر المهجورة والعربية، وينظم له أمثلة على موازينها، فأذى له هذه المهمة أداء زاد شوقي اعجاباً به.

ولو ان حسين شفيق المصري نبغ في لون واحد من ألوان الأدب الوقيرة التي نبغ فيها، لكان نبوغه في هذا اللون كفيلاً لاعتباره فارساً في طليعة فرسانه، ولكان هذا اللون كفيلاً بتخليد اسمه بين نوابغه الأفاضل. أما وقد نبغ في ألوان متعددة من الأدب الفصيح والأدب الشعبي، على السواء، فمن الانصاف أن نعد هذا الرجل طرازاً من الأدباء عديم المثال.

وأعجب .. في هذا الرجل أنه لم يتلق من دراسته المدرسية الا
اليسير فقد انقطع عن مدرسة أم عباس .الي كان يتعلم فيها بعد السنة
الثانية الابتدائية، لمرض عينيه ...ذلك المرض الذي لازمه حتى مات شبيه
كفيف.

وعندما مات ابوه، وهو في مقتبل الشباب اضطر للسعي إلى
الرزق، وبحث عن عمل حتى الحق مصححاً لمجلة طبية كان يتولى اصداها
طبيب كبير اسمه عيسى باشا حمدي، فكان لا يكتفي بتصحيح الأخطاء
المطبعة، بل كان يصحح لغة الأطباء الذين يحروها، ويقوم أسلوبهم.

وفي هذه الفترة غرف خليل مطران، ولمس فيه مطران مواهب
متعددة الجوانب، فضمه إلى جريدته التي كان يصدرها يومياً باسم
“الجوانب “ .ومن كتاباته فيها غرفة كبار الكتاب، ومنهم حافظ بك
مسعود —وكان يصدران معا جريدة المنبر —فضماه إلى محرريها ولم يلبث
أن صار علما من أعلام الصحافة .فعمل في “الأفكار “ و “مصر “ و
“الرقيب “، وهجريدة يومية كان يصدرها جورج طوس.

ومن أطرف ما حدث له، وهو محرر بجريدة مصر، أنه كان يكتب
مقالات بعين توقيع ، يطالب فيها باصلاحات هامة وضرورية للطائفة
المسيحية، فكانت هذه المقالات موضع اعجاب مواطنينا الأقباط ...لا
لبلاغها فحسب، بل لقوة حججها وما تشتمل عليه من استشهادات من
الانجيل، ومن أقوال السيد المسيح.

وكان كبار المسيحيين يتلهفون على معرفة هذا الكاتب العظيم
المخلص للمسيحية، الذي يدافع عنها بهذه القوة هذا الايمان ...وفي أحد

الأيام ذهب أحد القساوسة إلى جريدة مصر، وقابل توفيق حبيب
“الصحافي العجوز” وتوسل إليه أن يعرفه بكتاب تلك المقالات ... فأشار
توفيق حبيب إلى حسين شفيق، وقال للقسيس : “هذا هو كاتب المقالات
... انه الأستاذ “حنين شفيق”!

فانقض القسيس على “حسين شفيق”، وأخذ بعاتقه ويقبله، وهو
معتقد أنه مسيحي اسمه “حنين”، وصار يقول له “: الرب سيجزيك
أحسن الجزاء ... اثق ان يسوع سيرعاك طول حياتك”.

وكان توفيق حبيب مغرقاً في الضحك، حتى تنبه القسيس إلى
ضحكه، فسأله : لماذا تضحك؟ فقال، وهو ممعن في الضحك، لأن من
تحدثه مسلم ابن مسلم، واسمه حسين شفيق المصري ! وبهت القسيس،
وخرج وهو غير مصدق ان يكون هناك مسلم يحيط بدقائق المسيحية هذه
الاحاطة التي لا تتوافر لكثيرين من مثقفي المسيحيين.

ومن طريف ما يذكر عنه، أنه عمل محرراً بجريدة الأفكار اليومية .
وكانت جريدة محدودة الموارد، ليس بها مراسلون في الخارج، كالصحف
اليومية التي كانت تصدر في ذلك الوقت، فكانت مختلفة في الرواج، ولما
قامت الحرب بين تركيا واليونان . كان لا بد من أن تأتي الجريدة على
أخبارها . وهنا تجلت مواهب حسين شفيق المصري، إذ أخذ يقرأ برقيات
الصحف الأخرى . ويدرسها بامعان، ويراجع على الخرائط مواقع المدن
التي يستولى عليها المتحاربان، والميادين التي تدور فيها المعارك، ثم يكتب
برقيات برغم انها وردت للجريدة من مراسلها الخاص من ميدان القتال،

ويوقعها باسم "سلانكلي راده محمد علي" يسرد فيها تفاصيل المعارك، وبسالة الترك. ثم لا ينسى أن يأتي باحصاء لعدد القتلى من الأعداء.

وكان الشعب المصري يومئذ شديد التعلق بالدولة العثمانية، انما كانت مقر الخلافة، فكان يرتاح كل الارتياح لهذه البرقيات، ويرى فيها ما ينتج صدره من اخبار انتصارات "الدولة العلية". وكان "سلانكلي راده" يكتب في كل أسبوع تحليلاً دقيقاً للموقف، يتلطف الناس على قراءته، ويجدون في الصحف الأخرى... وبهذا راجت جريدة الأفكار رواجاً وضعها في مصاف الصحف الكبرى.

وفجأة امتنع عدة ايام عن ذكر عدد القتلى، فدخل عليه صاحب الجريدة وقال له: "جری ايه يا شفيق؟... ما بتكتبش عدد القتلى ليه؟" فقال شفيق "بزيادة بقى... أحسن لو واحد من القراء حسب عدد القتلى اللي كتبناهم يلاقيهم أكثر من عدد سكان أوروبا مرتين."!

وظهرت في هذه الفترة عدة مجلات أسبوعية طابعها الفكاهة والقفش والتنكيت، وهجو الابرياء لابتنزاز امواهم، فكسدت سوق الأدب والصحف الأدبية، واضطر حسين شفيق للعمل في هذه المجلات، فاشترك في تحرير الشجاعة والخلاعة المسامير والسيف... وهنا تجلت فيه مواهب لم تكن قد عرفت عنه، فقد استطاع ان يكتب كل مجلة بأسلوب يختلف عن أسلوب المجلة الأخرى، وابتكر في كل منها ابواباً وألواناً لم تكن معروفة في الصحافة الأسبوعية... وأخيراً اشترك مع "حسين علي" في اصدار جريدة السياف، فابتعد بها عن الهجاء الشخصي وسب الأثرياء ومدحهم،

وجعلها المجلة الأولى للفكاهة الراقية، وصار يدخل عليها بين الحين والحين أساليب جديدة ومبتكرات من التجديد.

وفي عامي 1921 و 1922 كان “نجيب الريحاني” قد بلغ أوج مجده، فاستعان بحسين شفيق المصري، الذي عدى مسرح الريحاني بكثير من رواياته الممتعة، كروايات “آنست” و “أفوتك ليه” و “ريا وسكينة”.

وحدث أن تجمع حسين شفيق مبلغ كبير عند الريحاني، فأرسل له خطاباً مسجلاً يطالبه فيه بما له عنده، والا فاته سيضطر لرفع دعوى عليه . فلما وصل الخطاب إلى الريحاني أسرع إلى حسين شفيق في دار جريدة السيف، وسلم عليه، وجلس معه أكثر من ساعتين يتحدثان حديثاً ممتعاً، ويتناولان فكاهات طريفة، ثم انصرف دون أن يتحدث أحد من الرجلين في شأن مالك عنده قال : “لو أنه جاء ليدفع لما منعه مانع، أما وهو لم يدفع فقد جاء ليعتذر، فأبت كرامته أن يعتذر صراحة ، وأبت كرامته عندي أن أحمله على قول ما أراد أن يخفيه”.

وفي عام 1924 اختلف حسين شفيق المصري مع شريكه في جريدة السيف، فتركها وأصدر لنفسه جريدة الناس، ولكنه لم يجد المال الكافي لمتابعة إصدارها وللانفاق على أسرته، فعانى ضيقاً شديداً دون أن يشكو أو يسأل أحداً معونة.

وعرف بنجر ضيقه “أحمد فؤاد” صاحب جريدة الصاعقة، فتحدث في هذا الشأن مع “سليمان فوزي” صاحب مجلة الكشكول –وكانت روح مجلة سياسية في ذلك الوقت –فاستدعى حسين شفيق، وألحقت

بجريدته، فكتب فيها من الألوان الفكاهية الجديدة ما عده الكتاب فنجا جديدا في الأدب العربي. وخاصة ما كان يكتبه تحت عنوان "دائرة المعارف" وهي مقالات كان يكتبها على شطل بحوث بأسلوب قواميس اللغة ، يشرح فيها بعض الكلمات العربية والعامية، بأسلوب فكه فيه سحرية. وفي عام 1926 صدرت مجلة "كل شيء" ، فكان يكتب فيها مقالاً أسبوعياً بعنوان "مذكرات فضولي" ، فكانت مقالاته هذه من أحب ما فيها إلى القراء. ثم صدرت مجلة الفكاهة في عام 1927 فاسندت اليه رئاسة تحريرها ، فجعل منها فتحاً جديداً في عالم الصحافة الفكاهية الراقية واستغل امكانيات الدار التي تصدرها أحسن استغلال.

وقد ظل في عمله هذا أكثر من أربعة عشر عاماً، فلما أدركته الشيخوخة، وكاد بصره يكف، اعفى من عمله الصحفي، وحاول أن يصدر مجلة "الأم" غير ان عجز بصره، وضيق موارده، حالاً بينه وبين هذه المحاولة، فلزم داره بالسيدة زينب حتى توفاه الله في صبيحة الخميس 30 سبتمبر عام . 1948

مات فقيراً معدماً، وهو الذي ربح ألوف الجنيهات. ولو أنه حبس بعض ما ربح لخلف تروة ضخمة، ولكنه كان سخي اليد، رقيق العاطفة، يبذل من ماله للعاقين والمحتاجين، وير به أهله، وينفق على أصدقائه. و قبيل وفاته ببضعة أشهر، صدرت مجلة باسم "اضحك" وأراد صاحبها أن يزين أول عدد منها بمقال لامام الفكاهة، حسين شفيق المصري، فطلب اليه أن يكتب له شيئاً ، فأملى هذا المقال على أحد تلاميذه، وهو يصور حياة الرجل في أواخر أيامه، ومع ما يزخر به من

فكاهة، وخفة روح ، فهو يفطر مرارة وألماً .وقد جعل عنوانه “قهقهة القروء “ ...قال :

“طلب إلى الأستاذ صاحب مجلة “اضحك “ أن أكتب شيئاً لقراءة مجلة “اضحك “ ، وهذا الطلب في ذاته مضحك، بل هو نكتة، لأن الأستاذ صاحب “اضحك “ –امتعه الله بشبابه –يظن أن الشيخوخة لا تقتل روح المرح، فهو ما زال على اعتقاده أن حسين شفيق المصري الذي كان “يضحك الطوب “ يستطيع في سنة 1948 ما كان يستطيعه في سنة 1920 وما قبلها وما بعدها ...

“لقد كان الشباب يملي على النكتة الحلوة ، ويهيبني لي مجال المرح، حتى لتكاد الصفحة التي أكتب فيها بضحك “لزعزعة “ القلم ...

“أما اليوم –وقد كف البصر ووهن البدن –فان النكتة تنفر من ذلك الشيخ الأعمى الحبيس، الواجم وجوم الصم، الساكن سكون الموتى، وليس له من أمارات الحياة الا ذلك الدخان المتصاعد من فمه، فهو يأكل ويشرب ويدخن ويصرخ كالوابور ...يفعل كل هذا وهو معدوم الشعور ...

“وكيف يخطر النكتة ببال رجل لا يلقي بالا الا لنغز في الأمعاء، وتفكك في الأوصال، ودق في العروق، وخفقان في القلب لو اشتد قليلا لأراح صاحبه وأراح من حوله ...

“تريدن أن أكتب “لأضحك “ شيئاً يتفكه به القراء؟! !
“وأنا مهما أوتيت من القدرة على الاضحاك فلست بمستطيع أن أضحكهم بقدر ما يضحكون لو أنهم رأوني رأي العين ...هاتوا قراءكم

ليروا كيف امضغ لطعام بفكين كجيوش اليهود، وكيف أخلع طقم الأسنان فأصبح المنتكر يتعذر على أقرب الناس إلى أن يعرفني وليسمعوا كيف اذا خلعت هذا الطقم انطق السين مشوبه بصفير يزيل ما بينها وبيم الشين من فارق كبير ...

“هاتوا قراءكم ليروا كيف أمشي في الحجرة كالأتان المفيدة، لا تستطيع “برطعه” ولارحا، ثم هاتوهم ليسمعوني اذا ضحكت، وأنا كفيل بأن يضحكوا لضحكي...

“ألا يضحك الناس اذا سمعوا قهقهة القرود؟!

“لقد أمليت هذه الكلمة على أبي بثينة، وطلبت اليه أن يبلغ الأستاذ صاحب “اضحك” أن الزمن الذي كان فيه حسين شفيق “يضحك الطوب” قد فات، ان لم يكن لأن حسين شفيق قد تغير، فلأن قراء (اضحك) ليسوا من الطوب.”

والجيل الذي عاصر حسين شفيق المصري، وكان يقرأ له، لم يكن ليعرف عنه أكثر من أنه الكاتب الأول للأدب الفكاهي، فان شهرته بهذا اللون طغت على شهرته ككاتب أديب، رفيع الأسلوب، جزل اللغة، رفيع اللفظ، دقيق الوصف، وكشاعر رصين العبارة، رفيع المعاني، بدوي الديباجة.

وكان وطنياً شديداً الاخلاص لمصر. فدفعه هذا إلى أن يحمل حملات عنيفة على الحكومات المتعاقبة التي كانت تتولى الحكم بأمر المستعمرين، فحقد عليه بعض الحكام، ولفقوا له وبعض الوطنيين تهمه، وجعلوا هذه التهمة بعيدة عن السياسة حتى لا يقال أن الحكومة تضطهد الوطنيين،

ولتكون التهمة، وصمة عار، فاتهموه بأنه مندمج في جماعة من الشباب
دابتْ على طبع نشرات تهاجم فيها أعراض بعض الكبراء.
ولم تعدم الحكومة شهود زور يؤكدون التهمة، فقدم للمحاكمة،
وحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر قضاها في سجن قره ميدان. وفي السجن
نظم قصيدتين، احدهما يبرئ فيها نفسه مما اتهم به فيقول:-

حُبست ولم أقتل ولم أك سارقاً
وما جنت عوراء الكلام ...فما حيسي !
همو زعموا أني هجوت عصابة
من الناس ما حدثت يوماً بهم نفسي

وفي الثانية يعتب على اخواته الذين امتنعوا عن زيارته في السجن
فيقول:-

أيزار من في السجن ؟ ليس بزار
فخر المجالس قد أصابك عار

ويصف طعام السجن فيقول :-

والخبز كالآجر الا انه
من خبزكم لا ينفذ المسمار
خبز رغيفاء لو اتخذنا رحي

يوما تيسر طحنها الاحجار !

والهر ينفر من قنار ادامكم

ايفر هر والقنار يسار ؟

وكان حسين شفيق المصري فيما بين عامي 1920 و 1923 مجلس أنس وسمر في أحد مشارب شارع عماد الدين، يتصدره كل ليلة، فتبدأ الحلقة ضيقة، ثم تظل تتسع وتتسع بالوافدين من اصدقائه وتلاميذه محبي الاستماع إلى طرفه وفكاهاته، فلا ينتهي المجلس الا بانتهاء ما في جيبه، فاذا ما انفض المجلس، وأخذ الرجل طريقه إلى بيته، بدأ ينظم في الطريق، ويملي على بعض مرافقيه، ثم يأتي في اليوم التالي بمال جديد للسهرة الجديدة.

وحدث ذات مرة أنه لم يجد مالا لينفقه في مجلس عماد الدين، وأراد أن يشرب الخمر على عادته، فاتجه إلى احدى حانات “سوق الخضار” وكانت مشهورة برخص الخمر فيها ورداءتها، فلما سكر بين الدهاء، قال يبرر مجالستهم.

يا سكره سكرتها في لسوق بين الهمل

كصابر على أذى النحل لجني العسل

وكان حسين شفيق المصري دائم التجديد والابتكار و يبتكر الأسلوب فيقلده فيه كتاب الفكاهه في الصحف الأخرى ...فهو يبتكر طريقة نظم القصائد الفكاهية على أوزان القصائد القديمة فكان يجتار لقصيدته موضوعاً اجتماعياً يعالجه معالجة فكاهية .أما مقلدوه فكانوا

يقلدونه في ذلك، ولكن قصائدهم لا تتضمن هدفاً ، ولا ترمي إلى نغزي، فكانوا يصفون بها الطعام أو الشراب في حين أن حسينا كان يتناول في قصائده شتى الأغراض الاجتماعية، كتبرج النساء، أو اسراف الزوجات، أو سهر الرجال في الحانات وترك بيوتهم بلا نفقة ..إلى غير ذلك من العيوب التي تتغلغل في مجتمعا.

وقد بدأ نظم هذه القصائد على وزن المتعلقات وسماها المشعلقات ...فلما فرغ منها نظم على أوزان القصائد المشهورة من شعر القدامى وشعر معاصريه ، وسماها “المشهورات” .فلما لم يجد من القصائد المشهورة عند الناس ما يحوزه، أخذ ينظم قصائد جديدة من هذا الطراز الفكاهي، سماها العشر الحلمنتيشي.

فمن القصائد التي سماها المشعلقات قوله على نَـحْج معلقة طرقة بن العبد البقري مطلعها --:

“خولة أطلال ببرقة ثممد

تلوح كباقي الوشك في ظاهر اليد “

قال :

لزئيب دكان بحارة منجد

تلوح بها أقفاص عيش مقدد

وفوفا بما صحبي على هزارها

يقولون لا تقطع هزارك واقعد

أنا الرجل الساهي الذي تعرفونه

حويط كجن العطفة المتلبد

فمالي أرايى وابن عمي مصطفى
مني اذن منها ينا عنها ويبعد
يقول وفد القى الرغيف وسابني
ألست ترى جوزها عويس بن احمد
فلما تناغشا الغداء وهزرت
معانا وأعطتنا (برولا) بموعد
رأت زوجها يدنو فغطت بزازها
بشال طويل كالملاية أسود
وقالت يلهوي جتكو نيلة امشوا من هنا
أفنديه ايه دول جوزي شايف داشيء ردي
فأقبل زوج البنت يلعن أمها
ويسعى الينا بالمداس المهربد
ولا خير في خبص ترى الضرب بعده
ولا هاجم يأتيك بعد الترصد
ستبدي لك العصيان ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالمركوب من لم تهدد

ومن قصائده التي سماها المشهورات، قصيدة نظمها على نهج
قصيدة بن الخياط التي يقول فيها :-

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه
فقد كان وياها يطير بلبه

قال حسين شفيق :-

ولم ينهه عنها الزمان ولا النوى
ولم يلهه عنا تفرقيز لبه
فبات يناجي النجم في طول ليله
ويشكو إلى الحيطان شده غلبه
وهل يشتكي ياناس مدقع فقره
وقد جاع يشكو من فداحة حبه
وقد تعبت عذاله في غرامه
وأتعب أصحاب الفلوس بنصبه
وياويحه اذ يصبغ الشعر صبغة
تلغمطه حتى تنادي بشيبه
ومن بك ذا شيب ويصنف فانه
اذا قال صدقا زيفوه لكذبه

ومن قصائده التي سماها الشعر الحلمنتيشي قوله :-

أظن الوليمة زعلانة
وما كنت اقصد ازعلها
أتى رمضان فقالت هاتولي
زكية نقل فجبنا لها
ومن قمر الدين جبنا ثلاث
لفائف تتعب شياها

وجبت صفيحة سمن وجبت
لوازم ما غيرها طالها
فقل لي على ايه بنت الذين
بتشكي إلى أهلها حالها ؟

ومن أساليبه المبتكرة تلك الأحاديث التي كان ينشرها على لسان امرأة ورجل من النوع الذي نسميه "البلدي" ... المرأة اسمها "أم اسماعيل" والرجل اسمه "الحاج درويش". وكان المتحدثان يتناولان في أحاديثهما نقد العادات والتقاليد المستهجنة ، وقد جمع بعض هذه الأحاديث في كتاب اسمه "الحاج درويش وأم اسماعيل" ، وهو موجود بدار الكتب المصرية.

وكان حسين شفيق المصري ظريفاً في حياته الخاصة، حاضر البديهة، سريع النكتة.

حدث مرة أن كان يسير في الطريق، وكان نظره قد ضعف ضعفاً شديداً، فكان يقوده شاب من تلاميذه، وقابله أحد أصدقائه مع هذا الشاب وقال له : "من هذا الشاب يا شفيق ؟" فقال : "ده واحد ساحبنا ؟" !

وكانت لحسين شفيق خبرة واسعة بسائر اللهجات، وقدرة خارقة على تقليدها ... لهجة أهل الصعيد، ولهجة أهل الريف، ولهجة أهل الشام، ولهجة اليونانيين، فكان يقلد هذه اللهجات كتابة و نطقاً فتظنه من أهلها.

حدث في وقت من الأوقات ان طغى الاستعمار الفرنسي في لبنان حتى كاد يطبع هذا البلد الشرقي العريق بالطابع الفرنسي، وحول لسان الشيبه من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية، فكان حسين شفيق ينتقد هذا الاتجاه، ويسخر من المستهينين بلغتهم .ومن ذلك أنه نشر خطاباً على لسان لبناني صديق له، نزع فيه اللغة العربية بالفرنسية بأسلوب ساخر قال:

“مونايمي” مجاعص ...

بعد السلام ...نعرفك يا “مون فرير”، أن “المهيجين” تبعي “تريبان” و فقط عبدي “جراند” زعل من الحكم الفرنسي، ويكون بعلمك اني “دومان” رايح شا اشوف حال المون بير واكتب لك “ليتر” بالايروبلان ...الخ .

والجانب الجدي من جوانب أدب حسين شفيق لا يقل طلاوة وروعة عن الجانب الفكاهي ...

فهو في نشره قويم القلوب، بين العبارة، واضح الهدف، ساخر لاذع . ويتجلى طابعه هذا في هذه المقطوعة التي كتبها بعنوان “سخفاء” قال:

“قرأت احدى الصحف من أولها إلى آخرها، وقال صاحبي اقراهما؟؟ فغاظني لانه رامي السبع وما فيها كلمة كلمة وهو ينتظرها، ولا أشك في أنه حين رأني ألقبها من يدي فهم أني قرأتها، ولكني كظمت غيظي وقلت : نعم ، واخذها . وأجارك الله ... يقرأ القطعة من المقالة . وبلتفت الي ويقول : اسمع ... اسمع ... ويسمعي ما رأني قرأته الساعة . فأقول نعم

...واسبقه إلى اتمام ما شرع في تلاوته لعله يفهم اني وعيت وفهمت ولكن
...تقول ملين؟!!

“ناس من الناس لا يصلحون للمحادثة، ولهم ولع بالكلام، ولا يعرفون كيف يتكلموا، فيحدثونك بما يعلمون أنك تعلمه“ .
أما شعره الجاد فنوعان :نوع جاد صرف، ونوع مطعم “جامع بين الجد والهزل ، أو بين الفصاحة واللحن المتعمد، ومن النوع الأول قوله يصف حاله، وقد أصابته بأسماء جرم فيها موارد رزقه قال--:

سوار على أدار يميناً
بي الدهر ام دار دهري شمالاً
فاني أرى كل شيء يمر
فيسمي سوى ما يشين الرجالا
وقد ذقت حلواً وقد ذقت مرأً
ووهنا يساورني ومحالا
وأعلم أن المصير الزوال
فماذا يؤمل باع زوالا ؟

ومن النوع الثاني قوله في الوقحاء ----:

ذهب الحياة من الوجوه فكل من
لا قيته متوقح, فتوقح
لا ينجلوك فيحسروك بانهم

لا يحجلون وقو وجهك تريح

ليس الحياء من الوقاح فضيلة

بل يستحي الانسان من يسحي

واخجل من الاشراف لكن اين هم؟

لم يبق من شرف ولا “شرفنطح“

بقي أن نتحدث عن أزجال حسين شفيق المصري، والواقع ان
حسينا لم يعن بالاكثر من نظم الزجل لأسباب عديدة...منها ان الزجالين
في عصره كانوا على قدر كبير من الاجادة، فلم يشأ أن يدخل معهم في
منافسة تشعله عن مرزقة ككاتب صحفي، ومنها أن هؤلاء الزجالين كانوا
لا يتكسبون بأزجالهم كسباً يقيم أودهم، وأخيرا فان حسين شفيق كان أكثر
شغفاً بالشعر، وكان الزجالون في عصره يعدونه من أستاذة فن الزجل،
فأزجاله —على قلتها — كانت رفيعة المعاني، رقيقة النسخ.
وعرف فيه الزجالون حبه للغة الشعبية وتقديره للزجل، فكانوا
يلجأون اليه ليكتب لهم مقدمات دواوينهم.

واذا رجعت إلى دواوين خليل نظير، ورمزي نظيم، ومحمد عبد النبي،
وابي بئينة، وجدت مقدماتها بقلم حسين شفيق المصري، وكلها تمجيد لفن
الزجل، وتقدير للمشتغلين بنظمه.

ومن أزجال حسين شفيق المصري زجل رقيق نظمته متغزلاً في

“رغيف الخبز“ قال----:-

حببت جميل لما أشوفه ريفي بيجري

أبص له ونفسي ف بوسه مش مستجري

لون القمر والخذ أحمر شكل الوردة
طري وناعم وملظظ زي الزبدة
الطفل لو شافه يقول لك هلت لي من ده
أقطليش منه قطه؟ واطلع أجري!
حبيب جميل

الناس جميعها عشاقه محبوب الكل
وقه وخفه ولطافه أبيض م الفل
من حبه ناس انا اعرفهم ياما شافوا ذل
ما اقدرش أصبر على بعده دنا أبيع عمري
حبيب جميل

نسوان يموتوا ورجاله في دباديه
يخاف من اللي ينظر له عينه تصيبه
لو كان ف أمريكا أسافر لجل أجيبه
وان غاب أبات ليلي سهران واصحي بدري
حبيب جميل

ومما يشبه الأزجال فن "الربابة"، وهو منظومات لها وزن خاص، كان الرواة يستعملونه في قصة ظابي زيد الهلالي، وعنزة بن شداد، ودياب بن غانم، وغيرهم من أبطال القصص القديمة التي كان يلقيها شعراء الربابة على العامه في المقاهي الشعبية .

وكان حسين شفيق المصري يلجأ إلى هذا اللون من النظم في الأيام التي تشتد فيها وطأة الرقابة على الصحف، فيضمن هذه المنظومات كثيراً من الغمز واللمز والتورية، التي يرمي من ورائها إلى أهداف وطنية سياسية، ومن ذلك قوله--:

أول ما نبدي القول نصلي على النبي

نبينا محمد جانا بالاسلام

بقول أبو زعيزع وله قول صادق

براهنه ظاهره والأدلة تمام

يابو زيد أنا بدي دياب بن غانم

يناوش العدو ومايتركوش ينام

لحد ما نمشي من البلد دي ونرحل

دي عيشتنا فيها يابو زيد حرام

تعالى نروح من مصر تقصد تونس

نشوف فيها أقوام غير دي الأقوام

دي مصر يابو ريا بلاد العجايب

وخيراتنا للأرمن وللأورام

وللانجليز رخرين ولكن خايف

أروح بكلامي شخه في حمام

والناظر إلى حياة حسين شفيق المصري، وإلى أدبه لا بد من أن يلمح ما بينه وبين أبي نواس -الحسن بن هاني -من تشابه في كثير من الطباع والعادات، وفي النظر إلى الدنيا وفي المسلك الذي انتهجه في الحياة. ومن أبرز وجوه هذا التشابه أن كلا من الرجلين لم يكن خالص العروبة :أبو نواس ينتسب إلى الفرس، وحسين شفيق ينسب إلى الترك .ولقد كان أبو نواس ماجناً مرحاً محباً للخمر واللذات، ويشاركه في بعض هذه حسين شفيق المصري ..لا فارق بينهما الا أن آبا نواس كان داعراً، وحسين شفيق لم يكن كذلك، وفي شعرهما تشابه كبير، وخاصة في الجنوح إلى السخرية والميل إلى الدعابة والفكاهة، وفي أشعار الرجلين رقة ونظرات في فلسفة الحياة، ومعرف بطباع الناس ..وفي أسعار حسين شفيق ما لو قلت انه من نظم أبي نواس لما أنكر عليك أحد هذا القول، وكذلك في شعر أبي نواس ما يخيل لك أنه من نظم حسين شفيق في القرن العشرين .واليك مقطوعة لحسين شفيق المصري تلمس فيها روح أبي نواس في غزله :-:

ختم الصبر بعدنا بالتلاقي

وشفى الصدر أن ودك باق

افتدري بما لقيت من اللو

عة في الشوق بعد يوم الفراق ؟

أو تدري ما شربته من دموعي

وعلى شربها خيالك سباق
أنا سكران خمرة الحب يا خم
ار حان الحدود والأحداق
أنت أسكرتني وحببيك راحي
اصطبأحي منه ومنه اغتباقي
فبعينك والتكحل بالحسن
وسحر الحياة والاطراق
لم باعدتني وأتعبت قلبي
وإلى أين كان منك مساقي ؟
اذن مني فان خوفا من الهج
ران لا ينتهي بغير العناق
كذب الحاسد المبلغ غني
غير ما ترتضيه من أخلاقي
هاك صدري فضع يديك على صد
ري وخذ رأي قلبي الخفاق
أفتمسي وأنت أحمل معشو
ق صفيا لأصدق العشاق ؟

هذه لمحات سريعة من حياة حسين شفيق المصري، ذلك الرجل
الذي لم تعرف الفكاهة العربية، ولا الفكاهة الشعبية أستاذًا قبله، وستظل
من بعده حقبة طويلة من الزمن تفتقد من يخلفه ويشغل فراغه.

ابن سناء الملك

هو القاضي السعيد، هبة الله، بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر، بن المعتمد سناء الملك .أبي عبد الله محمد بن هبة الله، بن محمد، السعدي المصري .

وتاريخ مولد ابن سناء الملك غير معروف على التحقيق، ولكن العماد الكاتب ذكره في كتاب "الخريدة" فقال :

"كنت عند القاضي الفاضل في خيمته بمرج الدهيمة -وهو موضع بالشام -ثامن عشر ذي القعدة سنة سبعين وخمسائة، فاطلعتني على قصيدة له -أي للقاضي السعيد بن سناء الملك -كتبها اليه من مصر وذكر أن سنه لم تبلغ العشرين سنة".

وعلى هذا التقدير يكون مولد ابن سناء الملك في حدود سنة 550 هـ بالقاهرة، وقد ذكر صاحب "الكمال في عقود الجمال" أنه توفي يوم الأربعاء رابع أيام الشهر المذكور .أي رمضان سنة 608هـ بالقاهرة، ومعنى هذا أنه عاش ثمانية وخمسين عاماً.

كان شاعراً رقيق الحاشية، مختار اللفظ .وله عدة مؤلفات، منها ديوانه الذي جمع الكثير من شعره الجزل، وقد عرف في حياته بأنه كان مرفهاً واسع النعمة، سعيداً محظوظاً .وكان عالماً أديباً .أخذ الحديث عن الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، واختصر كتاب "الحيوان" للجاحظ ، وسماه "روح الحيوان" .وديان موشحاته معروف باسم "دار الطراز".

وكان له مجلس أدب وسمر، يؤمه ذو المكانة والعلم، وقد سافر إلى الشام في شهر رمضان من عام 571هـ ليلتقي بالقاضي الفاضل. إذا كانت تدور بينه وبينه مراسلات متعددة.
ومن المنظومات الزجلية لابن سناء الملك قوله --:

طاير قلبي ووقعت في الاشرار
وهو الهوى والنوى وما ادراك
حن فؤادي ومثله جنا
لمرة الهجرة حلوا المجنا
وان بعض ببعضها جنا
فظل يكني متيم غنا
جاه المسيكين وصاح يا ستي قما
صغيري لا ينام من تحتي هما

وله مقطوعة أخرى ، يقول فيها --:

قل للاميم ضاع في عشقي لومي
اني هايم قد نفى عني نومي
طرف نايم قالي كم يا قومي
أدي حايم ثم لا يروي حومي

وهاتان المقطوعتان أقرب إلى لغة الموشحات منهما إلى لغة الزجل .
فابن سناء الملك كان أكثر عناية بتسجيل موشحاته، قليل الاهتمام
بتسجيل أزجاله حتى أن ديوانه كله “ديوان ابن سناء الملك” ليس فيه
مقطوعة زجلية واحدة.

خاتمة

والآن وقد تحدثنا عن الزجل في ماضيه منذ نشأ، وعن تطوره وانتقاله من قطر إلى قطر، وعن أعلامه في الأقطار التي ازدهر فيها، نحب أن ننظر إلى مستقبله.

تري هل يسير فن الزجل إلى الازدهار أو أنه يمضي إلى الاضمحلال؟ الواقع أن الزجل يزدهر في بعض الأقطار العربية، ويقهقر في البعض الآخر. ونستطيع أن نقول انه في هذه الفترة من الزمن مزدهر في لبنان وفي مصر.

وازدهاره في لبنان يرجع إلى أن طبيعة هذا البلد تستلزم هذا الازدهار، فالجمال الذي يتمتع به لبنان يحرك المشاعر، ويرقي بالوجدان ويفسح المجال لتحليق الخيال، ولهذا قل أن تجد قرية أو مدينة دون أن تجد فيها بعض من يحسنون نظم الزجل ارتجالاً.

ولأبناء لبنان قدرة عجيبة على الارتجال، وعلى ابتكار المعاني الجميلة... أذكر من ذلك حادثين شاهدهما ابان انعقاد مؤتمر الزجل العربي في لبنان في سبتمبر سنة 1945

الحادث الأول يوم دخلت الفندق الذي كنت نازلاً به بقرية "سوق الغرب" كان معي صديق من زجلي لبنان. وفي حديقة الفندق رأينا شابة جميلة جالسة مع سيدة مسنة. الأولى تشتغل بعمل التريكو، والثانية تقرأ احدى الصحف. واذا بالرجال اللبناني يقول لي --:

• ألا تراها جميلة؟

قلت : نعم .

قال : أتصفها أم أصفها أنا ؟

قلت : صفها فاني أخجل من أن اتغزل في بناتكم
فقال مرتجلاً :

يا جارة يلحظ الفتان

عاقلي عملي غارة

عملي أوتاره الحيطان

وريشة ضلعي السنارة

ويلاحظ أن أهل لبنان يسبقون الصفة بالألف واللام دون
الموصوف، فيقولون “لحظ الفتان” بدلاً من اللحظ والفتان، و “قلب
الأبيض” بدلاً من “القلب الأبيض” .

أما الحادث الثاني فكان يوم خرجنا لزيارة إحدى مدن لبنان العليا،
ونسيت في الفندق علبة السعوط التي تلازمني باستمرار، فلما تفقدتها وأنا
بعيد عن الفندق لا بسني بعض الضيق . ولاحظ هذا زميل زجال لبناني
فسألني عن سبب ضيقي فقلت له انني نسيت علبة نشوقي، فأسرع إلى
شيخ من شيوخ الدروز وجاءني منه ببعض السعوط، فدهشت وقلت له :

من أين هذا ؟؟

فقال على البديهة :

لو راح “عطوسك” لا تنوس

وابتسم ولا تكون عبوس

من حي بحروق قلبي

وطحنته وعملنه عطوس

و “العطوس” هو السعوط أو النشوق ، ولا “تنوس” باللهجة الشعبية اللبنانية معناها “لا تتضايق”!

فالارتجال عند أهل لبنان شيء مألوف .ويكاد يجيده كل زجال .أما ازدهار الزجل في مصر فيرجع إلى عدة أسباب في مقدمتها السبب الذي من أجله ازدهر في لبنان ، وهو جمال الطبيعة، وصفاء نفوس أهل وادي النيل، وحبهم للمرح، وتأتي بعد ذلك أسباب جديدة .منها ازدهار صناعة السينما التي خلقت طائفة من ناظمي الأرجال والمنولوجات .واتساع نطاق الارسال الاذاعي والتليفزيوني، مما يستلزم زادا كثيراً من الأغاني والمنظومات.

أما في العراق فالنهضة الزجلية محدودة .والنشاط الزجلي نشاط فردي متفرق في بعض القرى التي ما زالت تعيش على حال قريية من البداوة.

أما بقية الأقطار العربية الاخرى فالزجل فيها يكاد يكون معدوماً . وقل أن تقع العين على زجل في صحيفة أو مجلة من صحف أو مجلات تلك البلاد .فالصحف مسئولة عن ركود هذا الفن في الأقطار العربية. وفي اعتقادي أننا في مصر أصبحنا نفتقد الرجال الذي ينقد ويوجه، وينفعل بالأحداث فينظم القصائد الزجلية على غرار قصائد الشعري وملاحمه، ذلك لأن معظم الرجالين اتجهوا إلى ميدان نظم الأغاني لأنه أوفر

من الربح، وخاصة بعد أن أصبح قانون حفظ الملكية الأدبية سارياً وهو يقضي بأن ينال الناظم حق الأداء العلني عن إنتاجه كلما قدم بصورة علنية، فأصبحت الأغنية الواحدة -إذا صادفها النجاح -تستطيع أن تدر على صاحبها دخلاً سنوياً مستمراً.

وفي يقيني أن الزجل يزداد ازدهاراً كلما ظهر زجال موهوب، يستطيع بنظمه الجيد أن يحمل الناس على العناية بنظمه ومتابعته، ويستطيع بابداعه أن يستهوى أفئدة محبي الأدب الشعبي، فيحملهم على أن يحاولوا مسابرة في النظم. وتقليده في الابداع.

الفهرس

- 5 على سبيل التقديم .. د. صلاح الطاهر
- 29 مقدمة
- 47 الزجل
- 57 المرحلة الثانية للزجل بالأندلس
- 63 زجالو القرن السابع
- 69 خروج الزجل من الأندلس
- 71 الزجل في مصر
- 77 الزجل في لبنان
- 83 ابن قزمان
- 93 ناصر الغيطي
- 95 صفي الدين الحلبي
- 103 الغبارى
- 109 ابن عروس
- 115 الشيخ الفحام
- 119 محمد عثمان جلال
- 125 عبد الله النديم
- 139 إسماعيل صبرى
- 143 محمد حفني ناصف

- 155 الشيخ لهلبها ■
- 157 حسن الألاقي ■
- 163 الشيخ عاشور ■
- 165 الشيخ النجار ■
- 169 الشيخ الدرويش ■
- 171 محمد توفيق ■
- 175 الشيخ جاد علوان ■
- 179 الشيخ القوصي ■
- 183 محمد امام العبد ■
- 189 خليل نظير ■
- 193 محمد عزت صقر ■
- 195 عيسى صبري ■
- 197 شعبان عوني ■
- 199 محمد غالب ■
- 205 محمد عبد النبي ■
- 213 محمد فهمي يوسف ■
- 217 أحمد شوقي .. أمير الشعراء والزجالين ■
- 221 محمد بيرم التونسي ■
- 249 محمود رمزي نظيم .. "كنيته" أبو الوفاء ■
- 257 حسن الفرشوطي ■
- 265 حسين الحلبي ■

- 273 محمد فتحي ■
- 277 الشيخ القطوري ■
- 283 حسين شفيق المصري ■
- 305 ابن سناء الملك ■
- 309 خاتمة ■
- 313 الفهرس ■